الطب والتحنيط
في عهد الفراعنة

الطـب

د. يوليوس جيار

التحنيـط

د. لويس ريتر

ترجمة

أنطون زكري

الكتاب: الطب والتحنيط في عهد الفراعنة

الكاتب: د. يوليوس جيار، د. لويس ريتر

ترجمة: أنطون زكري

الطبعة: ٢٠٢١

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

الطب والتحنيط في عهد الفراعنة / د. يوليوس جيار، د. لويس ريتر,
ترجمة: أنطون زكري
– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
٢٢٥ ص، ١٨*٢١ سم.
الترقيم الدولى: ٩ – ٤٠ – ٦٨٣٧ – ٩٧٧– ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ١٤٣٠٣ / ٢٠٢٠

الطب والتحنيط
في عهد الفراعنة





مقدمة

من وسائل التيمن في الأعمال المجيدة عند الشروع فيها البدء بذكر الله تعالى التماسا لإعانته الإلهية في إتمامها وفي الوصول إلى المقاصد الشريفة المرجوة منها ،وفي إتيانها بالثمرات المقصودة ليحمد اجتنابها الخلف عن السلف، سواء في ذلك ما كان من الآثار العلمية العامة كوضع المؤلفات في الفنون والعلوم المتنوعة التي لم يبخسها حقها مرور الأجيال، أو ما كان خاصا بمبحث معين في علم معروف يحتاج الناس الارتشاف من مناهله وطلب المزيد في الاقتباس منه، فإن سواطع العرفان يفيضها الله على الألباب بقدر ما أعدها له من وسائل الارتقاء واستقراء المباحث واستظهار الحقائق.

ولا ينبغي لمن أوتي حظا من سعة المواهب الفكرية مهما كانت براعته أن يحدث نفسه بأنه قد أحاط بكل شيء علما، ففوق كل ذي علم عليم.

وإني أحمد الله على أن ألهمني حب الإطلاع على ما تصله استطاعتي من آثار الأول العلمية، والاستفادة من فرائد مؤلفاتهم النافعة، وحبب إلى أيضا أن أجعل جمهور القراء شركاء معي في الاقتطاف من أطيب الثمرات ،لأنني أزداد بتشجيعهم أقداما ي القيام بواجبات الخدم العامة التي يجب أن يؤثرها الإنسان بإنصاف فطرته على مطالبه الذاتية.

ووواضح أن تبادل الأفكار بالبحث والرؤية عما حوته الأسرار الكونية واستودعته صدور المؤلفات الناطقة بفضل ذويها يعد أفضل ما تصبو إليه الفطن ،وتحرص عليه رغبات الفضلاء المخلصين الذين يبذلون وسائل التعاضد طبق ما ألفوا

بإخلاص عزيمة ووفق ما امتازوا به حسن النية تعشقا في الفضيلة التي تدعو أهليها لتنشيط العاملين أملا في نهضة الناشئين حتى لا يتطرق ا اليهم الملل ولا يعتريهم الفتور أو القنوط.

فالتشجيع الأدبي هو المهاد الذي يكفل النجاح بين الطبقات وتتوفر به أسباب التقديم. وكلما زادت هذه الروح الأدبية سريانا وتمكنا في النفوس، استطاع كل عامل على قدر طاقته إظهار ما يجول في خاطره من الرغبات السديدة التي يسعده الحظ بالاستباق إليها توصلا لصالح المجتمع العمراني الذي هو فرد من مجموعة.

فوثوقا بما أضير إليه من هذه الحقائق الساطعة، أرجو من جمهور القراء إنصاف العواطف وتسامحها إذا تقدمت إليهم ببضاعة مزجاة، مؤملا ارتياحهم إلى حسن المقصد فيما أنوخاه حتى يكونوا بذلك عونا لى في الوصول إلى إلا كمل وإليهم مرجع الشكر.

والذي أتشرف بأن أزفة الآن إلى جمهور القراء هـ ملخص شامل لكثير من فرائد الفوائد عن علمي (الطب عند قدماء المصريين والتحنيط بأنواعه في أيامهم وفي العصور التالية) وهذان العلمان من أنفس الفنون الراقية وفي الإلمام بهما مزية أدبية يشتاقها البحث الموصل لتقدير آثار الأول حق قدرها وتؤدي لحسن الاقتداء بهم في الفضائل العلمية التي هي عنوان الجد والسعادة للأمم

المترجم
انطوان زكري
أمين مكتبة المتحف المصري

الطب عند قدماء المصريين

الطب هو أشرف العلوم العمرانية والإنسانية باعتباره العلم النافع الباحث عن صحة الأبدان وسلامتها وطرائق علاجها من العاهات والأمراض عارضية كانت أو غيرها، فلا يستغني عنه أحد في الوجود مع العلم بأن سهولة الانتفاع به تتفاوت بين الطبقات، فهو بالإجماع أولى العلوم بتوجيه الهمم وبذل المجهودات لتوسيع نطاقه العلمي والعملي.

ومقصدي في هذه العجالة أن أتقدم إل القراء بملخص ترجمت به كتاب الدكتور يوليوس جيار (**Jules Guiart**) معلم تاريخ الطب في جامعتي ليون وكلوج (**Cluj**) من أعمال روماني وهو أيضا عضو في جمعية أكادمي الطب.

تكلم هذا الأستاذ الذائع الشهرة العظيم الخبرة المتضلع في كتابه هذا عن الطب عند قدماء المصريين باللغة الفرنسية بأسلوب جمع لباب الفوائد.

وما أحوجنا بصفتنا أفراد سلالتهم إلى الوقوف على كل ما يؤثر عنهم من المؤلفات تاريخية أو علمية ،ليقتبس الفرع عن أصوله ما يزيده تبصرة في شئون الحياة ووسائل الارتقاء ولا ريب ؛ فكم أوصل الاكتشاف العصري بتدرجه في الأجيال إلى نفائس ودقائق من أثارهم الباهرة وعلومهم الوافرة، وهي اللسان الناطق أبد الدهر برسوخ أقدامهم في ميادين الجهاد العمراني ونبوغ مداركهم في الفنون العرفانية، التي امتازت بها أجيالهم الزاهرة ولا يباريهم فيها سابق أو لاحق.

تناقلت أخبار الثقات وأقلام الباحثين والمؤرخين تفصيلات كبرى متوالية ،عما أظهره بحث العلماء وجهاد المطلعين من آثار متنوعة في أقاصي البلاد والمغاور والفلوات وكهوف الجبال وقممها، ومن بينها ما وجدت نقوشه في جدران معبد ادفو ودار كتب المعبود حورس التي كانت بجواره وكثير غيرها من المعابد والهياكل؛

والمغارات لم تكن خالية من أماكن شيدت للاحتفاظ بكتبهم ومؤلفاتهم الثمينة؛ وقد لعبت بها أيدي الدمار أخنى مرور العصور على ما كان لها من بقية. فلم نقف إلا على البعض من أسماء الأمكنة التي كانت آهلة بأنفس الذخائر ،حتى كأنما بطون الأرض غاضت بما كان فيها غيرة عليها واشمئزازا من جهل الإنسان وعدوانه على بني نوعه، وتكريما لهذه الصناعات والفنون من أن تصبح في حوزة غير الإكفاء، فيسيئون استعمالها منتبذين واجبات الأمانة ومقتضيات الحكمة والفطنة.

يحزننا أن نروي هذه الحقائق والأسف مليء جوانحنا ،لأن اعتساف الظروف في الفترات الغابرة جعل عناية الظافرين فيها محصورة على الإرهاق بجبروتهم وانصرافهم إرادتهم إلى استمرار الشعوب في جهالتها ليدوم بذلك استرقاق النفوس وتسخير الأجسام، ولم يعبأ المسيطرون بدور الكتب ومحتوياتها، بل عمد البعض إلى إحراقها وتدميرها، ومنهم من كان يلقيها في لجج البحار لتسير فوقها الدواب كالجسور والبرازخ بين الجهات. فلو أبقت لنا الغيوب ولو جزيئات من هذه الكليات لتكلفت بأقوى وسائل السعادة وكانت لدينا الآن سراجا نستضيء به فيما تزداد حاجتنا إليه كل جيل عما قبله، وكنا بها نفاخر باستحقاق وشمم جميع الشعوب الذين لآن لم يبلغوا عشر معشار ما كان لقدماء المصريين من سمو الفطنة وعلو الهمة في الحضارة والمدنية.

فإشهار المؤلف في كتابة المذكور بعد أطنان في هذا المعنى إلى أن الصدف أوقفت الباحثين على بعض أوراق بردية في فنون الطب كأوراق إبرس وبرلين وأكسفورد، أماطت اللثام عن بعض مكنونات وأطراف من علم الطب عند قدماء المصريين وهي على عظم أهميتها التاريخية والعلمية لا تزيد عن كونها آثار أقدام تدل على مسير طويل.

وثابت بالاستقراء أن مصر كانت مهد الحضارة إليها، يرجع في وسائل الارتقاء العمراني، وأن منها كان استمداد كثير من الشعوب القاطنة على شواطئ البحر

الأبيض المتوسط، كأنه لطبيعة الموقع مع استعداد القاطنين به تأثيرا في القوى النفسية وسعة المدارك وتوقد الأذهان فتنبعث بهذه المزايا إل ما تهيئها له حمية الفكرة مفضلة التعمق في الفنون والمعارف التي هي نور الارتقاء عن التسفل في حضيض المزريات المهلكة لمن انهمكوا في ارجاسها، الذين ساءت عقباهم أفل نجم سمودهم. وتاريخ مصر في الارتقاء العمراني لا يقل عن خمسة آلاف عام كان فيها أبناؤها يرتعون في نعيم البحبوحة والرخاء والرفاهية والسعادة. وفي ذاك الوقت كان كثيرا من الأمم الأخر على منتهي السذاجة والخشونة. وأول من تلق عن قدماء المصريين وشعبهم المجيد العلوم والصناعات أهل أوروبا الجنوبية كاليونان والرومان وغيرهم الذين نقلوا أحاسن الحضارة والمدنية إلى أوروبا الغربية وبواسطتهم سرى ذاك الضياء الوهاج على فجاج كانت بينها وبين شعبنا النابغ حجب التنائي وتقاطع الصلات.

فمصر التي ثبت لها حق السبق وفضل التفوق في العصور الأولى بالفنون العمراني والعقلي والاقتصادية ثبت لها كل هذا الفضل على جميع الأمم في علوم الطب، التي هي أهم عماد للكيان الإنساني منذ المهد إلى اللحد.

مبدأ الطب عند قدماء المصريين

حاجات الإنسان في أدوار حياته تحمله بقوة الإدراك على معالجة ما يصادفه من الصعوبات في شؤونها تخفيفا لآلامه بوجه عام، فيكابد ما يرشده إليه إلهام الفطرة لتذليل المصاعب وابتكار الوسائل ابتكار أولياء حتى إذا أفلح اجتهاده في أحداها يوما ما، حاول التحسين في الأسلوب توسلا لزيادة المنفعة متنقلا في التجارب بالتفاهم والاسترشاد ممن حوله الأكثر ممارسة في الأعمال والأقدم منه عهدا فيها. وهكذا يتدرج الإنسان بحكم التطورات إلي التوسع بالتصورات وإبراز المبتكرات فرحا بما ينجح فيه اختياره مغتبط الحال والضمير بحسن ابتداعه وبنشر اختراعه والتشويق إلى الانتفاع به. وبتوالي العناية والاستباق في هذا المضمار أمكن التفنن في المخترعات وحبب إلى النفوس الابتداعي الصناعي بأنواعه ، والاستعانة به في الضروريات

العمرانية التي أحدثها البعض واستحسانها غيره وشاع استعمالها تنشيطا وتقليدا ،حتى اشتد التقليد في العادات وأوجب على البعض التقيد في مقتضاها بما لم تكن إليه به حاجة وما قل عن التطورات الإنسانية في الشؤون العامة وحب الاقتداء (ممن تقاصر بهم الحظ) بذوي الأقدام وأولى السعة، وفي اقتباس ما تدعو إليه حاجته من الفنون والعلوم النافعة يقال بإذعان عن الطب وعلومه الهامة الذي هو أشد ما يحتاج إليه الأفراد والجموع والآحاد والملوك. وبقدر هذا الاحتياج الملازم لإدوار الحياة في كل زمان ومكان تندفع الرغبات التي تلقي قواعده العلمية لتدفع بها آلام الأسقام وخطر الأمراض الفتاكة.

ومن المسلمات الفطرية أن لكل مرض علاجا إلا الموت. فالإنسان يجبره حبه للحياة وحرص على المزيد من أيامها لمواصلة البحث للتخلص مما يعتريه ولينجي عشيرته وأعزته بما استطاع به ردء السوء عن نفسه، فالوازع الجبري على الاستفادة بالطب من هذه الوجهة يعادل الحرص الدائم لصون رمق الحياة من التلف بالوسائل الممكنة. فلكل شعب ولكل إقليم حرص متواصل على الانتفاع بالمألوفات عندهم للعلاجات الطبية واستعمال العقاقير الملائمة لأمزجتها باقتضاء عناصر التكوين وقابلية الطباع.

وللمؤرخين وكبار العلماء آراء كثيرة في الكيفية التي بها رسخت في الأذهان طرائق العلاجات الطبية النافعة وخواص العقاقير ،وحصر أنواع معينة منها للتداوي بها في أمراض معدودة دون غيرها وأساليب التحليل والتركيب والمزج إلى غير ذلك ،مما تكلفت بخوض عبابه المؤلفات الفنية التي جادت بها على الأمم قرائح الباحثين والمنقبين الذين كثيرا ا تجشموا الصعاب واقتحموا المشاقة والأسفار للعثور على ما يتممون به مأموريتهم العلمية في استظهار خزاص النباتات التي أودعها فيها خالق الكون وهو الإله القادر الذي بيده المحايا والممات.

وفي جملة ما يحسن إيراده بصدد هذا البحث المفيد ما نقله المكتشف الشهير

والمؤلف الكبير سترابون الجغرافي اليوناني، الذي كان من أكابر العلماء الإجلاء في القرن الأول للمسيح، إذ قال أن قدماء المصريين في مبادئ أدوارهم كانوا لا يستكبرون عن استقصاء طرق البحث والتقاط الحكمة أينما وجدت ولو من لدى العامة، وخصوصا في علاجات الأمراض المجهولة لديهم لاعتقادهم أن الشوارد العلمية القويمة التي لم تصل إليها إحاطتهم قد تكون من المعلومات المتواترة عند أهل البادية والقرى النائية ، بواسطة المخالطة لكبار الرحالة المتجولين في الأقاليم أو في ذاكرة الكهول اللذين تزودوا من السنين الطوال بتجارب علمية عملية لا تقل أهميتها اعتبارا عما يقرره فحول العلماء في فنونهم المتفرغين لها. فكانوا إذا أصيب أحدهم بمرض وتعاطى عليهم علاجه يضعونه في أشهر الميادين وأبواب الوصول إلى المدائن والطرقات الموصلة إلى المجتمعات العامة ويبقونه في كل جهة زمنا يناسب كثرة المارين بها ،ليرى الناس في ذهابهم وإيابهم أولئك المرضى، ومع كل مريض حارس يصف للرائين مبادئ الإصابات وسير المرض وعوارضه الملازم والزائلة. وكان من عادات القوم حب الاستطلاع فالحارس للمريض يتباحث مع كل زمرة تلتف حوله عما قد يكون في ذاكرتهم علميا أو في تجاربهم عرفيا عما يشابه حالة المريض وطرق المعالجة التي أوصلت للشفاء من مثله.

وكان حب القوم للاستطلاع بهذا الأسلوب غريزيا ومقترنا بالعطف والرأفة ومشاطرة أهل المريض في آلامهم ولهذا كانوا يقدمون معلوماتهم بصراحة وإخلاص ووضوح تام فيتلقاها حارس المريض بأذن واعية وقلب سليم ويبادر بتنفيذها تشوقا لشفاء المريض.

وكانوا بقوة ارتباطهم يحرصون على تدوين المواصفات والتجارب ويلقنها عارفوها لغيرهم حتى كأنما العلة التي أصابت أحدهم جاءت مهادا وسببا علنيا للشفاء عند كثيرين باستعمالهم المعالجة التي تلقاها، فيرشد إليها الغير قياما ببعض الشكر لله تعالى على منة الشفاء وعلى حسن الإلهام إلى ما به نجحت المعالجة. ولا غرابة في ذلك فلقوة الارتباط القومي في صوالح الشعوب وتعاونها ببعضها مالا تحرصه الأقلام.

ومن هذا البيان نتأكد أن علم الطب كباقي العلوم الوضعية المرتبطة باحتياجات الحياة وضروريات الفطرة منشئوه التجارب والممارسة والثبات في الاكتشافات والاستمداد من الحوادث في الإرشادات التي يجب الإذعان لها بإمعان الروية والتطبيق العملي في الأسباب والنتائج لكل ذلك وتقدير كل بارقة علمية حتى قدرها مهما كان مصدرها.

ولما امتاز به قدماء المصريين من المكابدة الصادقة ،فيتلقى وتدوين الفنون النافعة وتعليمها لنجباء أبنائهم الذين يتوسمون فيهم الاستقامة والأمانة قد وضعوا ما ثبت عندهم علمه ونفعه عن أمراض كثيرة وعوارض الإصابة بها وأدوار شدتها والنقاهة منها وطرق معالجتها ووسائل التوقي منها في مذكرات صحيحة الأسانيد مذيلة بالنتائج القويمة، وتواصلوا على تدوينها في سجلات بعيدة عن العبث والتلاعب وإيداعها في كفالة المسيطرين على المعابد والهياكل، وقرروا أن يباح الإطلاع عليها لمن يشاء تحت رقابتهم (ولا تنقل من أماكنها) وأن يتلقى الطلاب من الكهنة كل ارضاد عن تركيب العقاقير ومعرفة أقواها فعلا وأقر بها نفعاً وتأثيراً.

وهذه السجلات باستمرارها في حوزة الكهنة وإكثارهم مطالعتها وتدوين ما يستجد من كل نوع بالسجل المخصص له ،جعلت أولئك الكهنة كأطباء اختصاصيين في أمراض كعديدة وزادت في مكانتهم عند الشعوب سيطرة ورهبة، ومنهم من كان يستفيد بها في أن ينتحل لذاته أسرارا روحانية طلبا للمزيد من وفرة النذور واكتناز الأموال (ولا عجب في ذلك فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة).

بعد أن مكث هؤلاء الفضلاء على تدوين المعلومات بتلك الطريقة بعض الأجيال، رأى المفكرون ومن خلفهم جمع شتاتها وتدوينها صورا متعددة لادخارها في الأماكن التي يكثر تردد الزائرين إليها في المواسم والأعياد ونحوها عليها تسهيلا لاقتباس المحتاجين منها في كل شيء حسب الطوارىء عندهم، وسموا تلك المجموعات الثمينة (الكتاب المقدس) واشتهر عندهم بكتاب أمير (**Ember**) ونسبوه للمعبود

تحوت واتخذوه كقوانين أساسية للفنون والعلوم الطبية، وغرسوا في الأذهان أن مصدره وحي إلهي فلا يجوز لأحد فيه تغيير ولا تبديل، ولا مسئولية على من يباشر علاج إنسان إذا أبطأ في الشفاء ما دام مؤديا نصوص الكتاب كما هي، أما إذا خالفها في شيء وحل بالمريض أي خطر فجزاء المعالج بعد ثبوت جريمته إعدامه على مرأى من الناس ليتعظوا حتى لا يفرط المؤتمنون على الأرواح في إسعافها بما تحتاجه طبقا للقواعد العلمية الثابتة.

وبرسوخ الاحترام في النفوس لهذا الكتاب لم يستطيعوا توسعا في الاختراع والاكتشاف، ومكثوا على ذلك زمنا مديدا لأن هذه الطريقة ،وإن كانت تعد بطيئة في النمو الفني إلا أنها كانت مسندة إلى تجارب قويمة وإرشادات صحيحة.

مدارس الطب في المعابد والهياكل

بتوالي العصور ازداد القوم عناية بالعلوم الطبية، وعولوا على تعميم تداولها وتسهيل تلقينها بين الأقاليم ،حتى لا تبقى كنزاً تحصره الصدور ويعز الوصول إل نفائسه. ورأوا أن إنشاء المدارس في عواصم الأقاليم لتلقى وتلقين هذا الفن أضمن لفائدة الشعب وأليق بخدمة الإنسانية ،كيلا يبقى الطب كطلاسم يحتكرها أفراد ذوو مطامع يقدمون فائدتهم الشخصية عن إسعاف المرضى بما يحتاجون مهما كانوا في أشد ظروف الخطر (كما هي العادة الممقوتة عند البعض من أبناء جيلنا الحاضر الذين توارثوا هذه الأنانية الظالمة من بعض الأجانب).

واختاروا لهذه المدارس أشخاصا من الموثوق بذمتهم وعفافهم وفضلهم المتخلقين بالفضيلة ذوى الحنان والرأفة بالضعفاء، وجعلوا من شعارهم في زى الخلقة حلق رؤوسهم ولبس جلود الفهد على ظهورهم واتخاذهم الثياب المنسوجة من الكتان الغليظ كشعار يعرفون به أينما وجدوا.

وبدأوا بإنشاء هذه المدارس في الجهات الأكثر شهرة وعمرانا، وكان من بينهما

مدارس منفيس وعين شمس وطيبة وصا الحجر. وكانت المدارس الموجودة فيها كجامعات كبرى لتلقى الفنون الطبية بأنواعها ثم بعض علوم اللاهوت والحساب والهندسة والفلك.

ومن قوانينهم أن لا يرشح لها من الشبان وغيرهم إلا من يكون كثير الصمت ،شهيرا بالثبات والحلم وأديت له عملية الختان، وأن يكونوا بعد تلقى الدروس وتلقينها في أماكن التعبد خلف المحاريب والهياكل حتى لا تدنس نفوسهم بمخالطة السفاء فيعرضهم ذلك إلى النقائص.

وإذا ارتكب أحدهم هفوة تمس شهرته الأدبية وكرامة انتسابه إلى هذه المعاهد السامية يغلظ عليه في العقاب (وقد يؤول إلى الإعدام) أملا في أن لا يلتحق بها إلا المتصفون بالفضيلة والأخلاق المهذبة ليحسن الأخذ عنهم بالتقوى والورع، لأن الأطباء أمناء من قبل الخالق على حياء الأمم فلا تكون أرواحهم العوبة في أيدي أشخاص غير أمناء لم يزينوا علومهم بالاستقامة النفسية.

ولم يكن للتعليم أمد محدود من السنين بل كان التلامذة يتلقون المبادئ الدراسية في بعض الشهور، ثم ينتقي الأساتذة الأكثر نجابة إلى فرق أخرى يمتازون بها، وينتخبون من هذه الفرق الممتازة طبقات للأرقى وهكذا حتى لا يحرم التلميذ النابغ من ثمرات التفوق ومميزات الفطنة.

ومتى أتم الطالب دراسته وأدى الشهادة النهائية في حفلات كانوا يعتنون بها لذلك تؤدي (أمام الهيكل المقدس وبين يدي الأساتذة وجمهور الرؤساء من الحكام) اليمين القانونية بكتمان أسرار العلوم عن غير أهلها وأن يؤدي الطبيب مأموريته ي خدمة المجتمع الإنساني بالصدق للجميع وبالرأفة على الفقير ويبدأ حياته العملية في هذا المضمار بتمضيه بعض المدارس الموجودة فيها كجامعات كبرى لتلقى الفنون الطبية بأنواعها ثم بعض علوم اللاهوت والحساب الهندسة والفلك.

ومن قوانينهم أن لا يرشح لها من الشبان وغيرهم إلا من يكون كثير الصمت

شهيرا بالثبات والحلم وأديت له عملية الختان، وأن يكونوا بعد تلقي الدروس ، وتلقينها في أماكن التعبد خلف المحاريب والهياكل حتى لا تدنس نفوسهم بمخالطة السفهاء فيعرضهم ذلك إلى النقائص.

وإذا ارتكب أحدهم هفوة تمس شهرته الأدبية وكرامة انتسابه إلى هذه المعاهد السامية يغلظ عليه في العقاب (وقد يؤول إلى الإعدام) أملا في أن ل يلتحق بها إلا المتصفون بالفضيلة الصادقة والأخلاق المهذبة ليحسن الأخذ عنهم بالتقوى والورع، لأن الأطباء أمناء من قبل الخالق على حياة الأمم فلا تكون أرواحهم العوبة في أيدي أشخاص غير أمناء لم يزينوا علومهم بالاستقامة النفسية.

ولم يكن للتعليم أمد محدود من السنين بل كان التلامذة يتلقون المبادئ الدراسية في بعض الشهور، ثم ينتقي الأساتذة الأكثر نجابة إلى فرق أخرى يمتازون بها، وينتخبون من هذه الفرق الممتازة طبقات للأرقى وهكذا حتى لا يحرم التلميذ النابغ من ثمرات التفوق ومميزات الفطنة.

ومتى أتم الطالب دراسته وأدى الشهادة النهائية في حفلات كانوا يعتنون بها لذلك تؤدي (أمام الهيكل المقدس وبين يدي الأساتذة وجمهور الرؤساء من الحكام) اليمين القانونية بكتمات أسرار العلوم عن غير أهلها وأن يؤدي الطبيب مأموريته في خدمة المجتمع الإنساني بالصدق للجميع وبالرأفة على الفقير ويبدأ حياته العملية في هذا المضمار بتمضية بعض السنين في وظيفتي الكهانة والطب ويتفرغ بعدها لعلومه الطبية.

ومن المأثور عنهم إعداد عيادتهم في المعابد والهياكل لفقراء المرضى ومداواتهم مجانا. وكان التلامذة لمدارس الكهنوت يتمرنون عل الأعمال الجراحية وغيرها، ليساعدوا فيها كبار الأساتذة عند كثرة لوافدين إلى هذه المستشفيات، ويختارون للمعابد التي بها المدارس أماكن فيحاء ويقيمون حولها البساتين والحدائق الحاوية لكثير من النباتات الصالحة لتحضير العقاقير والمراكبات العلاجية منها في معاملها الفنية

المخصص لهذه التجهيزات حسب القواعد العلمية.

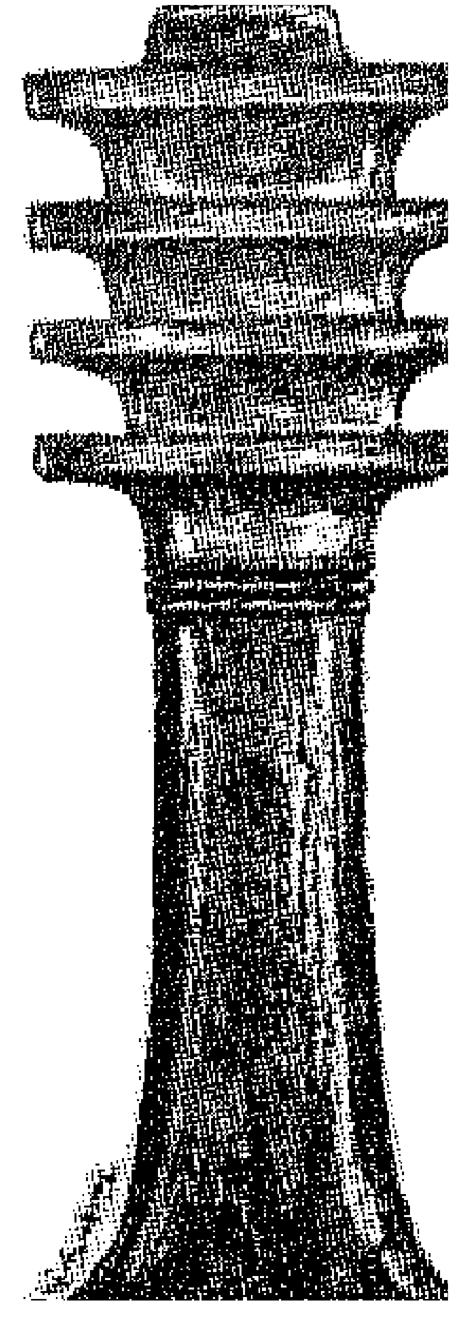
وكانوا يعتنون بالآلات الجراحية بأنواعها ،ولا يبعد أن يكون ما اكتشف منها في مدينتي منفيس وطيبة من آثار تلك المستشفيات.

وكان لكل مستشفى كلية خاصة بكل ما يستطاع إيجاده من الفنون العامة، وأخصها ما يتعلق بالطب ليستعين بها كبار الأساتذة في حل المسائل الغامضة التي تمر عليهم وقت العمل. وبعد المراجعة وتمحيص البحث يدون المكلف به حقيقة ما استنتجه في كل حادثة على حدتها ليكون ذلك بمثابة ملاحق تكميلية يرجع إليها أيضا في مثل هذه الأحوال. وهكذا كان كل جيل يؤدي في أدواره خدما علمية جليلة لفائدة بني الإنسان في الأجيال القادمة.

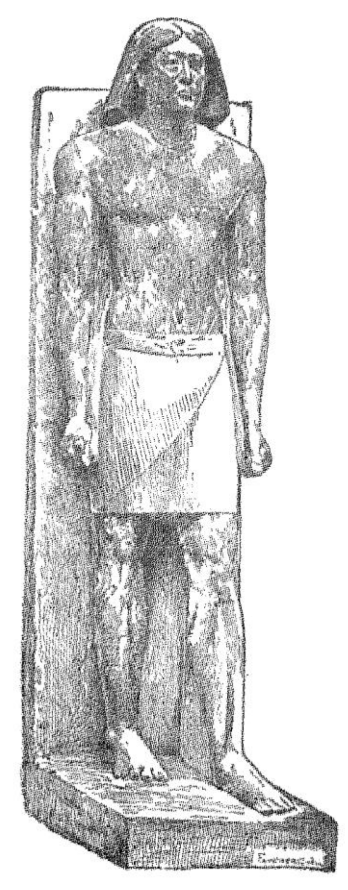
والكتب الممتازة بالأهمية والاعتبار كانت تجعل في خزائن منفردة بمكان محفور في المباني. وكثيرا ما وجدت في الاكتشافات بالمكاتب التي كانت مشيدة في العصور الأولى أوراق عديدة من البردى مكتوب عليها فصول ذات فائدة في علوم متنوعة تدل على حرص القوم واجتهادهم في تدوين المباحث وترقية المعارف جهد استطاعتهم.



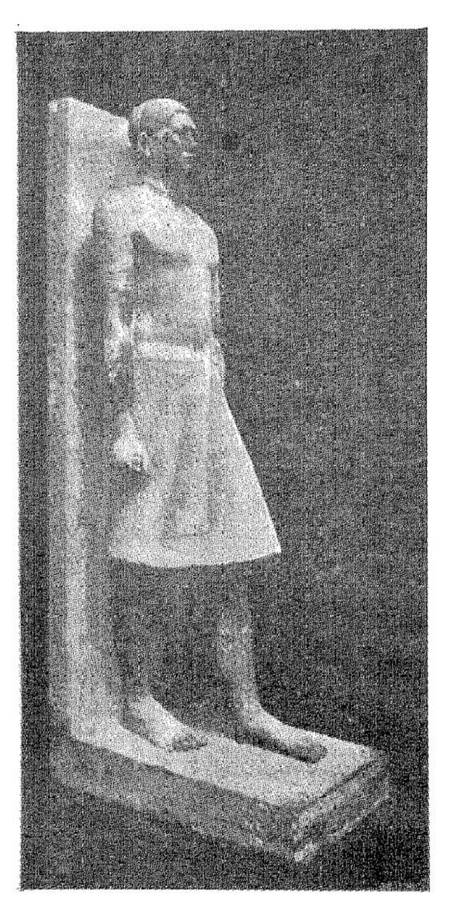
رسم تمثال نصفي لطبيب مصري قديم من الحجر الجيري من الدولة القديمة أي يرجع تاريخه إلى ٥٠٠٠ سنة وهو محفوظ اليوم بمتحف اللوفر بفرنسا



علامة البقاء والخلود



(تمثال رقم ٢٢٥)



(تمثال رقم ٢٢٤)

تمثالان من الحجر الجيري وهما أكبر من حجمها الأصلي ينساب لرع نفر كاهن فتاح
إله مدينة منفيس. وهذان التمثالان ينوبان عن جثة الكاهن متى بليت لتحل فيهما
روحه متى أرادت. والتمثال المرقوم برقم ٢٢٤ يمثله برأس شعره مجذوذ إشارة إلى أنه
كاه والتمثال المرقوم برقم ٢٢٥ يمثله واقفا متشحا بالملابس العادية والأصل
بالمتحف المصري بالطبقة السفلى القاعة C.

علاقة الآلهة بالطب

مع تقديس المصريين للآلهة التي كانوا يعبدونها بوجه عام، فهم كانوا يزعمون أن بعض هذه الآلهة تخصص لشيء من العلوم والحاجيات الإنسانية، وعلى نسبة حاجاتهم إليها يجعلون لهم من أجلها احتراما خاصا. فكانوا يعتقدون أن إزيس وسخت وإمحوتب هم آلهة الطب وفنونه، ويصفون أزيس بأنها إلهة الطب الحقيقة، وأن صفاتهم الجمالية كانت جذابة للأرواح، وإليها المرجع في كل ما حازه زوجها أزوريس من العظمة في دولته، وكانت تدعى هاتور إلهة السماء، وتدعى نيت إلهة التناسل وينسبون إليها اهتماما عظيما بالحوامل، وشيدوا باسمها معبداً خاصا معداً لتعليم القابلات وتمريض الحبالى، تقصده النساء عندما يعتريهن مرض في أثناء الحمل سواء من عوارضه أو أسباب أخرى، فتستمر فيه الحبالى ويعتني براحتهن وتبذل لهن الأدوية حتى تنالن الشفاء وتضعن حملهن بسلام.

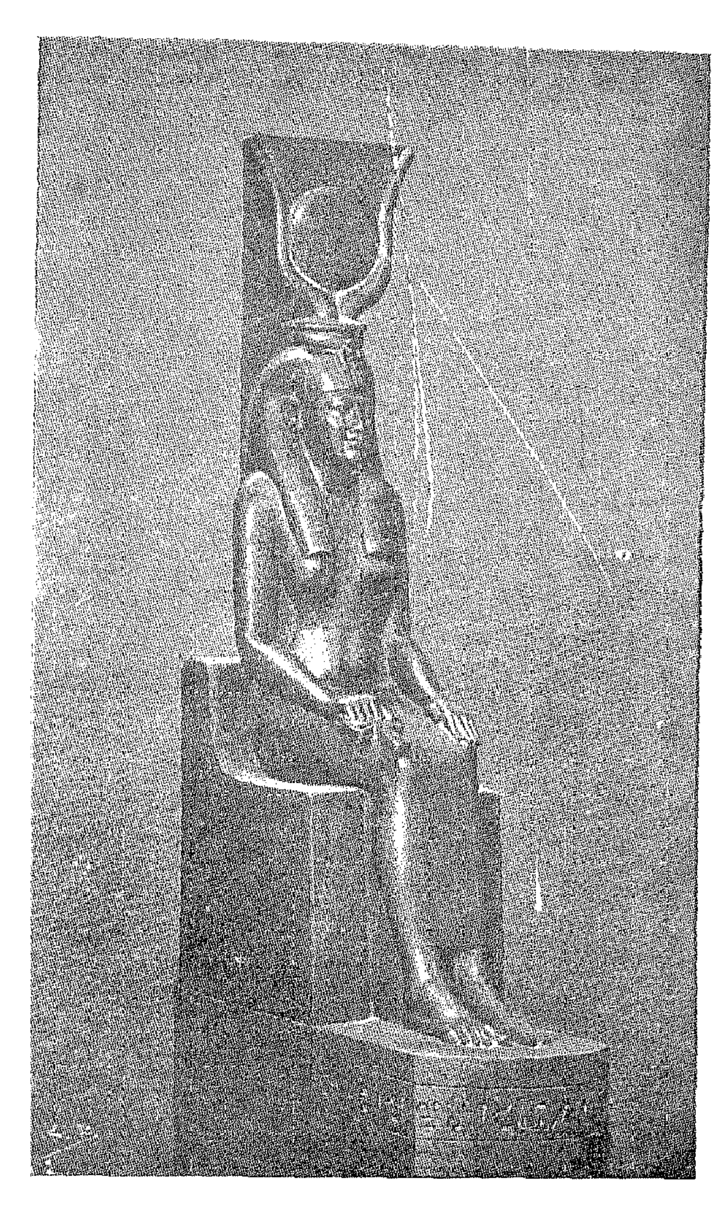
وكانت سخت تدعى إلهة الجراحة، وفي الهيكل المسمى باسمها كان يوجد معلمون لعلم الجبر يتلقاه أصاغر الكهنة حتى يبرعوا في مهنتهم لمعالجة من يقصدون التداوى فيه.

والآلة إمحوتب كانوا يلقبونه ابن فتاح إله الخلق، ويمثلونه بطفل جالس يحمل سجلا من الورق البردى مبسوطا على ركبتيه، وقد شيدوا باسمه مستشفى في معبد منفيس يقصده المرضى من الجهات النائية لينالوا الشفاء بعد مكثهم زمنا محدودا، وكان كثيرون من الكهنة بارعين في تشريح الجثث وتحنيطها. واكتشف بجوار معبده مكتبة هي أشهر ما اكتشف في تاريخ مصر القديم وبقيت إلى عصر الرومان، ومنها اكتسب اليونان العلوم الطبية وبرعوا فيها، ومنها استخرجت ورقة برلين الطبية البردية التي كان لها شأن عظيم في علم الطب.

وهكذا يعلن التاريخ الناصع أن الاحتلال الأجنبي للممالك الشرقية في كل العصور كان يفسح لهم مجال الفرص في اكتناز كل نفيس واقتباس كل مفيد، ويدعون التملك لكل ما اغتصبوا، ويزعمون لأنفسهم الأسبقية والتفوق على البلاد حتى في المعلومات المعنوية الموضعية،فضلا عن الصوالح المادية العمرانية التي أمامنا منها كل يوم ألف دليل وبرهان.

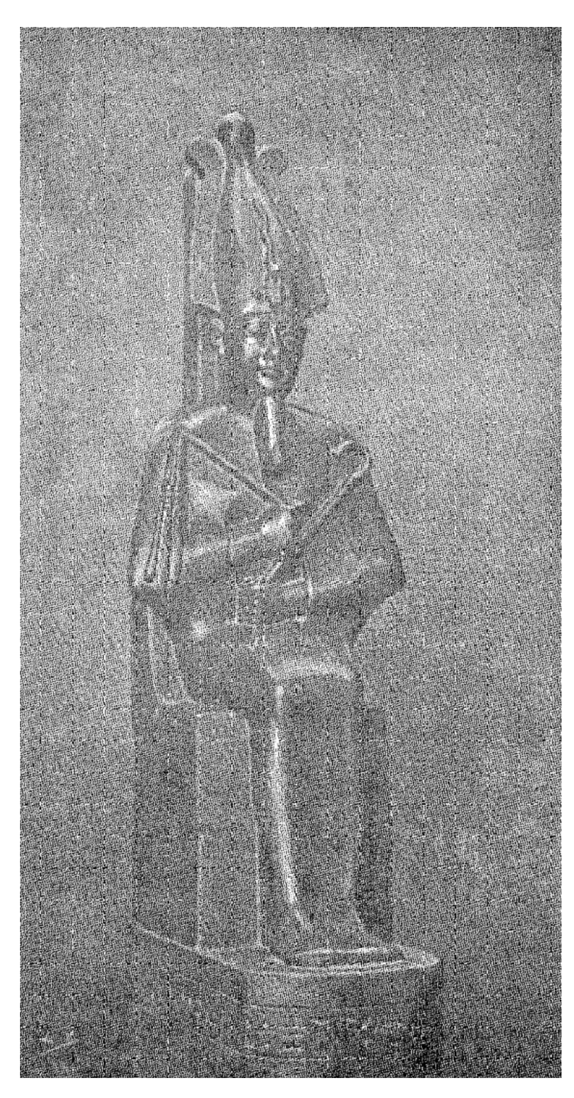


رسم المعبود حورس على شكل طفل يضع إصبعه في فمه وهو إله الصمت ومعروف عند اليونان باسم هوبوقرات وهو إله الطب عندهم والأصل بالمتحف المصري بالطبقة العليا بقاعة حرف P



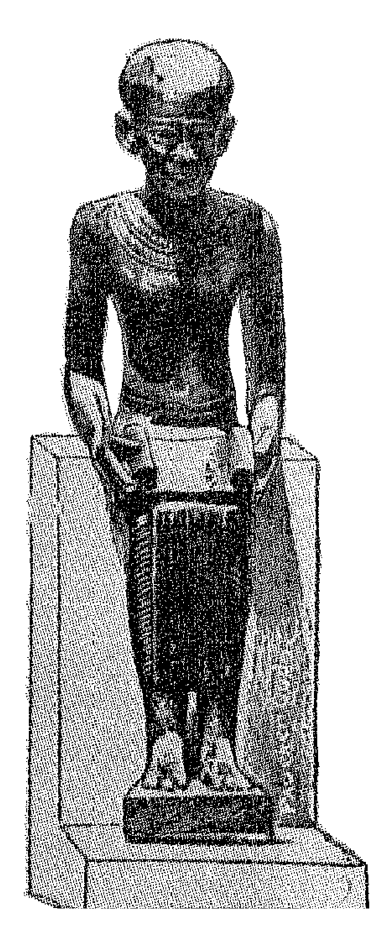
" المعبودة إزيس "

رسم تمثال المعبود إزيس إلهة الطب المصري القديم وزوجة أزوريس كانت تعبد في مدينة صا الحجر والنساء تزرن معبدها لتضعن فيه وتشفين من أمراضهن.

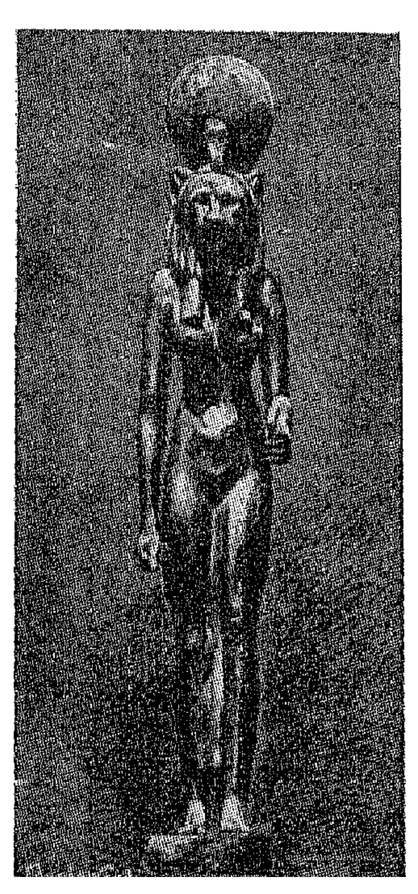


" المعبود أزوريس "

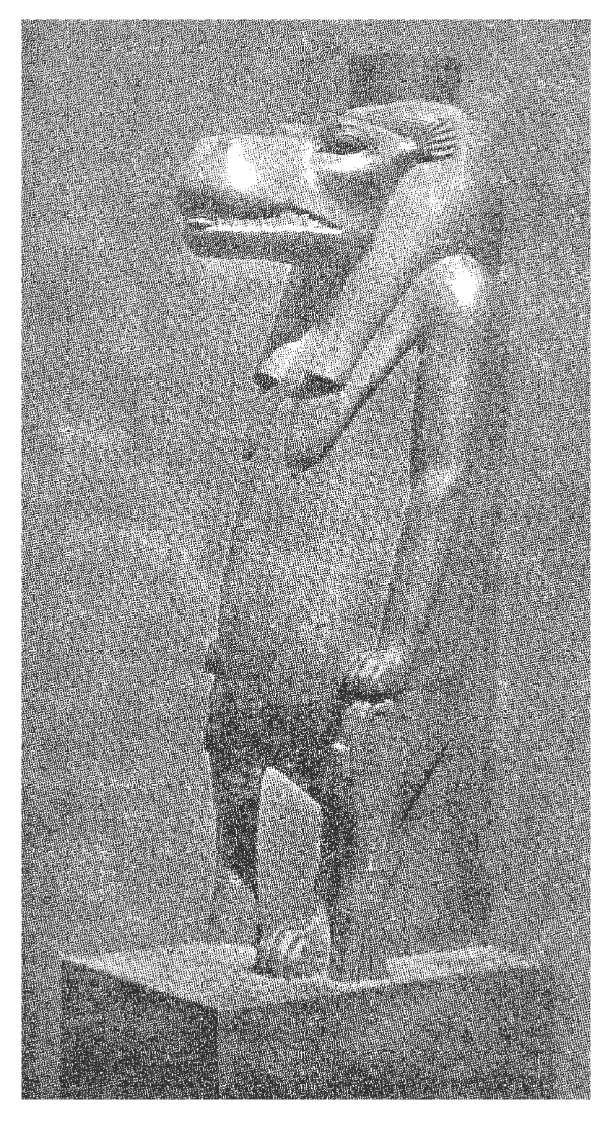
رسم المعبود أزوريس زوج المعبودة أزيس إلهة الطب المصري القديم والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بالقاعة p رقم ٨٥٥ وهو مرشد الموتى في الدار الآخرة يمثله جالسا على شكل الأجسام المحنطة.



(رسم إمحوتب إله الطب)
عند قدماء المصريين والأصل بالمتحف
المصري من البرنز بقاعة الآلهة المصرية القديمة
بالطبقة العليا بالقاعة P

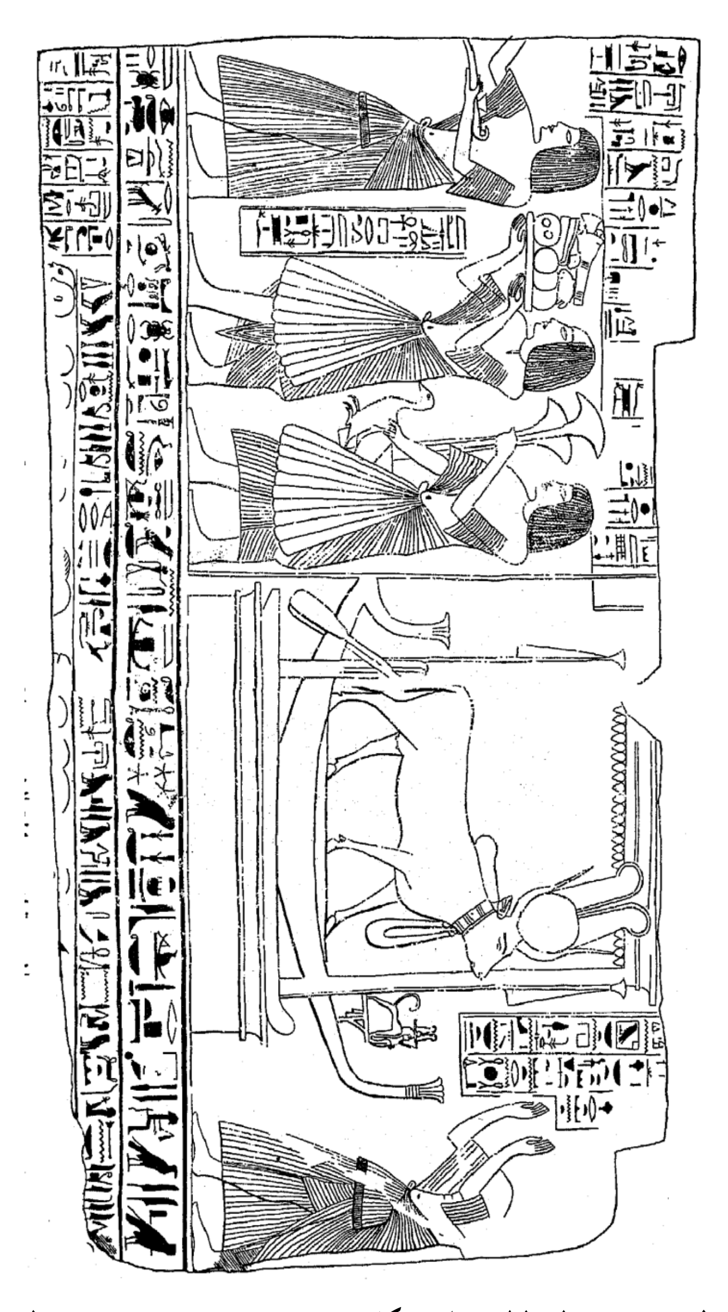


(رسم تمثال المعبودة سخت)
إلهة الجراحة ومساعدة الآلهة فتاح في
وظيفته وهي ممثلة بشكل إنسان ورأس لبوة
والأصل بالمتحف المصري بالطبقة العليا بالقاعة P



(المعبودة تويريس إلهة الحبالى)

رسم المعبودة تويريس على شكل جاموس البحر. والأصل من الحجر المسن الأخضر بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بالقاعة Q رقم ٧٩١ ومهنتها حفظ الحبالى مما يعرض لهن من تعب



رسم المعبودة إريس إلهة الطب على شكل بقرة وتدعى عندهم هاتور وهي إلهة السماء

علاقة الطب بالكهنوت

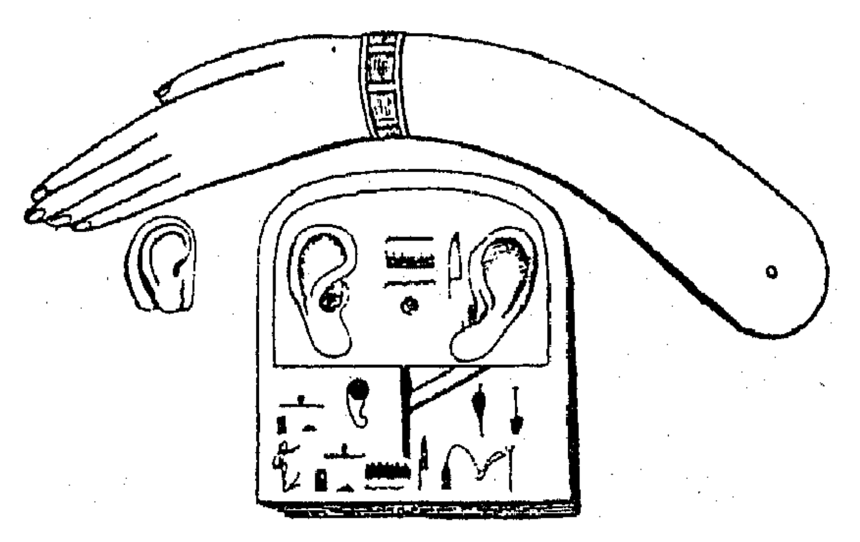
يتمسك القوم بالمبادئ الكهنوتية في مقاصدهم الشريفة ،حرصا عليها من الشوائب التي لا تناسبها. وكانوا يدعون الناس أحراراً في الالتحاق بشؤون المعايش أو الانضمام إلى فريق الكهنوت، ويميزون مهنة الطب عن باقي المهن بالاحترام والدقة، ولهذا حتموا أن لا يشتغل بالطب سواء من قبيل التلقي العلمي أو المباشرة العملية فيه إلا من يكون أمضى سنوات في الكهنوت وتحصل على الشهادات التي تؤهله لمزاولة فن الطب علميا أو عمليا.

وبمقتضى ذلك كان الأطباء على علم تام بقواعد الكهنوت ليباشروا وظائفهم بطهارة القلب ونزاهة النفس وحسن الإيمان بقدرة الإله الأعلى ولهذا كان الأطباء يفضلون اتخاذ عياداتهم في ذات المعابد أو بالقرب منها على قدر الإمكان، لأن الشعب وقتها كان كثير التعلق بأماكن التعبد فعندما يشعر الفرد بأي انحراف في صحته أو اعتلال في مزاجه يقصد التبرك بأماكن العبادة ومن فيها، فبوجود العيادات بدائرتها تسهيل على المريض والطبيب.

والملوك لثقتهم بمكانة الأطباء المشهورين بأنهم خدمة للبشر جعلوا لهم شعاراً في هرات الحياة، ويمنحونهم معاملة خاصة إظهاراً للعناية بهم وبرهانا للعطف عليهم، من ذلك إعفائهم من نصف الضرائب المقررة على الممتلكات بأنواعها واستدعاؤهم في الاحتفالات الرسمية ولو لم يكونوا ذوى ألقاب مدنية لأن لقب الطبيب كان يفوقها تكريما واحتراما. ومن مميزاتهم أن ينتخب أطباء الملوك الأخصاء ورجال حاشيتهم من أولئك الأطباء البارعين وعدم حرمانهم من التزوج إذا رغبوا فيه والإقامة بعائلاتهم خارج المعبد.

وكان المألوف في تلك العصور أن ينقد الطبيب أجراً ماليا عقب شفاء المريض

بنسبة حالته بين قومه، ثم عدلوا عن هذه الطريقة وقرروا أن كل مريض من بدء توعكه يمتنع عن حلق شعره أو قص شيء منه حتى يتم شفاءه. وفي يوم النقاهة يحلق شعره ويزنه بالفضة أو الذهب ويسلم كل ذلك إلى المعابد التي كانت تؤدي للأطباء رواتب شهرية نظير حصولهم على هذه الأجور مع ما كان يقدم لها من النذور من المصحوبة بصورة العضو الذي كانت له المعالجة مرسوما على ألواح من المعادن لتحفظ في الهيكل تذكارا وتبركا.



رسم تذكار هدايا من الفضة قدمها قدماء المصريين للمعابد والهياكل

وكان الأطباء الكهنة أشد الناس حرصا على كتمان أسرارهم العلمية ولا يلقنوها لغير الأكفاء.

وقد ذكر هيرودوت في كتابة عن الطب والأطباء عند قدماء المصريين إن كبارهم العلماء كانوا في أواخر الدولة الحديثة ،أي القرن الخامس ق.م يجعلون لأنفسهم اختصاصا في بعض الأمراض يتفرغون للبراعة فيه. فمنهم من كان للأمراض الباطنية، ومنهم من كان للرمد، ومنهم من كان للرأس والأسنان وهكذا (فليس

التخصص من محدثات هذا العصر كما يزعم البعض).

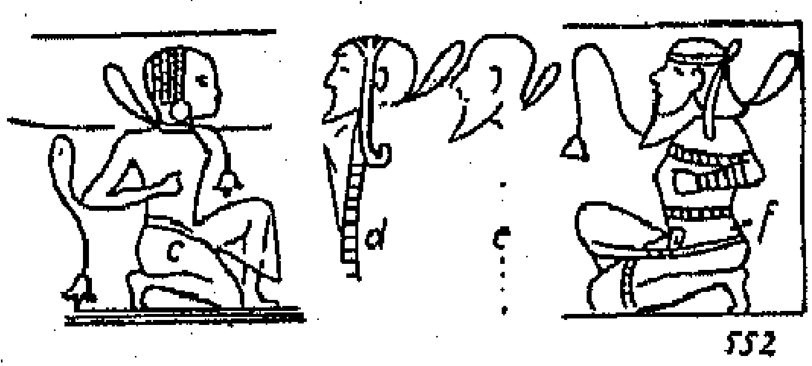
وكان العلماء من الأطباء الكهنة على شهرة عظيمة حتى في غير بلادهم المصرية، فكثيرا ما انتدب فضلاء منهم لعلاج الملوك الأجانب فاستوطنوا في ممالكهم ، ومنهم من كان يستدعى لمعالجات ويعود كما حصل كثيرا في عهد شورش ودارييس من ملوك العجم، ومن الأطباء من كان ينتدب لمعالجة المرضى والجرحى في الحروب في الحروب. ومن هذا يتضح أن استصحاب الأطباء بالجيوش المحاربة في تنقلاتها ليس من مبتكرات العصر الحاضر بل قد سبقت إليه عناية قدماء المصريين اعترافا بفضل أطبائهم وحرصا على حياة أبنائهم في ميادين القتال.

وكان بين الأطباء المصريين من يفضل الوجود في المدن الأجنبية التي يكثر عليها تردد التجار المصريين ليؤدوا ما يحتاجونه من المعالجة والإسعافات مجانا، لأن الحكومة كانت تمنحهم الرواتب الوافرة للقيام بذلك. ولأولئك الأطباء شهرة ذائعة في تاريخ العالم القديم، وتشهد مؤلفات أهله بذلك ومنها ما كتبه عنهم هومير وهيرودوت وسترابون وديودور الصقلي.

وكان لبقية البلاد ما يوجد في عواصمها من الأطباء البارعين للعلاجات المتنوعة ومن ضمنها جبر العظام ببراعة (يتوارثها عنهم بعض الخلف إلى اليوم).

ولما انتشر علم الطب بين الطبقات في خدمة الهياكل البسيطة اكتفوا بما كانوا يتلقونه في معالجة الفقراء مجانا بدلا من الرقى والتمائم التي كانت متبعة في تلك الأحيان، ولبعض البسطاء تمسك بها في الأقاليم للآن.




c
d
e
f
552

الأوراق البردية الخاصة بالطب

كل ما أوصلنا إليه اجتهاد الباحثين جهد استطاعة الإنسان عن قدماء المصريين وآدابهم وصناعاتهم ،التي أعجزت الأمم الأخرى يرجع الفضل فيه إلى حل الرموز والنقوش التي وجدت ببعض الجدران في هياكل المغارات وسفوح الجبال وبطون الأودية والصحارى، وإلى تلك الأوراق البردية التي عدت المدينة مدينة لما أودعته من دقائق الأسرار، ومنها ما كان مكتوبا بالخط الهيراطيقي بالمدادين الأحمر والأسود، وهذا الخط هو مختصر الخط الهيروغليفي الذي وفق لاستنباط حروفه ووضع أبجديتها التفصيلية المكتشف الشهير فرنسوا شاباس، إذ هو الذي بعد طول العناء والتفرغ بمواهبه الذهنية ألهم الوصول لكشف هذه الغوامض، وباستمراره استطاع في النتائج الهامة فأفاضت عوارفه عل العالمين أهم ما استفادوه وأشد ما كنوا في احتياج لفك طلاسمه وعنه تناقلت الألباب القواعد الأبجدية لهذه الخطوط ورموزها ومغازى أشكالها التركيبية في الوضع والاتساق بحذق ومهارة نادري المثال. ومن الخط الهيراطيقي نقل الفينيقيون أبجديهم التي تفرعت منها الأبجدية العلمية لعلماء اليونان والرومان.

وكان من بين هذه الأوراق ما يمتاز بالرونقة والتذهيب والإبداع في النقوش دلالة على نفاسة موضوعاتها، سواء كانت خاصة بالعلوم الدينية وآداب النفس أو بالفنون الطبية بأنواعها فأقدرها المكتشفون حق قدرها كما خصها واضعوها بعنايتهم في الزخارف.

وقد أكثر المؤلفون في كتبهم من التمدح بورقتين برديتين طبيتين أحداهما ورقة إبرس **(Ebers)** والثانية ورقة برلين، فالأولى اكتشفت في مدينة طيبة سنة ١٨٧٣ وكانت في حرز (ملف) طوله واحد وعشرون متراً وعرضه ٨٠ سنتيمترا. واجتهد في شرائها الدكتور إبرس أثناء وجوده بمصر حينئذ لفرط شغفه بالفنون الطبية وخدمة

طلابها بمثل هذه المفائس، وقد اعتنوا بحفضها في مكتبة ليبزيج (Leijzin) وجعلوها تسعة وعشرين جزءا ترتبت في بواريز وقاية لها، وأتم ترجمتها بعده العالم الأثري الكبير يواكيم ترجمة علمية صحيحة تسهيلا للاقتباس منها، وهى على وضع كتاب صفحاته مائة وعشرة ويرجع تاريخها إل ١٥٠٠ ق.م. والحرز الذي وجدت به في مقابر طيبة يدل على أن القوم في عهدها كانوا يصفونها بأنها من صنع معبودهم (تحوت) وفيها ضوابط وقواعد علمية تعد من أمهات المسائل لأنواع من الأمراض الفاشية في ذاك العهد كأمراض العيون وأمراض النساء. وفيها فصول أخرى عن خواص العقاقير والنباتات وما يعالج به لدغ الحيات والحشرات الأخرى، والأخير منها يتكلم عن السحر وتأثيره. ولكون موضوع السحر علميا ينبو عن الأذهان إدراكه فلم يكن في استطاعه المترجمين صوغ عباراته بإجادة تقرب المعاني إلى الإفهام.

والورقة الثانية ورقة برلين الطبية المكتشفة بمدينة منفيس بالقرب من سقارة كانت في حرز من الطين، وهي ذات أجزاء ثلاثة يرجع تاريخ الأول والثالث منها إلى سنة ١٢٧٥ ق.م . أي إلى عهد الأسرة التاسعة عشرة والجزء الثاني بعضه يرجع إلى عهد الملك حو سافيتي (Hausaphiti) من الأسرة الأول؛ وقد أتم باقيه الملك سنفرو من الأسرة الثالثة سنة ٤٠٠٠ ق.م. وهي من القسم المصري المعد للتحف الثمينة في متح برلين على نمط كتاب علمي قل أن نسجت طيد الدهر عل منواله، مكون من ٢١ صحيفة فقدت منها الأولى والثانية، فيها تشخيصات لأمراض شتى وطرق متعددة لمعالجتها ، وفيها أيضا صور تذاكر طبية نحو مائة وسبعين بأوصاف ومعالجات وتراكيب عقاقير متنوعة لهذه الأمراض وما يناسبها، وفي الجزء الثاني بيان خاص للأوعية الشريانية ودورة الدم وما يتبع ذلك، وفي الجزء الثالث بحث دقيق عن الأمراض النسائية. ولغموض اصطلاحاته الفنية بنقط كثيرة في تشخيصاتها لم يستطع المترجمون إيفاء الترجمة حقها من وضوح العبارات.

وكثيرا ما توصل الباحثون إلى أوراق بردية كتبت في عصور عديدة عن المباحث الطبية وغيرها، ولكنها لا تضارع هاتين الورقتين في الشهرة والقيمة التاريخية والمنزلة

العلمية. ومن هذا القبيل ورقة لندن البردية التي يرجع عهدها إلى ١٥٠٠ سنة ق.م. وفي الأسرة الثامنة عشرة الشاملة للتداوي بالكي (وهو في بعض العوارض يفيد أمزجة أفراد من سكان الأقاليم الحارة).

اكتشف العالم الأثري فلندرس بترى سنة ١٨٩٣ بناحية اللاهون بمديرية الفيوم ورقتين برديتين من عهد الأسرة الثانية عشر يرجع تاريخهما إلى سنة ٢٠٠٠ ق.م موضوع الأولى الطب البيطري وموضع الثانية الأمراض النسائية.

وعثروا في سنة ١٩١٣ على ورقة بردية بمصر كثيرة الشبه بورقة إبرس الطبية السالف ذكرها، اشتملت على بعض الأساليب السحرية وعلى طرق من أمراض متفشية وقت تدوينها ومن قبيلها أيضا ورقة اشتهرت بورقة ليد **(Leide)** فيها وسائل طبية وقوانين للتوقي من الأمراض وإيقاف عوارضها ومنع انتشار العدوى؛ وفيها شذرات تتلى لطلب الشفاء كما كان عليه اعتقاد البعض المعتادين على التداوى بالرقي والتمائم ونحوها كما سفلت الإشارة إليه.

ووجدت أيضا أوراق بردية بوصف عملية الهضم والقناة الهضمية وأمراض التناسل لنوعي الإنسان والأمراض البولية ونحوها. وتصف أوراق بردية طبية أخرى الكبد وخواصه، وأن منه تنبعث الصفراء وعوارضها، وكل ذلك من الأدلة الحسية على اهتمامهم بعظائم العلوم، ومن بينها الفزيولوجيا والتشريح حتى توصلوا إلى إتقان التحنيط والتفرد فيه بدرجة بهرت العالمين. فكانوا غيرة على العلم وكمانه عن غير أهله وإتقاء لما يطرأ على الجسم وقت إجرائهم التحنيط يسرعون في عملهم وتضميد أجزاء الجسم إسراعا لا تدركه الأبصار حتى لا يعرف الأجنبي شيئا من مهارتهم، ولا يستطيع مسترق لسمع فهم كلامهم الذي يتخابطون به وقت ذلك وهذا من مواهب الفطنة وحزامه الرأى بمكانة عظمى لا يستهان بها ،وكفى أن هذه الآثار مرآة ساطعة لمجدهم فتتجلى بالمفاخر أمام الأجيال ويرتد عنها طرف الدهر خاسئا حسيراً.

ومهما أطال الواصفون في أهمية الآثار العلمية التي أكتشفت على صفحات

البردي وغيره فلم تبلغ ما لباقي هذه الآثار العمرانية العديدة من الواقع المدهش في النفوس ،خصوصا أن المقابر الملكية والمعابد والآثار التابعة لها والجثث المحنطة المحتوية عليها كلها ناطقة بفضلهم وتفوقهم في كافة العلوم الممارسين لها كالطب والتشريح والنسيج وصوغ المعادن والجراحة والغزيولوجيا وخصائص النبات وما يتعلق بالمرأة من العلوم النفسية والنفاسية والصحة والحمل والوضع والرضاع والتربية. فكل ما تدعيه الحضارة المدنية الحديثة أمام هذه الحقائق الساطعة مهما بلغ من عظم الشهرة والذيوع في الممالك لا يعد صحيحه إلا التقاطا من فتات موائدهم واكتحالا بثرى أقدامهم.

تذكرة طبية لنص مصري قديم مكتوب بالخط الهيراطيقي على ورقة إبرس الطبية ويقرأ من اليمين إلى اليسار وإليك قراءته وترجمته بالعربية.

(١) اللفظ بالعربية

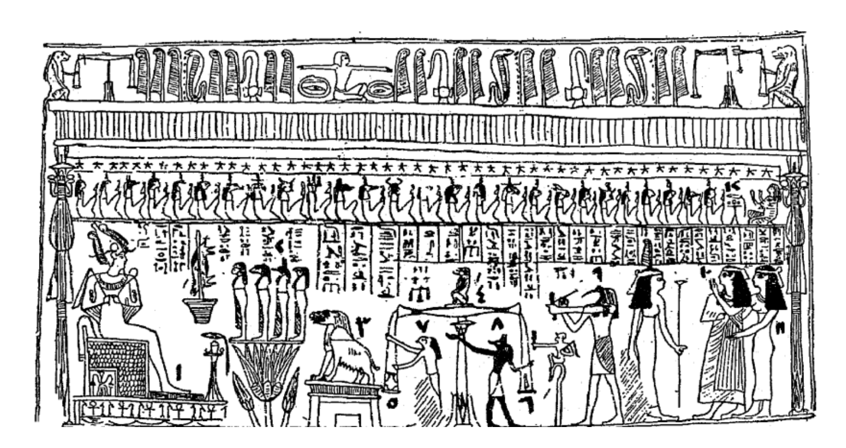
أ) ك – ت ن – ت در كا كاو – ت م ع – ت نب – ت ن – ت س عد عش سف – ت خساي – ت حر نس ش حرتي وبد مو نزا سنا أماو م خت وع ت جس أم.

ب) ك – ت حما – ت – مح – ت حسا حسمن دشر مرح – ت – جس أم عش – و (عش – و) سب تي

(٢) الترجمة بالعربية

أ) (علاج) آخر لدرء كاكاو (ربما كان داء السرطان) من أي عضو انسان دهن الأرز (أ). خشخاش (٠) (أ) لسان البركة (أ). صداء الرصاص (٠) (أ) أوبد (أ) (دواء) يصحن ناعما وماء ويمزج معا ويدهن به.

ب) ملح بحري (أ). سائل نيلي (أ). نطرون احمر (أ). زيت (أ) يدهن به مرارا مرارا.



(محاكمة النفس بعد الموت عند القدماء المصريين مقتطفة من ورقة إبرس الطبية)

(١) أوزوريس رئيس القضاة جالس على منصة الحكم (٢) ابناه حورس آلهة أربعة أركان العالم (٣) الوحش ست إله العذاب (٤) الميزان الإلهي (٥) كفه الميزان اليمني بها قلب الميت رمز لأعماله (٦) كفة الميزان اليسرى بها معيار الحق (٧) الإله حو يس ينظر كم بلغت الحسنات والسيئات (٨) الإله أنوبيس يراقب كفة معيار الحق (٩) الإله تحوت قاضي الإحالة يسجل نتيجة الحكم (١٠) الروح تتبرأ من كل ذنب وخطيئة أمام رئيس القضاة (١١) المعبود ماعت إلهة العدل قابضة على الروح (١٢) القضاة وأمامهم الروح تحاسب بين أيديهم,

التشريح والفزيولوجيا

كان من نهضة قدماء المصريين في سائر الفنون العلمية والعقلية والأدبية النفسية أن الملوك والرؤساء لا تمنعهم عظمة الملك ولا سمو المنزلة عن صرف قواهم ،وكل ما أوتوا من حول وطول في طلب المزيد من السجايا الفاضلة والمزايا العرفانية. فكل ما علموا بأثر علمي جديد أو بحث عقلي مفيد حسبوا أنفسهم في طلبة المتشوقين إليه ليبثوا في نفوس الشعب روح التسابق إلى ميادين المفاخر العلمية التي يقوي الملك ويعتز الشعب فخلدوا لهم في صحف الأكوان أنقى أثر وأطيب ثناء.

ومما أورده المؤرخ المصري القديم الشهير ما نيتون وأيده بلين وأولى جيل (Aule Gelle) أم ملوك الأسرة الأولى وجهوا عنايتهم إلى عمليات التشريح وطرق استعمالها والإمعان والتفنن فيها رغبة في الاستكشافات الطبية الدقيقة، وترويجا لقواعد التحنيط وغرس احترامه في النفوس منعا للاستمرار في مقاومة وإيذاء المشتغلين به، ويستدل بذلك على أن فتح الجثث المحنطة لم يكن مما يعد جرأة على الأنانية أو جريمة يعاقب عليها فافعلوها لكونها وسيلة للوجهة العلمية من جهة وقياما بواجب التعظيم لمن يكون تحنيط أجسامهم على سبيل التكريم وحسن الذكرى من جهة أخرى وكثير من حوادث التحنيط تشير إلى اتخاذه في عهد مض عليه أكثر من ٥٠٠٠ سنة.

وقد استدلوا ببعض المباحث المسطوة في ورقة برلين البردية الطبية على فصول خاصة بوظيفة القلب بين الأعضاء، وأنه المسيطر في صرف الدم إلى شرياناتها. ومنها عرفوا أن في الدم نسمة خفية تنبعث عنها حياة الأجسام وتوليد الهواء في الرئتين ويتنشقه القلب بالتنفس، ومنه تتوزع تدريجيا للشرايين ممتزجة بكرات الدم ولباقي الأعضاء. فكأن هذه النسمة التي ذكرها قدماء المصريين في مؤلفاتهم هي ما سماه

الطب الحديث الأكسوجين تطبيقا لنظريتهم لأولى الفزيولوجيا وتأثيرات الهواء في الدورة الدموية. فهم أسبق منافي كل ما وصل طبهم إليه من القواعد الصحية لحفظ الأجسام ودفع العاهات عنها. وكل فرد في الوجود مكلف بحفظ كيان ذاته باتخاذ ما ذكر بعناية ونظام ودقة أشعاف ما يطلبه مالك الأرض لحسن نباتها وخصوبة أرضها ووقايتها من سائر الآفات الجوية وغيرها.

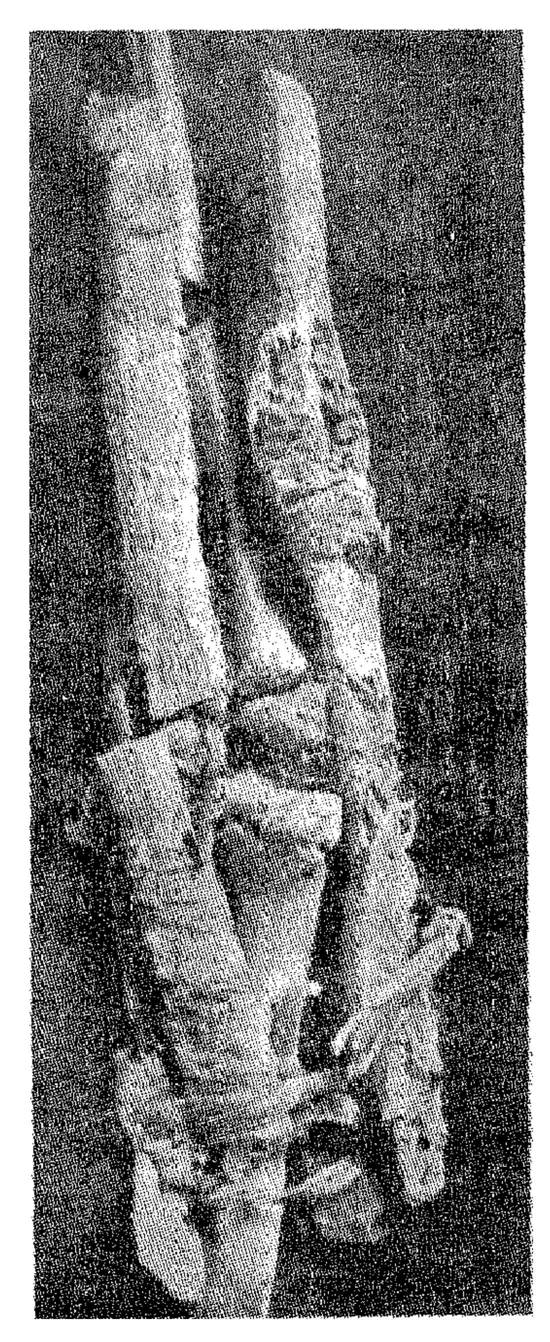
وتوصل أيضا قدماء المصريين إلى تقدير مرور الدورة الدموية بالثواني في الشرايين والأوردة. وترجم من ورقة إبرس الطبية ما يؤيد نبوغهم في هذا البحث الجليل وما اتخذوه بناء عليه في تقاريرهم العلمية للتوقي من العدوة، لأن أوعية الجسم باستعدادها تسرع في تلقى الجراثيم وفي انتشارها أن لم تستدرك في أوائل الأمر بالمقاومات المانعة لإخطارها، وفيها أيضا بيانات وافية تثبت أن الكبد هو معمل الصفراء، وإن عوارضها تشاهد عند البحث في تحليل البراز وترشد إلى تحديد المرض بكونه ناشئا عن الصفراء أو عن عوارض في الكبد.

وحاشا أن تكون علومهم قاصرة على النذر اليسير المدون في الأوراق البردية التي عثر على بعضها، وعلمنا من بعض محتوياتها مقدار مواهبهم وسعة أحاطتهم العرفانية إذ لا يعقل أن تكون علومهم ومؤلفاتهم قاصرة على ما في هذه الصحف فقط بدليل أنها شذرات مما أبقت الدهور في جدران ومبان تقادم عهدها ولم تحو من آثارهم وبراعتهم إلا جانبا مما دثرته الأرض تحت بطون الأجيال، بدليل أن المعلومات الجزئية التي جادت الحوادث بظهور بعضها على أيدي الباحثين كانت في فنون متنوعة تنبئ عن سعة كبرى وتضلع مزيد، لا انها خاصة بموضوع معين تتلاقى عند نقطة محدودة فيتخذ الجاحدون ذلك كمهاد للقول عنهم بما تصور للجاحدين جهالتهم فجهل الذاهبين إلى هذا الزعم لا يزيد وزنا عن انكار الأعمى للشمس في ضحاها.

علم الجراحة

ثبت من البيانات الماضية أن علم التحنيط الذي امتاز به قدماء المصريين ،وأعجزوا ببراعتهم فيه جميع الأمم من مستلزماته الأولية علوم شتى يتوقف على النبوغ فيه إتقانهم لها. فالتشريح والجراحة وعلم النبات وما يتبع هذه الفنون الثلاثة بمنزلة الوسائل الأولية له. وعدم اشتمال بعض الاوراق البردية الطبية على علم الجراحة لا يؤخذ دليل على عدم انتشاره في عهدهم، إذ من القمر في المعلومات التي أوردناها نقلا عن أوثق المصادر التاريخية أن طبقات من الكهنة في المعابد والهياكل كل التي كانت تجاوزها المدارس والمستشفيات في تلك العصور الزاهرة كانوا يؤدون الأعمال الجراحية في العيادات المجانية للفقراء والجماهير المترددين عليها. وكثيراً ما عثر علماء الآثار على آلات جراحية بديعة في اكتشافات متعددة، منها ما وجده المكتشف كومري (**Comrie**) في مقابر طيبة يرجع تاريخها إلى العصر المعدني أي سنة **١٥٠٠** ق.م.

قال بلين وديوسكوريد (**Dioscoride**) أن الأطباء المصريين من الكهنة لم يقصروا أعمالهم في الفنون الطبية على علم منها دون الآخر، بل كانوا متضلعين فيها إلى النهاية ولا يقفون في التجارب والاختراع إلى مدى محدود. ومن براعتهم في تبنيج الجروح عدم اقتصارهم على مادة البنج المعروف، بل كانوا يصنعون مادة له (من الرخام المصري أو من حجر معروف بحجر منفيس) يمزجونة بعد سحقه بالخل ويوضع على الجرح، فلا يشعر المريض بألم لا من البتر ولا من الكي وهذا المزيج يتكون منه مبدئيا مادة حمض الكربونيك الذي له تأثير البنج في الاجسام وقد شوهدت بعض الجماجم المحنطة مع تلك الجثث (التي أدى اكتشافها إلى معلومات جليلة طبية وغيرها) جراح ملتئمة تنبئ أنها آثار عملية جراحية وقد مضى على هذه الجثث والجماجم نحو ستة آلاف سنة.



رسم كف مكسور ملتصق بجبائرة

يرجع عهده إلى الأسرة الخامسة عشر عليه العالم إليو سميث

ووجد في مقبرة بني حسن رسم له نحو ثلاثة آلاف سنة يمثل طبيبا متربعا يباشر عملية جراحية لمريض في رأسه. وقال ارمند روفر إن قدماء المصريين كانت لهم خبره تامة بالفنون الطبية والجراحية وجميع مستلزماتها، وتوصلوا بذكائهم إلى صناعة ثقب عظام الرأس للأحياء ما تدعو الأحوال العلاجية بكل تحفظ واحتياط في شأنها، ولا شك في أن ثقب هذه الجماجم يستدعى مهارة أكثر مما يستلزمه ثقب اللآلئ الثمينة التي تحلى بها نفائس المقود لحسان وتيجان الملوك.

تجبير الأعضاء

مما اشتهر به قدماء المصريين فن تجبير الأعضاء ، ولهم في أساليبه براعة تامة تدل عليها المشاهدات الدقيقة المنبئة عن عمليات من نوعها أجريت لكثير من الجثث المحنطة حين حياة أربابها، فقد لوحظ في بعض تكسر الأعضاء الحيوية وإتقان معالجتها وتجبيرها بمعرفة أولئك الحذائق الماهرين حتى عادت في الطول والعرض بمثابة خلقتها الأولى. وقد وجد الأستاذ إليوسميث **(Eliot Smith)** جثة إمرأة مكسورة الكفين كأنها سقطت من مرتفع وشاهد بها قطع خشب (المسماة عرفا جبائر٩ لاصقة بالكف ذات لفائف محكمة تشهد بإتقان في الصناعة ودقة في المعالجة. وكثيرا ما وجدت في الاكتشافات مسائل التجبير في عظام الأيدي والأرجل والكتف والفخذ والأضلاع، ولم يكن فيما عثروا عليه أثر تجبيرات للركبة (وهي في ذاتها نادرة الحدوث إلا في الوقائع الحربية).

وفي القسم الخاص بالآثار المصرية في المتحف البريطاني توجد جثه شاب دون البلوغ له أذنان صنعتا من القطن بمزيج الصمغ الصنوبري وكان من المقرر في بعض القوانين بعصور سالفة قطع الأذنين عقابا على جرائم معينة، وكأن هذا الشاب نفذت فيه هذه العقوبة واستعيض عن أذنيه بغيرهما من هذا الاختراع محوا وستراً لآثار الجريمة من هيكله الإنساني، كما تجوز اصابتهما بحادثة استعدت بترهما، فاستعاضوهما بهذا

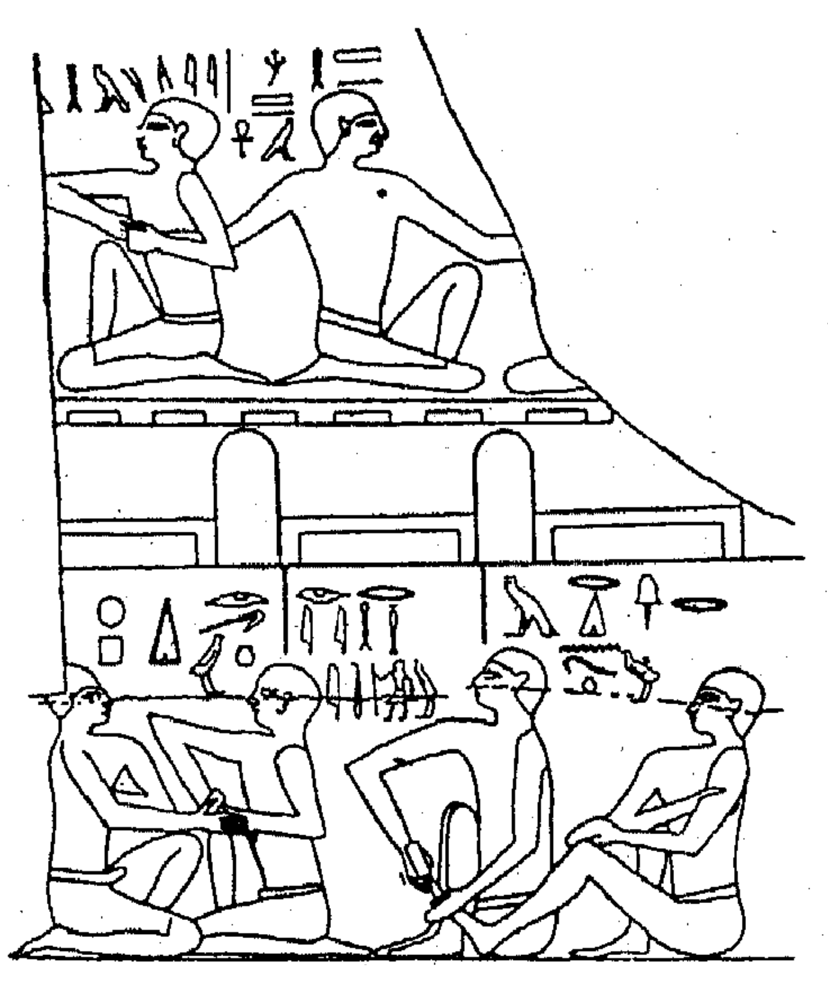
الاختراع ،حتى لا تنقص التموجات الهوائية في معاطف الآذان التي عليها المدار في أداء حازسة السمع لوظيفتها الطبيعية. وتدل بعض آثارهم أيضا على أنهم كانوا يستعملون الختان وقطع الخصيتين في ظروف خاصة.

واكتشف الأثرى لوريه في مقبرة الأطباء بناحية سقارة رسوما شتى ي جوانبها عمليات جراحية كثيرة، ويرجع عهد هذه المقبرة لعصر تيتي أول ملوك الأسرة السادسة أي منذ ٢٦٠٠ سنة ق.م وكانت تنسب لأحد السراة في عصره الحريصين على تخليد ذكرهم للآثار العمرانية النافعة.

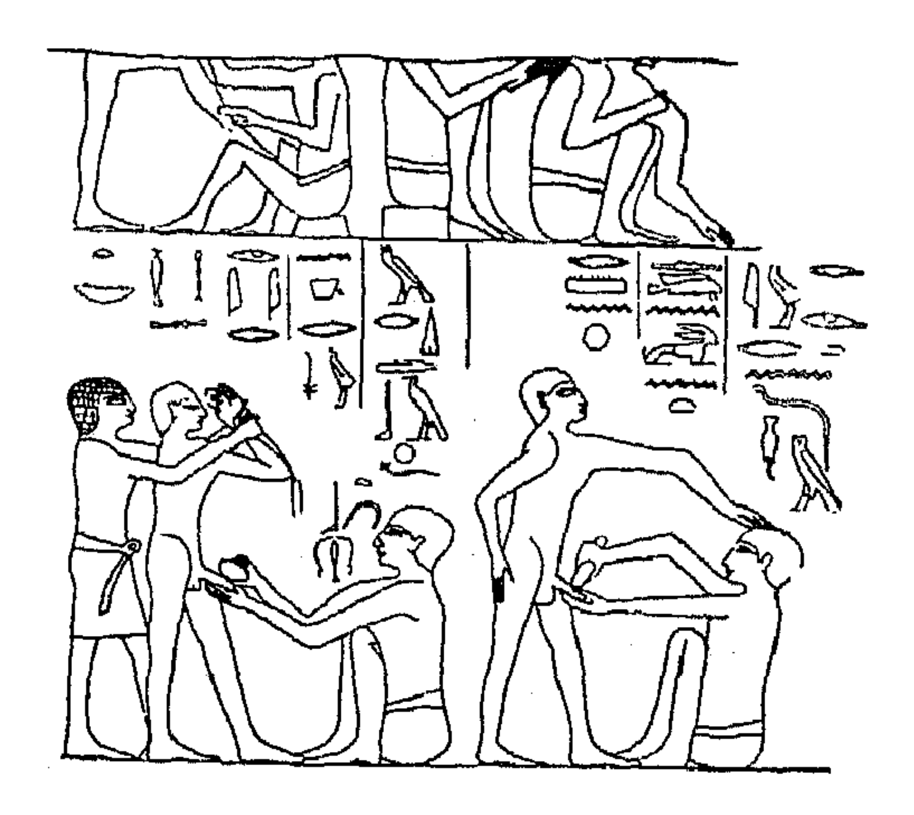
والرسوم التي في الجزء الأول إلى يسار المقبرة تمثل طبيبا يجري لمريض عملية جراحية في يده، والتي في الجزء الأسفل تمثل طبيبا يجري عمليتين لمريض واحد احداهما في اليد والثانية في القدم.

وبجانب باب المقبرة الى اليمين يرى رسم طبيبين أحدهما أمامه مريض مرتفع اليدين يقبضهما آخر، والثاني أمامه مريض غيره رافع يديه ولا يمسكها أحد. وكلا الطبيبين يؤدي لمريضه عملية جراحية في عضو التناسل، والراجح أنها عملية ختان أخذاً من شكليهما الدالين على كونهما من الشبان، وكان من عاداتهم وقتها تأجيل الاختتان إلى قرب الزواج. وهذا الرسم يمثل في يدي الطبيبين سكينا مقبضها من حجر الصوان كالتي وجدها المسيو لورتيه **(Lortei)** في أبيدوس المحفوظة الآن في متحف ليون وتذكرنا أيضا بما وصفته التوراة لأنواع بعض السكاكين.

وقد نش العالم الأثرى شاباس سنة ١٨٦١ صورة رسم في إحدى المجلات منقول عن معبد خونسو بالكرنك، يرجع تاريخه إلى الأسرة التاسعة عشر أي سنة ١٣٠٠ ق.م يمثل صبيين بين السادسة والثامنة من العمر أمامهما طبيب يجري لهما عملية الختان ويظهر أنهما من أولاد رعمسيس الثاني مشيد هذا المعبد، وكان هذا التمثال في العصور الماضية من مشتملاته.



رسم أطباء مصريين يجرون عمليات جراحية في أيدي وأرجل بعض المرضى هذا الرسم مأخوذ من قبر الأطباء بسقارة من عهد الملك تتا الثاني أول ملوك الأسرة السادسة أي حوالي ٢٦٠٠ سنة ق.م.
وترجمة النقوش المصرية القديمة المكتوبة على هذا الرسم في القسم الأعلا من اليسار إلى اليمين "أمسكه ولا تدعه أن يكون..." والقسم الأسفل إلى اليسار يقرأ من اليمين إلى اليسار وترجمته "أعمل هذا واجعله أن ينتهي" والجملة الواقعة في الوسط تقرأ من اليسار إلى اليمين وترجمتها "أني سأعمل لك حسب رغبتك يا أمير" والجملة الأخيرة الواقعة إلى اليمين تقرأ من اليسار إلى اليمين وترجمتها "إني أجعله لذيذا لذاتي"



ترى في الجزء الأسفل من هذا الرسم طبيبين يجريان عملية الختان لشابين وهذا الرسم مأخوذ من القبر الشهير بقبر الأطباء بسقارة

منشأ الختان

اختلف المؤرخون في منشأ الختان ،وترجحت أكثرية الآراء القائلة بأن منشأة وادي النيل بدليل الرسوم المتقدم ذكرها، وقد عضد رأيهم هذا المؤرخون المتأخرون وفيهم هيردوت وديودور الصقلي وسترابون. وفي جملة ما استدلة به على ذلك وجود تمثال كاهن يدعى أنيساخا **(Anisakha)** من الأسرة الخامسة أي منذ ٢٧٠٠ ق.م غارى الجسم مختونا وهو من محفوظات المتحف المصري الآن بالطبقة السفلى بقاعة حرف **B** بالخزانة الواقعة في الجانب القبلي رقم ١٦٢.

وكانت عاداتهم ختان الكهنة في دور الطفولة دلالة على أن آباءهم خصصوهم للخدمة الدينية، فينشأ الطفل على التربية اللائقة بها فيحترمه خلطاؤه لأجلها. وقد روى أكليمندس الأسكندري بيثاجور الكاهن لما قدم لمصر سنة ٥٥٠ ق.م وزار مدينة هليوبوليس، وعلموا أنه غير مختتن نفروا منه وطردوه من البلاد لكونه أجنبيا ولم يحترم عادات مثله فيها، فخضع للعرف المتبع وأجرى لنفسه عملية الختان. فبعد التثبت منها قبلوه في مدارسهم ومارس طرق التعليم الخاصة وانتظم في سر الكهنوت وتلقى عند رجاله أسرارهم البالغة وعلومهم وناله عندهم حسن الزلفى.

واستمر الختان عادة اختيارية في المصريين لمزاياه الصحية ثم أخذه عنهم الإسرائيليون وبالغوا في شأنه إلى أن جعلوه عنوانا طائفيا عندهم ومن لوازم شعائرهم الأساسية كما تؤيده الاكتشافات الدالة عليها الجثث المحنطة ويؤكده هيردوت وغيره من ثقاة المؤرخين.

ونقل المؤرخ الألماني الكبير أوفل **(Oefele)** أن الخصى كان فاشيا في مصر، لأن الفراعنة كانوا يتخذون أغوات خداما خاصة لنسائهم. وكان من قوانينهم اتخاذه كعقوبة لمن أكره امرأة على الفحشاء، ولهذا رأى كبار الإطفاء تمرين كثير من الكهنة

عليه ليكون في جملة العقوبات التي ينفذونها على المجرمين كواجب ديني.

ثم سرت عادة اتخاذ الخصيان لبعض الملوك وعند الأمراء والعظماء وألفها الرومان عند احتلالهم مصر مدة سيطرتهم عليها.

الرمد ومعالجته

اشتهر قدماء المصريين بالبراعة في علاج الرمد، براعة أوجدها في نفوسهم توسعهم وتضلعهم في مجموع العلوم الطبية وغيرها. وألجأهم إليها انتشار أمراض العيون في وادي النيل انتشارا لا يعهد مثله في الأقطار الأخرى كما هو مشاهد الآن. وذاعت شهرتهم لدى جميع الممالك حتى أن شورش (Cyrus) ملك العجم احتجاج في بعض السنين إلى أطباء مهرة لعلاج عينية فلم يجد في مملكته ولا ما يجاورها من يرتاح للثقة بهم، فانتدب طبيبا خاصا من مصر استوفده إليه، وبعد نواله تمام الشفاء على يديه كلفه بتعليم الطرائف الفنية الحديثة لأطباء بلاده، فأجابه لذلك خدمة للإنسانية وطاعة لأمر مليك معظم أكرم وفادته وأغدق عليه نعماءه.

وفي جملة النصوص الطبية المدونة في ورقة إبرس البردية، التي سبقت الأشارة إليها أحصاء لأمراض العيون وعلاجها، ومن انواعها التهاب الملتحمة المسبب للغشاوة والتهاب القزحية المسبب لسيلان الدموع ومرض الذباب الطائر والالتهاب الجفني والنقطة القرنية والشطرة الجارحة والورد الصغير في الجفون والعمى.

وكانوا يسرعون في استءصال شعرة الرمش من العين قبل تأثيرها على الشحمية بحالة تمنع عودتها كما كانوا يعالجون أمراض الجفون الداخلة ببراعة مدهشة. ومع كونها من الأمراض الدقيقة فقد لاحظ الدكتور جارينو (Guarino) في بعض الجثث المحنطة آثار المعالجة الباهرة التي اتخذت لأمراض الجفون الداخلة التي نحن بصددها، فكن اعترافه لهم بالفضل فيها داعيا لمزيد الاعتراف بفضله أيضا على دقة بحثه حتى في الجزئيات الغامضة. ولم يكونوا يمنعون في معالجة العيون من الأمراض البسيطة استعمال الكحل والمراهم متى كانت من المواد المعدنية النقية أو النباتية ومطابقة في تركيب للطرق العلمية.

ومع انتشار العلوم عندهم إلى هذا الحد من التفوق والارتقاء الباهر كان يوجد بين طبقات العامة من يبدأون علاجاتهم بالرقي والسحر التي يعتقدونها. وكان الكحل والمرهم يتخذه نساؤهم للعناية والوقاية من أمراض العيون بكل احتياط واهتمام بالوسائل الاصطناعية لها كالحور وتزجيج الحواجب وتخضير العيون ولذلك نوعان من الدهان احداهما أخضر والثاني أسود والأول وصفه الدكتور فلورانس **(Florence)** لأنه مزيج من هدروسلفات النحاس والأسود من سلفات الرصاص المفضضز وقال بعض المؤرخين إن الدهان الأسود من الأكسيد الثاني للمنجانيز أو أوكسيد الحديد أو سلفات الأتيموان. وهذا الدهان الأسود كان يستعمل للزينة والعلاجة من العوارض الرمدية الاعتيادية في أدائها.

ويوجد في متحف ليد صندوق كان فيه أنواع من التبهرج والزينة للسيدات المصريات وبه أربع عيون مكتوب عليها النقوش الآتية باللغة المصرية القديمة.

(١) الدهان اليومي للأعي (٢) الدهان المخصص لزينة الأعين

(٣) الدهان الجالب للمدامع (٤) الدهان لاستجلاب الحيض في غير أوانه



رسم المعبود حورس وخلفه أعين وأذنان ربما كان غليه العيون والآذان

أمراض النساء وفن التوليد

إعتاد المصريون في عصورهم الأولى التبكير بالزواج ، لاعتقادهم أن به صيانة النفوس من التلوث بالنقائص ومراعاة لاستلزام حرارة الجو. وقد قال بعض الحكماء لتلاميذه ما معناه: "إن من بادر بالتزوج في صباه وهو في ريعان الشباب وإقبال الحياة يمكنه أن يرى في شيخوخته ذرية تسره نشأتها ويستطيع تربيتها على ما أوتي من نشاط وسعة في الرزق فيكونون لعينة قرة ولأمالة ذخراً، ويزداد برهانا على صلاحيتهم لما يتمناه لهم من السعادة، ويمكنه إرشادهم لما ينفع مستقبلهم ونجاح التجارب الأبوية التي يبتغيها أولو الحزم للإطمئنان النفسي على نسلهم بمستقبل سعيد يقنعه في أنهم سيكونون له أثرا صالحا"

وكانوا لا يمنعون التزوج بالأقارب حتى توسعوا إلى إباحة أن يتزوج الرجل الأخت من أمه فقط وحرموا التزوج بالأخت الشقيقة أو الأخت لأب إلا عند اقتضاء أحوال خاصة في شؤون العائلات المالكة حرصا على نظام التوارث. وتصريحهم بالزواج من الأقارب ينفي رأى القائلين بأن هذا الزواج يؤدي إلى ضعف في التناسل وإحداث بعض أمراض أو يعرض صحة الزوجين للضعف أو قد يؤدي إلى الجنون أو الصمم أو العجز أو البكم إلى آخر ما تخيله أصحاب هذا الرأي الذي جاءت الحقائق مفتدة له كما شرحه السر أرماند روفر في مباحثه عن أحوال الفراعنة المولودين من زوجين ذوى قرابة، فقد قرر أنهم كانوا رجالا أقوياء أذكياء عمروا طويلا وانجبوا كثيرا، وكان لأحدهم فوق الثمانية أولاد ولهذا استطاعوا أكبر الأعمال وتشييد من أخواتها ولم ينقطع نوعها ولم يوجد بها ضعف مطلقا (يرجع منشأؤه لاحوال هذا التناسل.)

وقد وجد بين الأوراق البردية الطبية مثل ورقة إبرس وبرلين وبترى نصوص تختص بأمراض النساء كالإجهاض والسيلان المهبلي والقلق الحيي وطرق معالجتها بما

لا يتنافى مع الالكتشافات العلمية الحديثة كالحقن وغيرها، مما يوصل لمنع النزيف وزوال العوارض من الأرحام.

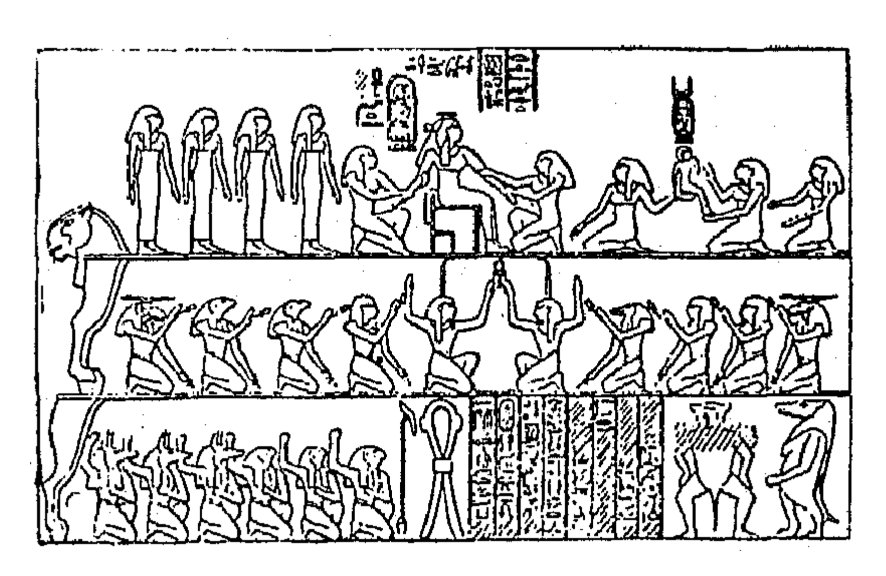
وكانوا يتشجعون في الطرق العلمية بكل التجارب المكتشفة لمعرفة الحمل والتوقي من الإجهاض والعناية بالحبالى حتى ينتهي تكوين الجنين وتسهيل الوسائل لتمام الولادة وتأمينها من كل خطر.

ومما وجد في ورقة إبرس تعليمات خاصة عن والدة النساء تناقلتها الكاهنات عن المعبودة نيت التي لقنتها قديما للمولدات في مدينة صا الحجر ،وكانت أولئك الكاهنات لإشتهارهن بالصلاح والتقوى تلقبن بأمهات ربانية.

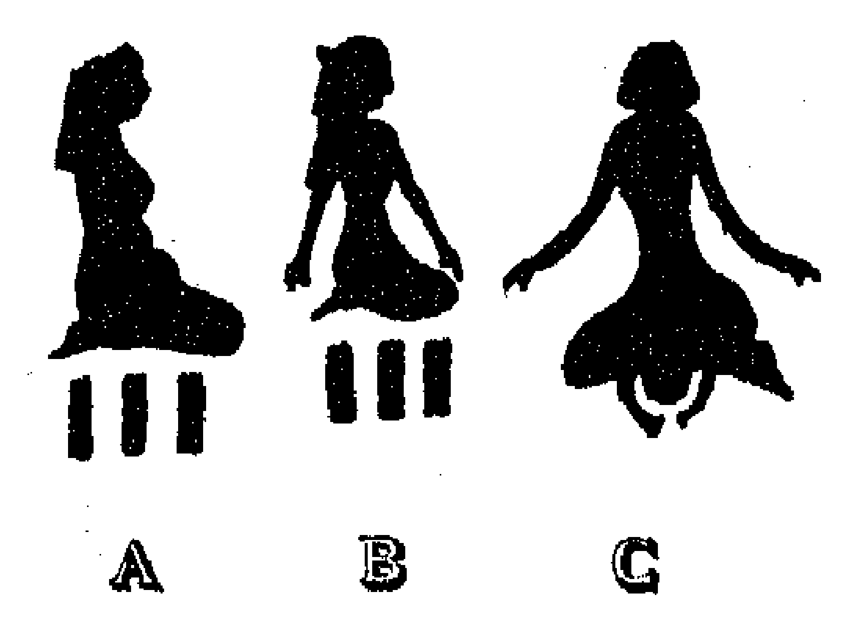
وفي متحف برلين ورقة بردية أخرى تعرف بورقة وستكار **(Westcar)** يرجع عهدها للأسرة الثانية عشر (سنة ٢٠٠٠ ق.م) وفيها ما يجب الاحتفاظ به لسلامة الوالدات ووقاية الأطفال وقت الولادة وغسل المولود وقطع صرته وتطييب ملابسه بما يستطاع.

وكانت توجد عندهم مقاعد للوالدات (كراسي) من ثلاثة أجزاء حجرية يوضع فوقها بعض الآثاث لراحة الوالدة وأن تكون من بدء.

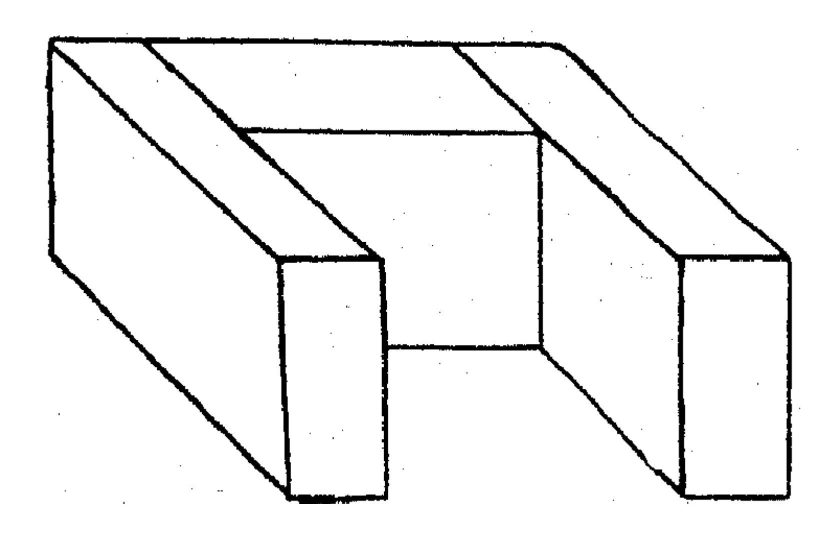
المخاض في جلوسها على هذه الكراسي منحنية إلى الأمام وبين قدميها قضاء يساعد على انزلاق الجنين حين وضعه ،فتتلقاه القابلة بالتحفظات الواجبة لصيانته وراحة أمه. ويرجع العهد في استحداث هذه المقاعد إلى زمن الأسرة السادسة (أي سنة ٢٥٠٠ ق.م) ولا زالت عادة الجلوس على هذه الكراسي متبعة إلى الآن مع طرق في التحسين تتفاوت بقدر طبقات العائلات في الأقاليم وما تؤدي إليه رفاهية السعة والاستطاعة بين الناس. ويدل على تداولها هذا الشكل المعروف فيما اعتاده الناس للوالدات وجود رسمين أحدهما في معبد الدير البحري الذي شيدته الملكة الشهيرة حتشبسوت منذ ١٥٠٠ سنة ق.م والآخر في معبد الأقصر الذي أقمه الملك أمنوفيس الثالث منذ ١٤٠٠ سنة ق.م.



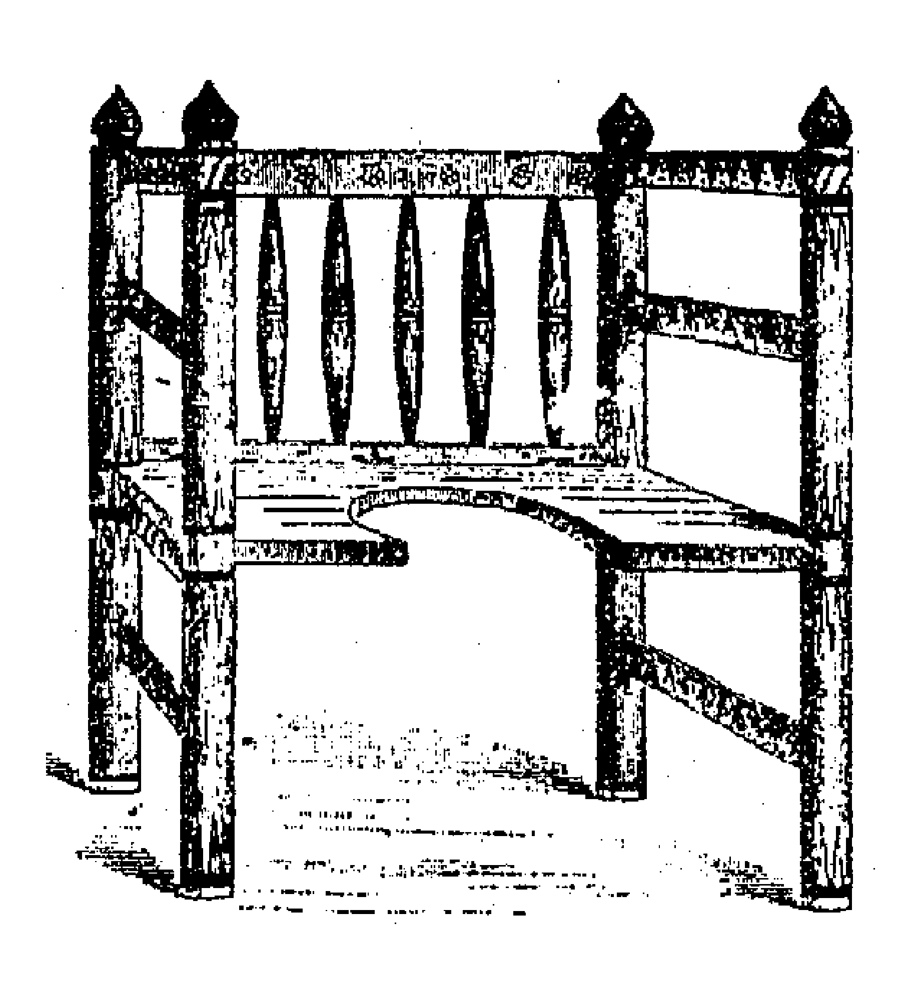
رسم ولادة الملكة موت م و مأخوذ من معبد الاقصر



هذه الرسوم الثلاثة أشارت هيروغلوفية تعني فكرة الولادة. فالرسم المرقوم برقم (A) يرجع عهده إلى الأسرة السادسة المصرية والمرقوم برقم (B) إلى الأسرة ١٢ والمرقوم برقم (C) إلى الأسرة ١٨.



رسم مقعد للوالدة من الحجر يرجع عهده إلى الأسرة ٦ (أي منذ ٢٥٠٠ سنة ق.م)



مقعد للوالدة المستعمل الآن في الديار المصرية وبلاد الشرق وهو مصنوع على مثال كرسي الوالدة عند قدماء المصريين السابق ذكره

الرضاع والفطام

العناية بالرضاعة من الاحوال الفطرية التي خلق الناس عليها من عهد نشأتهم، ولكن ملاحظة القواعد الصحية في شأنها هي التي جاءت بها مدينة العصور والإرشادات المفيدة وكان لقدماء المصريين القدح المعلى ،ولا ريب في ذلك، لأن أدوار الحياة بالنسبة لكل مولود تبتدئ بعد وضعه بما يصادفه من حسن الحظ في العناية بإرضاعه. ووجدت ضمن الأوراق الطبية الأثرية مباحث كثيرة عن ذلك، ومن بينها العناية بأمراض الكثديين واستدرار لبنها الذي هو المادة الأولى في تربية المولود. ووجد في كثير من المعابد المكتشفة مناظر الرضاعة والوالدات ومنها رسم أزيس ترضع ابنها حورس ورسم المعبودة أزيس أو هاتور ترضع ابنها فرعون في صغره.

والأفضل طبيا لصحة الأمهات أرضاعهن الأطفال تخفيفا للاحتقانات المتسببة عن احتباس اللبن في الثدي ولتكون عاطفة الحنان مقترنة بالرضاعة فتزيد مع نمو التربية وتستديم في القلوب الرأفة والرقة. ومهما كان حرص السيدات على رونق الذي وزخرفة الثياب فالاعتبارات القلبية أسمى ذوقاً وأرقى أثراً (المترجم).

وكان الطفل يفطم وعمره ثلاث سنوات بدليل ما جاء في حكم آني الفيلسوف المصري القديم بقوله: "إن الله سخر لك أما كابدت كل مشقة حين حملتك وولدتك وأرضعتك ثلاث سنوات وربتك ولم تأنف من فضلاتك؛ ولم تسأم معانا؛ تربيتك، ولم تكل أمرك لغيرها يوما ما وكانت تبر اساذتك وتواسيهم كل يوم ليعتنوا بتعليمك. والآن صار لك أولاد فاعتن بهم كما اعتنت بك أمك ولا تغضبها لئلا ترفع يديها إلى الله فيستجيب دعاءها عليك".



(البقر هانور)

هيكل كبير عثر عليه بالدير البحري بطيبة والأصل محفوظ اليوم بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بقاعة رقما ٤٤٥ و ٤٤٦ وداخله بقرة يرمز بها لهاتور إلهة الأنوار السماوية وهي تقود الموتى إلى مملتكها حيث يلحقون بابنها حورس معبود الشمس وتحت رقبتها تمثال صغير للملك نحو تمس الثالث ونحتها صورة هذا الملك يتلقى اللبن من ضرعها (الأسره ١٨)

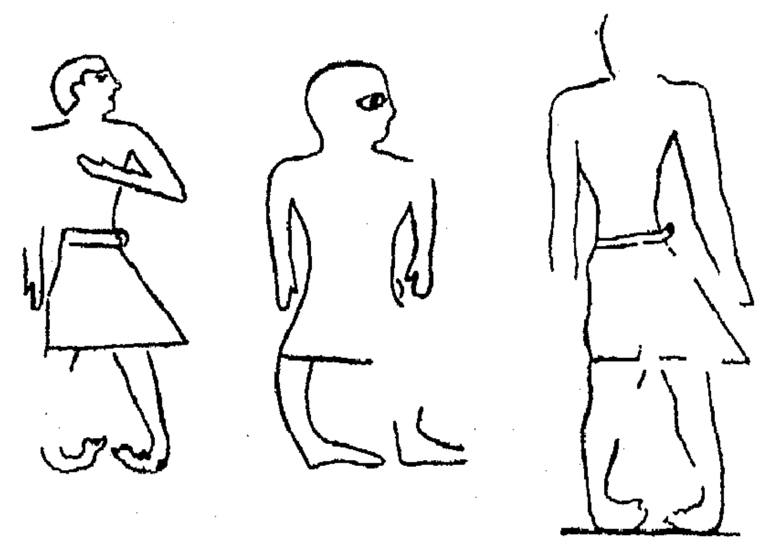
أمراض متنوعة عند قدماء المصريين

كانت بوادي النيل أمراض منتشرة جعلت علماء الطب في ذاك الحين يبذلون عنايتهم في تشخيصها وعوارض اصاباتها ووسائل التوقي منها وطرق علاجها ،باعتبار التأثير الذي يتفاوت في بعض الأجسام قوة وضعفا.

وكان من أكثرها انتشارا انتفاخ القلب واستسقاء التامور وفقر الدم والحمي البطاحية والتهاب الأمعاء والبواسير والدمامل وكثرة البول والسلس البولي والبول الدموي والصداع وأمراض الأذن والأسنان والشلل والحمرة والنقطة، كما تدل عليه الأوراق البردية التي اكتشفت في تواريخ كثيرة، وعلى قدر انتشار هذه الأمراض كانت عنايتهم بتجديد العيادات والإكثار منها في الأقاليم.

وكانت للأطباء براعة بحذق الفطنة وقوة الإلهام في تشخيص الأمراض عند رؤيتهم للمريض في المرة الأولى علاوة على ما يظهر لهم من هيئته ولونه واختبار أعضاء الجسم والجلد والشعر والأظافر وتحليل البول وغيره والتدقيق في فحص الأجزاء المستترة بكل الوسائل حتى الحوايا والأعضاء الحيوية بداخل البطن ليس باللمس فقط ،بل باستعمال الكرق الفنية عند الحاجة إليها.

وبواسطة ما بذلوه من إكثار المستشفيات والعيادات ومواصلة المباحث اتقنوا علاجات باهرة في إبراء كثير من الأمراض كان لهم الفضل الأوفى في نجاة أصحابها من أشد الأخطار وفي الجثث المحنطة.



رسوم موجودة في مقابر بني حسن يرجع تاريخها إلى ٢٣٠٠ سنة تمثل ثلاث أشخاص مصابين بالكسح.



رسم شاهد قبر الكاهن المدعو روما (الأسرة ١٨) والأصل بمتحف كوبنهاج (الدنمارك) تشاهد فيه صور ها الكاهن وزوجته خلفه وابنهما بحجم صغير. ويفهم من هذا الرسم أن الكاهن كان أعرج ومنه يستدل أيضا أنه كان مصابا بشلل الأطفال.



رسم جثة كاهن للمعبود آمون (الأسرة ٢١ أي منذ ١١٠٠ سنة ق.م) مصابة بداء إحدى عظيمات العمود الفقري وعرف هذا الداء بمرض بوت (Pott) نسبة إلى مكتشفه طبيب انكليزي.

والهياكل الجسمانية المحفوظة بمتحف مصر والإسكندرية أكبر دليل على ذلك ومثلها المقابر الأثرية بالوجه القبلي الحاوية لكثير من الجثث، واتضح أنها كانت مصابة بأمراض مختلفة ذكرت تلك الأوراق البردية الثمينة تفصيلات جمة بشأنها.

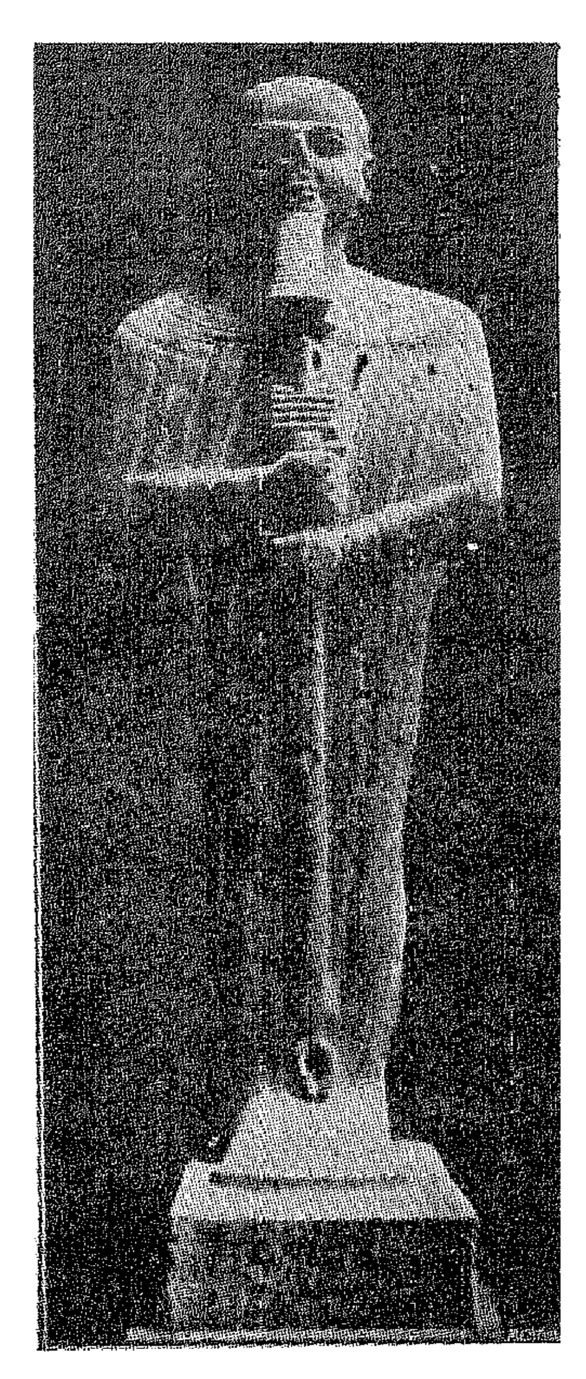
ومما هو جدير بالذكر والأعظام في تاريخ العصر الحاضر ما نتج عن بناء خزان أسوان الذي بسببه اكتشف أراضي كثيرة كانت تحت مجرى المياة واكتشف بسبب هذا الخزان لأن موقعها منع عنها الماء بسبب حجزة وتحويل بعض المجارى عن الاتجاه القديم، فاهتمت الحكومة بعد سنة ١٩٠٧ بانتداب لجنة أثرية لفحص أحوال تلك الأراضي واكتشاف ما قد يوجد في خباياها. وتوصلت هذه اللجنة لاكتشاف كثير من النفائس الأثرية والمقابر المحنطة بجثث كثيرة. وتوصل الأستاذ (اليوثمث) بمعونة (وود جونس **Wood Jones**) لاستخراج كمية كبيرة من أعضاء الانسان يرجع تاريخها إلى عصور وجدت قبل التاريخ، وبفحص الأعضاء والجثث المذكورة تبين أنها كانت مصابة بأمراض متنوعة، كما أنه يوجد بين أيدينا الأن جثث مشوهة في اليدين والرجلين وبعضها مقطعة الأطراف مما يعد دليلا قطعيا على كونها نشأتز عن عوارض البرص ونحوه، وفي بعضها أمارات دالة على إصابات زهرية وجدرية والسل الرئوي والطاعون إلخ.

والحالة الجسمانية للجثث التي بها هذه العوارض لم تتحول عن هيئتها الطبيعية في التركيب والمتانة، ولكن الجثث التي يرجع عهدها للدول الحديثة دلت حالة اسنانها على وجود عوارض التسويس فيها.

وقد زعم بعض المؤرخين أنه لم يوجد في آثارهم ما يدل على معرفتهم بصناعة تذهيب الأسنان المجوفة، وقد فند هذا الرأي علماء الآثار باكتشافاتهم الحديثة وما وجدوه أخيرا في أسنان بعض الجثث إذوجدوافيهاسنة محلاة بالذهب، وقال ان تاريخها يرجع إلى العصر الروماني ودل شكلها على أنها غير مسطحة واستنتجوا انهاكانت من قبيل ما يستعمل للزينة فقط ولا تصلح للمضغ وهذا لا يوصل إلى النتيجة المزعومة.

ومن عجائب الاكتشافات تمثال قزم (رجل قصير جدا) من الحجر طول نصفه الأعلا اعتيادي وأعضاء النصف الآخر قصيرة جداً وعليه كتابة تبين أنه صورة خنوم حتب من أمراض الأسرة الخامسة (أي سنة ٢٧٠٠ ق.م) ووجد هيكل آخر في الدير البحري على هذا النحو وظهر أنه تمثال ملكة بلاد يونت (جنوبي بلاد العرب) من مدة الأسرة الثامنة عشرة وكلاهما بالمتحف المصري الآن.

واستدل قدماء المصريين بمباحثهم على أن الجرذان (الفأر) تنقل أمراض العدوى بالطاعون كما أنها كانت تتسلط على النبات فتقرض جذور ساقة في المزارع ويحدث عنها بعض الأحيان جدب في المحاصيل يقترن بالمجاعة وفتك الطاعون فعولوا على مصادرة هذا العدو بكل الوسائل دفعا لمضارة عن الإنسان والحاصلات الزراعية. وقد مثلوا المعبود فتاح قابضا بيده على هذا الحيوان تخليدا لذكرى انتصاره على الأشوريين الذين حاربهم وقهر ملكهم سنشريب، وان سبب هذا الانتصار التخأ ستون **(Sethon)** فرعون مصر بالمعبود فتاح فاتجاب المعبود دعاءه وسلط على جيش أعدائه أنواع الجرذان فأفنت عندهم المواد الحيوية وأكلت حبال الأقواس ومقابض الدرق فلم يستطيعوا المقاومة وانهزموا أمام مدينة نينوي .



فتاح إله مدينة منفيس



رسم القزم خنوم حتبو يدل على شكل صاحبه



ملكة بلاد بونت وقد اعتراها مرض غير ملامحها وشكلها تمام التغيير

داء البرص

في كتب المؤرخين أن انتقال هذا الداء إلى مصر كان من آسيا بواسطة العبرانيين والفينيقيين الذين كانوا يترددون طلبا للارتزاق. وقد ذكر هذا الداء في ورقة برلين البردية، وروى بشأنه مانيتون المؤرخ المصري القديم ان منفتاح الأول ابن رعمسيس الثاني أحد ملوك الأسرة التاسعة عشرة (أي منذ ١٢٠٠ سنة ق.م) نفى من أرض مصر نحو ثمانين ألف أسرائيلي مصابين بالبرص إلى محاجر طرة كيلا تنتشر العدوى بين الناس إذا خالطوهم ثم أجاز لمن برئوا منهم بالتوطن في مدينة تانيس شرق جنوب الدلتا ،التي كانت مهجورة بعد طرد الملوك الرعاة.

فيتضح من ذلك أن هذا الداء الوبيل انتشر في مصر بعهد الولة الحديثة وكانت أكثر اصابتاته بالعبرانيين الذين نقلوه بالعدوي إليها ،واستمر في وادي النيل إلى العهد المسيحي بدليل اكتشاف جثة مصابة به في ذلك العهد.

داء السل الدرني والسيلان

لاحظ الدكتور ثميث في بعض الجثث المحنطة أن أصحابها كانوا ماصبين بالتدرن الرئوي ولا ندري كيف استنبط ذلك منها لأن حالة الرئتين في الجثث المحنطة لا تساعد على هذا الاكتشاف فلا يتخذ ذلك دليلا على انتشار هذا المرض انتشارا عاما. وغاية ما يمكن قبوله من المباحث أن الرومان كانوا يرسلون المصابين بأنواع السل من بلادهم إلى مصر طلبا للاستشفاء بجودة هوائها وجوها النقي ولا يبد انتقاله منهم إلى الغير بطول المكث والاختلاط.



من آثار قبره الجديد بالأقصر

رسم الملك توت عنخ آمونم جالس على عرشه تراه نحيف الجسم وربما كان مصابا بداء السل ولذامات حديث السن وزوجته واقفة أمامه واضعة يدها عليه وبيدها الأخرى اناء للشرب تقدمه لزوجهحا وفوقهما أتون على شكل قرص الشمس وهو معبود تل العمارنة واشعته تتلألأ على رأسهما. وهذا الرسم مأخوذ من ظهر عرش هذا الملك الذي اكتشف حديثا في قبرة بالأقصر وعرض بالمتحف المصري بالطرقة الشرقية بالطبفة العليا.

وقد قال المسيو (اليو ثميث) ان الأوراق البردية الطبية تنبئ بوجود داء السيلان عند أقراد قليلين، وكلن لم توصله مباحثه لتفصيلات عن وجود مرض الزهرى الذي أصبح في هذا العصر متشفيا عند كثير من الطبقات التي ابتليت بامراض التقليد ال؟مى فأصيبت من حيث لا تشعر بأمراض كبرى يعز دفعها عن الاجداد والأحفاد.

الطبيعة والطب عند قدماء المصريين

من النبات والحيوان ما يجلب للإنسان عوارض خطرة وأمراضا قتالة كما أن فساد الجو يبعث إليه جيوشا من الجراثيم الديدانات الحيوانية تنهتك مجموعة مهما اتخذ من الوسائل وتعمق في الرفاهية.

ومن بينها دودة المعدة والحشرات التي تلقح الأمراض الدموية والحمى المتولدة من المستنقعات، بسبب تصاعد المكروبات وتنشأ عنها إصابات بأمراض الفيل وغيرها.

ومن أشد هذه الديانات الخطرة دودة المعدة الوارد ذكرها في ورقة إبرس الطبية ولطن لم تذكرها تفصيلات ويظهر أنها كانت تعرف عندهم باسم (عاع) وتسمى اليوم بالأنيمية (أي شدة فقر الدم) وسببه هذه الدودة المذكورة، وما هي في الحقيقة إلا الدودة الوحيدة المعروفة اليوم. وكانوا يعالجونها باستعمال لباب النبات المعروف باسم سليخ أو جذور شجر الرمان. ولا تزال هذه الطريقة مستعملة إلى اليوم وكانوا يستعملون لها مع هذا العلاج الرقية بأدعية تتضمن طلب الشفاء من هذه العاهة الضارة، ودونوا عنها في كتبهم مباحث مستفيضة تدل على شدة العناية بها مثل بقية الأمراض الخطرة.



رسم الملك توت عنخ آمون

رسم الملك توت عنخ آمون والأصل بالمتحف المصري في قاعة T رقم ٤٥٧ نقل من الكرنك سنة ١٩١٤ وهو من الحجر الجرانيت وتدل نحافة جسمه وملامح وجهة على أنه كان مصابا بدأ السل.

كان هذا لملك أصغر ابناء امنحوتب الثالث. واختلف المؤرخون على أمه كانت زوجة شرعية لابية أو احدى سرار به. وكان من عاداتهم أن لا يتولى الملك الأمن كانت أمه زوجة شعية لأبيه إلا أن توت عنخ آمون تولى الملك بواسطة زواجه بابنه الملك خون آتون.

ويستدل من النقوش التي وجدت بالكرنك أنه حكم ست سنوات على الأقل. وفي مدة اقامته بتل العمارنة عاصمة المملكة المصرية تدين بدين اهلها وعبد الإله أتون حتى سمى نفسه توت عنخ أتون إلى أن استتب له الملك واستقامت أموره فذهب إلى طيبة ورجع إلى دين آبائه عنخ آتون إلى أن استتب له الملك واستقامت أمره فذهب إلى طيبة ورجع إلى دين آبائه من عبادة الإله أمون وغير اسمه فصارت توت عنخ آمون ومعناه (صورة أمون الحية) واهتم بتجديد معابد أمون التي هدمها الملك خون أتون مع معابد باقي الآلهة المصرية.



رسم الملك امنوفيس (خون اتون) وزوجته وأولاده. والأصل محفوظ في القسم المصري بمتحق برلين تحت نمرة ١٤١٤٥ وليس له مثال آخر في الابداع واتقان الصنع وكان مصابا باستسقاء في الدماغ وكثيرا ما كان يستر هذا العيب بالخوذة وقد صور رؤوس زوجة وبناته على مثال رأسه حتى يخفي عيبه واعتبر ذلك من سمات الجمال.

ظهر في جبل برل تمثال جميل لأسد رابض وهو محفوظ اليوم بالمتحف البريطاني بلندن ومنقوش عليه "أقام الملك توت عنخ آمون آثارا لأبيه أمنوفيس الثالث ففهم مشاهير علماء الآثار من هذه الجملة أن امنوفيس الثالث هو والد توت عنخ آمون حقيقة لأن كلمة (أتف) لواردة في هذه العبارة ومعناها أب تؤيد ما فهموه. وعلى هذا يتضح أن توت عنخ آمون وخون أتون أخوان ووالدهما هو أمنوفيس الثالث. ولكن نازع في ذلك بعض الأثر وقال.. أن كلمة (أتف) وان كان معناها أبافانة لا يقصد منها معنى الأب حقيقية بل بمعنى السلف.

الذباب

من الحشرات المنتشرة في مصر من قديم العهد إلى الآن حشرة الذباب ،وهي كثيرة الأنواع وكلها تساعد على نقل الرمد وغيره من الأمراض العضالة وتساعد على انتشار مرض العمى، بسبب ما ينقله الذباب بأرجله إلى وجوه الغير المعتادين على النظافة والتوقي وقد كثرت العميان بينهم بما ألجأ إلى عناية تامة في التوقي منه. ولكثرة المصابين به تحركت في قلوب الرحماء بذاك العهد البواعث على الاعتناء بتعليمهم الفنون التي يستطيعونها وكان من بينها الموسيقى كيلا يتعرضوا إلى الفاقة ولآلام الضنك.

ومما استفلت أنظار الباحثين أنه وجد في رسوم بعض الاحتفالات الرسمية المنقوشة في المعابد والهياكل ملك وزوجته في صدر حفلة احتفال كبرى، وبجانبها الخدم يحملون بأيديهم مراوح ذات أيدي طويلة يستعملونها لتجديد الهواء في الجلسة. وقال بعض المؤرخين أن هذه الحركة كانت لطرد الذباب عن الملك وزوجته إذ كان منتشرا في مصر بشدة، وأنه كان من ضمن الضربات التي ذكرت في التوراة مما قدر على مصر من الضربات الإلهية في العصور الأولى كأن تسليط الذباب عليهم كان بمثابة انتقام من فرعون لمخالفته الأوامر الإلهية في عدم تمكن اليهود من القاء بديار مصر.

البعوض

كان البعوض منتشرا في مصر قديما أكثر انتشاره في الجهات المجاورة للمستنقعات وموارد المياه والبحيرات ونحوها. وقد نقل هيردوت أن أهالي تلك البقاع كانوا يعتنون بجعل مبانيهم مرتفعة جدا لتكون في طبقات من الهواء عالية نقية بعيدة عن تطاير هذه الحشرة إليها ليستطيعوا النوم ليلا.

وكان لا يأوى إلى هذه الجهات إلا الذين تلجئهم ضرورة الرزق للتوطن بها كالصيادين ونحوهم ممن اعتادوا النوم داخل الشباك في أوقات راحتهم من أعمالهم.



أميرة لها عينان اصطناعيتان

رسم جثة محنطة للأميرة نزيتا نباشر (Nesitanebasher) الاسرة ٢١) ولها عينان اصطناعيتان واللفائف حول وجهها وأنفها

القمل

هو من جملة الضربات التي انتقم الله بها من الملوك المصريين عقبا على مخالفتهم أمره وتشديدهم مع الإسرائيليين ليبارحوا أرض مصرز وقد وجدت في الآثار القديمة أمشاط لتسريح الشعر يرجع تاريخها إلى ما بل هذه الحادثة يستعين بها النساء في إزالته من شعورهن، وان الرجال كانوا تخلصا منه يحلقون ذقونهم ورؤوسهم عند انتشاره بها، ويستعيضون عن الشعور الأصلية بغيرها مستعارة، ومنهم من كل يستعمل بدل ذلك قطعا ناعمة من القماش توضع على رؤوسهم وجبهاتهم وتتدلى اطرافها على صدروهم بشكل رداء أو الهول، وكان بعضهم يرى ان استعمالهذه القطع القماشية أليق صحيا لأمكان غسلها كلما تلوثت بتراب أو نحوه.

البرغوث والبق

لم تكن هذه الحشرات ذائعة الإنتشار عندهم، ويحتمل أن وجود البراغيث ونحوها كان يأتي عرضيا بواسطة المخالطة مع الطبقات الحقيرة كرعاة المواشي وغيرها، وانتشار القطط والكلاب والقرود بينهم وفي بعض الطبقات الأخرى وفي بعض الطبقات الأخرى، وهذه تحمل الحشرات الضئيلة وتنقلها للأماكن التي يكثر ترددها عليها كما تنقل ما يعتريها من الأمراض إليهم.

الأمراض الناتجة من المستنقعات

منذ ستة آلاف سنة كانت البلاد المصرية تغمر المستنقعات أغلب أراضيها بحالة تؤثر على الجو، وتبعث فيه جراثيم العفونة ولأمراض وأنواع الحشرات.

واستمر الحال على هذا المنوال إلى عهد الملك مينا الذي اهتم بتدارك المضار الناشئة، فبدأ بتشييد مدينة منفيس، وأقام جسرا عظيما تكبد في انشأئه صعوبات جسيمة، وتوصل به إلى تجفيف كثير من الأراضي وتناقصت لأمراض التي كانت منتشرة في أغلب فصول السنة.

وقد أجمع المؤرخون على أن الأوبئة الفتاكة كانت عادتها تزداد انتشارا بالبلاد في مبادئ الفيضان وفي أوائل تدفق الأمطار، فتحدث المستنقعات وتنتشر عنها المكروبات وتحدث أمراضا شتى من ضمنها الداء الوبيل الذي كانوا يسمونه (١١ ت)

ووجد بين النصائح الطبية المنقوشة على جدران معبد دندرة تحذير الأهالى من التجول خارج المنازل بعد غروب الشمس في الأسابيع الأولى من زمن الفيضان لكونهم عدوا هذا الداء من أنواع الحميات والجراثيم الجوية تتشبع بمكروباته، فتسرى إلى الأصحاء بانتشاق النسيم قهرا عن أرادتهم.

البلهرسية

المرض شديد الخطر على الأصحاء ، وقد حسبوه من الضربات التي تسلطت على مصر كنقمة إلهية، ومنشؤه مكروبات تتسلط على الفقرات الظهرية، وقد وجد (السر أرمند روفر) في الجثث المحنطة في الأسرة التاسعة عشرة (أي منذ ١٢٠٠ سنة ق.م) رئتين مملوئتين بهذا المكروب وهذا لا يدل على أنه كان منتشراً في عهدهم بالدرجة المنتشرة عليها الآنم بسبب كثرة الحيوان الكركي (**lbis**) الذي يتغذى بالحيوانات الرخوة المولدة لهذا المرض فيفنها.



رسم رأس جثة الملك رمسيس الخامس وكان مصابا بإبداء الجدري ولا تزال إثارة باقية إلى الآن على وجهة وباقي جسمه. والجثة معروضة بالمتحف المصري بالطبقة العليا



الملك أمنحتب المصاب بداء الفيل

رسم تمثال لأحد الملوك المعروفين باسم أمنحتب. وكان مصابا بداء الفيل (أي شدة الورم في قدميه) والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بالطرقة الغربية تحت رقم ٢٨٧. تراه مرتديا الحلة التي يلبسها الفراعنة يوم عيد جلوسهم أي لابسا قميصا أبيض والتاج الأحمر للوجه البحري (الأسرة ١١).

داء الفيل

كان داء الفيل معروفا بالوجه القبلي أكثر منه بالوجه البحري. وقد وجد في معبد بالقرب من الدير البحري تمثال قالوا أنه للملك امنحتب (الموجود الآن بالمتحف المصري بالطرقة الغربية) غليظ الساقين عن نسبة جسم الفخذين ، فاستدلوا بذلك على أن صاحب هذا التمثال كان مصابا بداء الفيل.

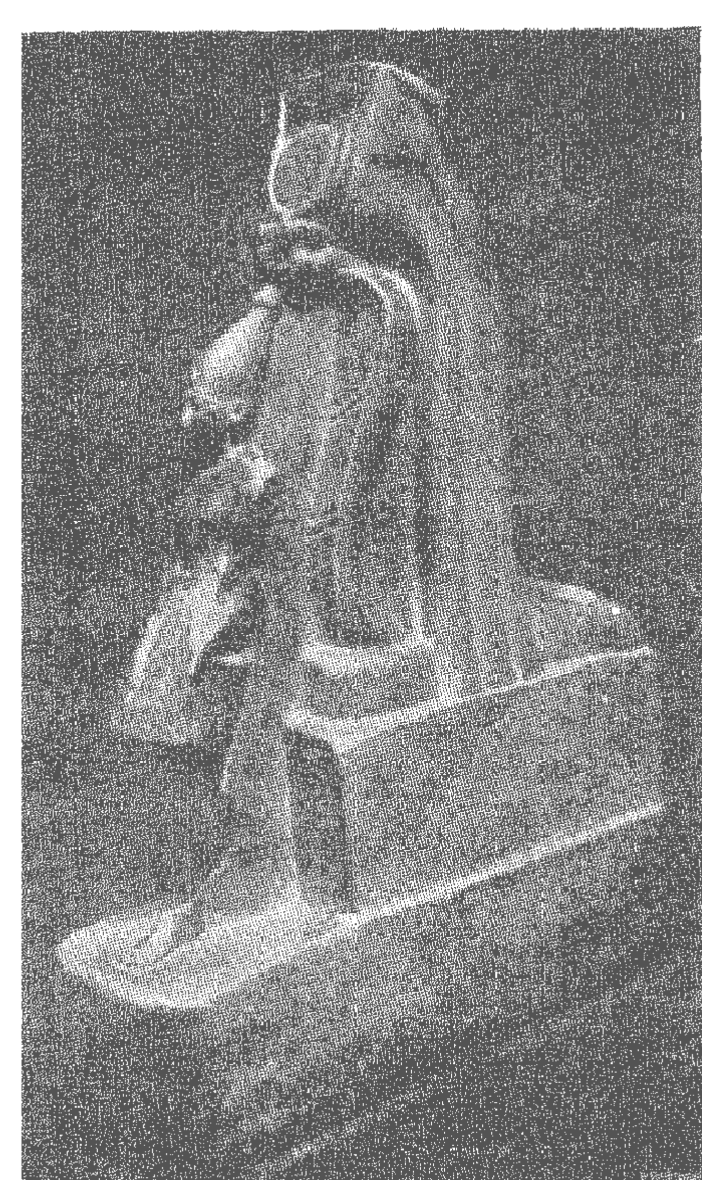
الأفاعي والحشرات المؤذية

العقب (الأفاعي) ورمزها (***) وكانت معروفة في الأزمنة الأولى، إذ كثيرا ما يوجد اسمها في صيغ الأدعية التي كانوا يتلونها اتقاء من شرورها وسمومها، ووجدت رسومها كثيرا على الآثار وكانوا يتخذونها كرمز للمعبودة سفك التي تلازم المعبدة نيت في رأس أحتفالات الزواج، ووضعوا تحت حمايتها الأواني (المعبر عنها عند علماء الآثار بكلمة كانوب) وهي تحتوي على أحشاء الجثث المحنطة، ويرسمون على الأواني المذكورة هذه المعبودة، وعلى رأسها عقرب سوداء أو يرسمونها عل شكل العقرب ورأسها رأس لبوة.

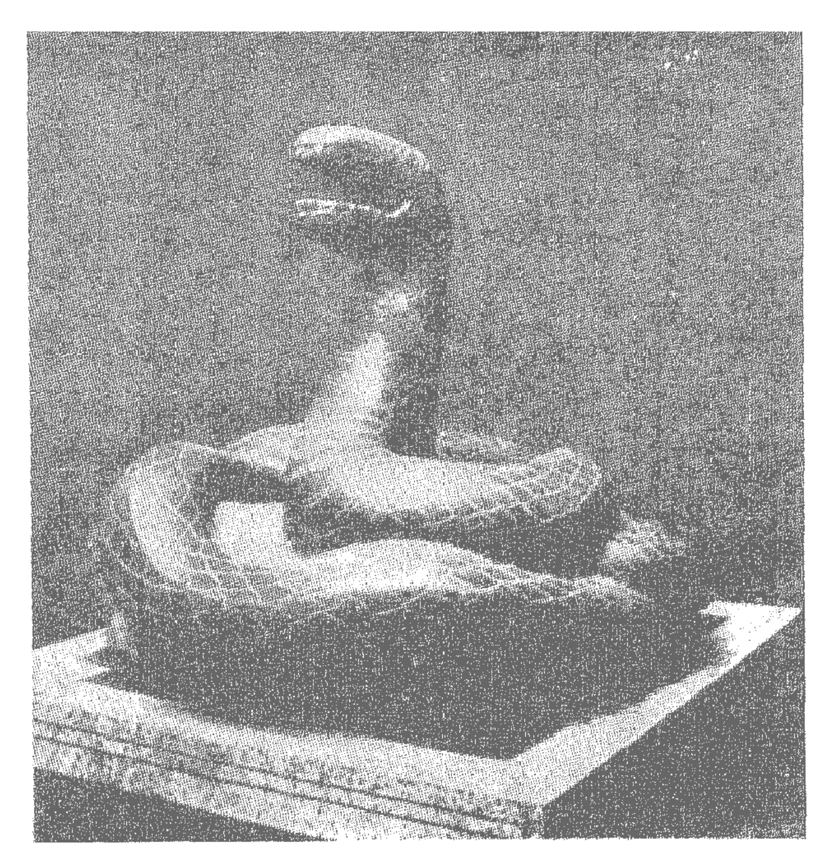
الحيات السامة

أنواع الحياة السامة معروفة عند المصريين وأكثرها نوعان الأول الثعبان ( ) واسمه بالفرنسية **(Cobra)** والثاني الأفعي ذات القرون وقد يبلغ طولها متران ولونها أصفر فاقع ويتحول إلى السواد بطول الزمن.

واقتناها الكهنة في المعابد لتعويدها على معاشرتهم ويوهمون الشعب أنها لا تمسهم بأذى وينشبون ذلك إلى ما ينتحلون لأنفسهم من ألقاب الطهر والزهد. ولهذا كانوا يحتالون في تخليع أسنانها (كما يفعله بعض الحواة الآن باستعمال الضغط على عنقها بطريقة تفقدها الحركة) وبعد اتمام خلع الأسنان يأمنون من تأثير لعابها في أيديهم، لأن الأسنان في تكوين فطرتها أشبه بأنبوبة لإفراغ السموم من لعابها على الأجسام، وهذا يذكرنا بما جاء في التوراة عن موسى والسحرة الذين استبدلوا عصيهم بحيات.



الكهنة بها في المعابد لتعويدها على معاشرتهم ويوهمون الشعب أنها لا تمسهم بأذى وينشبون ذلك إلى ما ينتحلون لأنفسهم من ألقاب الطهر والزهد. ولهذا كانوا يحتالون في تخليع أسنانها (كما يفعله بعض الحواة الآن باستعمال الضغط على عنقها بطريقة تفقدها الحركة) وبعد اتمام خلع الأسنان يأمنون من تأثير لعابها في أيديهم، لأن الأسنان في تكوين فطرتها أشبه بأنبوبة لإفراغ السموم من لعابها على الأجسام، وهذا يذكرنا بما جاء في التوراة عن موسى والسحرة الذين استبدلوا عصيهم بحيات.



غطاء علبة للصدقة منقول من معبد اسكولاب في مدينة بطولما ييس (بالوجة القبلي وبه اثقب كان الشعب المصري التقي يلقون فيها الدراهم للصدقة. ولأصل بلمتحف المصري بالطبقة السفلى بالقاعة T رقم ٩٦٤.

وكانت الحية عندهم رمزا للقوة في التماثيل التي ينقشونها على رؤوس الآلهة والملوك. وكثيرا ما رسموها على كل جانب من جوانب قرص الشمس ذات أجنحة لتحمي المعابد والمنازل الخاصة من أذى الأرواح الشريرة.

والأفعى ذات القرنين طولها نصف متر وتكون شهباء اللون بنقط سمراء على ظهرها تختبئ في رمال الصحراء وتؤذي من يمسها حافي القدمين وكثيرا ما رسموها على الآثار بالهير وغليبي تمثل حرف الفاء.

وقال هير دوت أنه يوجد كثير من نوعها في جهة طيبة. وروى أن الحية التي لدغت كيلو بطرة هي من ذاك النوع، وقال آخرون انها من نوع الثعبان المعروف بأسم (كوبرا)

وتتضمن ورقة ابرس الطبية فصلا خاصا بمعالجه لدغ الحشرات ونهش الحيات. وكانوا يستعملون أناشيد سحرية توقيا من وصولها اليهم بالأذى. ونذكر ما بين التمائم والتعاويذا الخاصة باجتنابها الشاهد السحري الذي يرجع عهده إلى الدولة الحديثة وهي قطعة من الجرانيت أو البسلت رسم في أحد وجهيها المعبود حورس يطأ بقدميه التماسيح ويقبض بيديه على الأفاعي و الحيات المؤذية، وعلى وجه الثاني الصيغ السحرية التي كانت متداولة في عهدهم للاتقاء منها

وقد وضعوا الشواهد السحرية على أبواب المنازل التي يأوى إليها فقراء الناس لأنها تأوى إلى الطبقات الأرضية التي هي سكني أمثالهم في الغالب. والوصايا التي جاءت في الأديان وفي النصائح الطبية بنظافة الأفنية ومجامع الطرق ومنعطفاتها من الأوساخ كلها تشير إلى أقرب الوسائل في التوفي من الحشرات والهوام التي تجتذبها الأوساخ والقمامات، فالاعتناء بالنظافة مطلوب ذوقا ودينا وصحيحا.

فن معالجة الأمراض عند قدماء المصريين

علم علم القارئ مما قدمناه أن ورقة برلين الطبية جمعت نحو مائة وسبعين تذكرة طبية، وأن جميع الأوراق الطبية المكتشفة شرحت ما يرب من ٥٠٠ دواء، وقد جمعها المسيولورية (**Loren**) في جدول على حدته نذكر هنا منها المواد المعدنة المتركبة منها الادواء مثل ملح الرصاص وخفلات النحاس الذي يستعمل مسهلا، وأو أكسيد الأنتيموان وسلفات لمعدني ونترات البوطاسة المانيزية والجير والسودة والنفط.

والعقاقير المستحضرة من النبات كانت كثيرة عندهم، ويستعلمون منها رماد خشب الابنوس كحلا، وجذع شجر الرمان سفوفا للدودة الوحيدة، ونشارة خشب الأرز التي تستعمل لتسهيل الطبيعة، واستعمال العرعر لإدرار البول، وكان الافيون يستعمل في اعداد الاشربة المهدئة والمسكنة للآلآم، وكان زيت البابونج مما يستعمل عندهم للدلك، وبصل العنصل أيضا ضد الاستسقاء والخردل ضد الجنون، وطبيخ الكزبرى في علاج الخناق والثوم ضد التعفن، وقد اشترطوا لتعاطي الثوم الحاجة إلية، لأن له رائحة كريهة ومما وجد في ورقة ابرس الطبية أن المصريين استعملوا كثيرا الخروع وتوسف حبوبه لمن يكون عنده عسر هضم ويشرب بعدها قليلا من الجعة، وإذا مزجت بالعسل خففت آلام الرأس، أما زيت الخروع فاستعملوه للإضاءة وتتميض الجروح ذات الصديد والقميح ومن النباتات التي تستخرج منها العقاقير ذات الخواص النعناع والكزبرى وكف الذئب والخردل وعودالند(البخور) وسراح القطرب والزعفران والورنجان والشمار والكرفس والفجل ولب الكرنر وحب الكتان والقرع والمصطفي وصمغ الصنوبر وبعض محاصيل أخرى أساسها التربنتين وبعض المنقوعات المرة كمغلى الشعير والجعة والزيت والنبيذ والخل.

وكانوا يجمعون هذه النباتات من الحدائق الوجودة حول المعابد والهيا كل

المعجولة تحت حراسة الكهنة حسب الحاجة يستجلبون من جهات بعيدة النباتات والعقاقير الأخرى غير الموجودة عندهم. وقد وجد تقش على الباب الشرقي من معبد الدير البحري بالأقصر يثبت أن الملكة حتشبسوت (أي منذ ٣٣٠٠٠ سنه) استحضرت من بلاد العرب نباتات عطرية وزرعتها وأنفقت عل ذلك نفقات كيلو وكونت منها أول حديقة صنعت في العالم القديم، وهذا من الأدلة على قدم المدينة في مصر بمقتضى الغرائز الفطرية السامية .

وكانت السوائل الحيوانية ومن أهمها عسل النحل أكثر استعمالا في تناول الاثنان ولبن النساء وألبان بقر والمعيز وزيت كلب الماء ومرارة الثور وكبده ودهن بعض الحيوانات ودمها وبول الإنسان ورجيع الكلب والأسد والتمساح والجعران والسلحفاة والجرذان.

وفي الهياكل كثير من أسماء العقاقير التي كانت مستعملة في العلاجات يمنعنا تجنب الإطالة عن الأطناب في بيانها، وإنما ننوه عنها في هذا الإجمال بيانا لفضل ما كان يقوم به الكهنة في تجهيز واستحضار وتركيب الأدوية وكانوا يستعينون على أعمالهم هذه بالمعامل المشيدة على مقربة من الهياكل ومستشفياتها، وكانوا يصنعون فيها أنواع العطر والطيب المخصص للمعابد في المواسم وغيرها بنفقات طائلة.

وكان الصيادلة يجهزون العقاقير ويكتبون لاستعمالها التذاكر الطبية على الأوراق البردية، وينقشون عن أهمها بيانا على تلك الهياكل في الأمكنة المخصصة للأطباء على الأعمدة ونحوها وترى في كل رسم نشاط القائمين به في أعمالهم، إذ كانوا يسحقون لأدوية ويعتنون بغليانها وتصفيتها من أقمشة نقية حتى كأنما الماء المغلي كان عندهم بمثابة الشراب الوحيد، ولكن الكهنة استعملوا على سبيل الرفاهية النبيذ وشراب دافئا صباحا ومساء وكانوا يعتنون بالأدوية والمسهلات المركبة من ماء النباتات وخلطها بالمائعات المستخرجة من الحبوب ونحوها، ويصنعون أقراصا طبية ومراهم تستعمل خارج الجسم في الدهان والكحول ونحوهما

وكانت المواصفات الطبية تكتب بتوضيح أنواع الأدوية وعدم تحديد المقادير عند طلب التركيب بأن اكتفاء بان ذكر المرض كاف لارشاد الصيدلي ،باعتباره متضلعا في فنه عن بيان الكميات له في كل نوع كما كانوا يستعملون رموزا اصطلاحية في اسماء الادوية اء بتداول هذا الاصطلاح بين الأطباء والصيادلة والقائمين بشؤون المعالجات عموما

وأنهم ما كانوا يبدأون بع في المعالجة إعطاء اعطاء المريض المسهل والحقنة المناسبة، وكانوا يعتقدون أن لكل غذاء شيئا زائدا، ومتى تجمعت هذه الزوائد في الأمعاء سببت أمراضا كثيرة. وكثيرا ما كانوا يلتجئون إلى القئ بعد الأحيان لأباده الجراثيم المؤزية سواء من متخلفات الأدوية أوة الاغذية

وكانوا يستعملون المسهلات ثلاثة أيام في كل وكانت. وقوانينهم تحرم أخذ المقيئات وقت شدة المرض، ويمنعون تكرار التعاطي من المسهلات إلا إذا مضى على الأول منها أربعة ايام، واعتقدوا أن الحقن من مصدر إلهي واستشهدوا على ذلك أنه في ذات يوم ظهر المعبود تحوت على شواطئ النيل على شكل الطائر الكركي ورآه الكهنة يأخذ الماء بفمه ويدخله في دبره فاستنتجوا من ذلك علما ثمينا، واستدلوا به على وجوب تطهير هذا الجزء من بقايا التبرز وعلى فائدة استعمال السوائل كحقن طبية حسب العوارض في كل جسم.

وكانوا يستعملون الحجامة في بعض العوارض لأمراض الصداع، كما كانوا يستعملون الكي للأمراض الرئوية والمفاصل كما تقدم. وكانوا يضعون على المحموم قطعا من الصوف لتجتذب العرق إلى سطح الجسم فإذا لم يعرق تأكدوا من دنو أجله.

علاقة السحر بالطب عند قدماء المصريين

الأمراض تحدث في الأجسام آلاماً تتفاوت درجة التأثير يها بقدر استعداد الجسم للضعف. وللعلماء آراء كثيرة في تأثير النفس من الأمراض الجسدية، وذهبوا في تأثير الحواس بذلك مذاهب شتى ليس هذا موضع الأطنان يها ولكن اختلاف الباحثين لم ينتع تأثر النفس بالمعتقدات المألوفة، فجعلوا لهذه المعتقدات قوة تؤث على الأذان والحواس يرجع المعنى فيها إلى تأثير الانفعال النفساني العام الذي أفرد له بعض المؤلفين كتبا خاصة ومباحث عميقة.

ومن قبيل هذا الانفعال عوارض وقتية. ومنها تسلط بعض أقوياء الإرادة على بعض الطبقات بمؤثرات قولية عملية، ويستخدمون فيها ضعف الأفراد للاستمرار في سريان التأثير، وبهذه الطريقة أمكن الاعتقاد بما يسمى السحر الفعال عند قدماء المصريين، وقد كانت لهم فيه لعهد بعض الأسر الفرعونية قوة رهيبة حتى عند طبقات الملوك وعظماء الدول وكانوا يستعينون بالسحر في مسائل هامة.

وبانقراض تلك العصور بقيت في النفوس عقيكدة التأثر بالسحر والتأثير على الخواطر بأجر آت اعتادها المنقطعون لهذه الأعمال، ومنهم من توسل إلى الحصول على الشفاء بالمعتقدات السحرية في أمراض عصيبة وغيرها حتى كان كثير من الناس يرجعون في مبادىء معالجتهم إلى السحر والرقي واستعمال التعاويذ والتمائم، وتوسعوا في ذلك إلى القول بأنها كما تؤثر في الشفاء من الأمراض تفيد وقاية الأطفال ونحوهم من مساس.

الجن وأمراض الصداع ونحوها. ولا زالت آثار العرب والأمم السابقة مستفيضة في كتبهم بالأنباء الكبرى عن هذه المسائل والإيمان بها كعقيدة راسخة.

وكان قدماء المصريين يعتقدون ان كل داء من أعمال الأرواح الخبيثة تتسلط

بقوتها الشريرة على الأجسام، فتحدث بها الأمراض، وهذه القوة الشريرة عند قابلتها بالتأثير الأقوى تتلاشى ويشفي المريض. فكان للعلاج عندهم طريقان لأول بالتأثيرات الروحية التي يعتقدونها محصورة في بعض الكهنة والسحرة، والطريق الثاني استعمال العقاقير الطبية المعتادة لطلب الشفاء، لأن المعبود تحوت رئيس السحرة كان أوصى إلى قومة بتأثير سرها وانها من الخواص الملموسة باليد، ففائتها تكون أكثر وأنفع من تلك القوى الروحية المعنوية التي قد لا تؤثر في أحيان كثيرة.

ومما ذكر في الأوراق البردية الطبية أنهم كانوا يشفعون تلك العقاقير بالصيغ السحرية الجازمين بفائدتها في معالجة الأمراض، وكانت هذه الصيغ السحرية ذات معان رمزية متعددة، وكان أغلب الكهنة على علم بتأثير الروحيات على الماديات ويرجع الأمر في ذلك الى قوة العقيدة الدينية وانقياد الناس إليها.

ولا زلنا إلى الآن نجد البعض من المتمسكين بهذه العقائد القديمة عند ما يصفون إلى زائرهم من المرض بعض العلاجات المفيدة يتبعونها بكلمات من هذا القبيل. فبانطباع الوهم في مخيلة المريض تقوي عقيدته بان النفع يأتي من قبيلها أكثر مما يأتي من الدواء، وكأن الناس في الوقت الحاضر ورثوا عن أولئك الأوائل طرق التأثير على عقليات المرضى بأمثال.

هذه الشعوذة التي يزداد رواجها بقدر ما يصادفه الناس من الشفاء؛ والشعب المصري بفطرته وسلاسة سجاياه أقرب إلى حسن العقيدة والتصديق ولهذا أشير في ورقة إبرس الطبية إلى أن الرقية والدواء كل منهما يفيد في مصلحة الآخر.

والعنصر المصري القديم بما منحه الله من سعة المواهب العقلية وقوة الفطنة والذكاء، وبما أحرزه من البق على باقي الأمم في العلوم والفنون المتنوعة كالطب وغيره، كأنه لم يقتنع لنفسه بهذه الميزات الفطرية فطمحت أنظاره إلى ما فوق ذلك، وعمد إلى الاشتغال بالعلوم السحرية لتقوى بها سيطرته على النفوس لأن الساحر يتغلب بخرقة للعادات في عرف الماس على قلب الحقائق الى درجة المعجزة، ويجوز بها

منتهى الإكرام والمكانة عند الشعوب حتى كانوا لا يتحاشون مظاهرهم هذه أمام الأنبياء والرسل والأولياء ويجرأ الجهلة لأبقيتهم في مخالطة أولئك السحرة على تفصيلهم عن أولئك الأخيار الذي كرمهم الله بين الأمم، وجعلهم أمناء من لدنه على تبايغ الوحي والتشريع وخدمة النوع الإنسان بالإرشاد للحقائق الإلهية والشرائع القويمة وناهيك بما كان من فرعون وسحرته أمام موسى وهارون عليهما السلام.

وكانوا يعتقدون أن لكل من الموجودات الكونية روحا تلائم عنصره وفصيلته، وتلك الروح تجعل له من الحياة ما يلائم طبيعته التكوينية، ولهذا زعموا تسلط الطبيعة على الإنسان، وان الساحر كان يتسلط بقوة النفسية على مجموع هذه المؤثرات فيكون له على باقي النفوس قوة الاخضاع والتسخير بما يشاء.

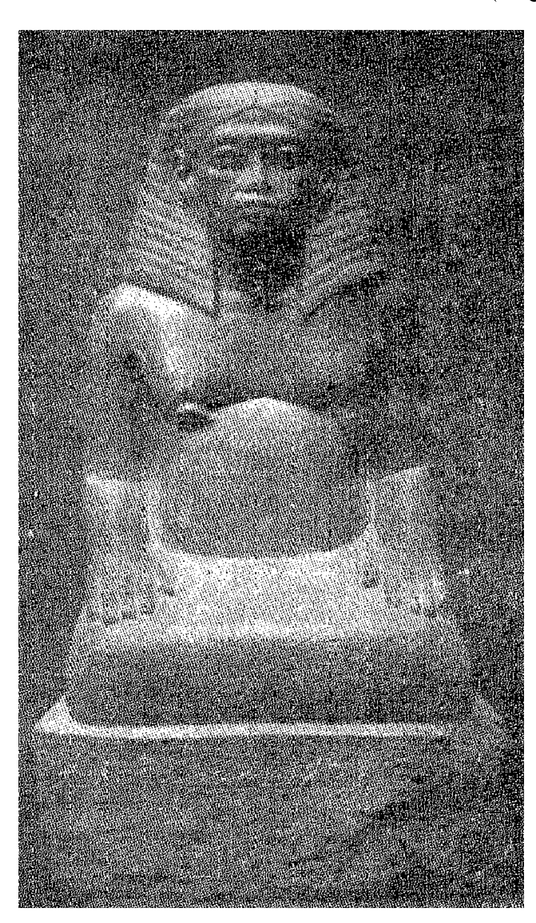
ومن معتقداتهم القديمة ان لكل آدمي قرينا من الجن يلازمه في الحياة ويتبعه ف يالموت، وكان يسمى في اللغة المصرية القديمة (كا) ورسموه على شكل ذراعين مرفوعين ويسمى عند الافرنج بالخيال الملازم. فالدينا في اعتقادهم مملوءة بقوة الأرواح المؤثرة، فيجب على الانسان اتقاء ما يخشاه فيها من الشرور ان استطاع ذلك بنفسه أو بمعونة الغير في مقاومته ومطاردة ما يحذره أو يحل به.

قال الأستاذ ماسبرو ان علم السحر يرجع تاريخه عند قدماء المصريين إلى أقدم العصور، وكانت للسحرة يرجع تاريخه عند قدماء المصريين إلى أقدم العصور، وكانت للسحرة مدارس خاصة يدعونها بيوت العلم والحياة، ويفونها بأن تحت حماية الألة تحوت المعبود القمري لمدينة هر موبوليس (أي الأشمونين التابعة لمديرية اسيوط) وهم يعتقدون أن الألة المذكور أول من وضع للسحر كتبه العلمية وطلاسمة الباهرة، وكان الفراعنة يعدون من مفاخرهم جعل هذه المدارس تحت رعايتهم ويشملونها بعنايتهم الكبرى، وبلغ من اعظام فرعون للسحرة أنه كان يلقب نفسه رئيسهم، فلا يعتبر التلميذ أتم الدراسة في تلك الجامعات وأحرز شهادة بالنبوغ التفوق، ولا يحوز لقب (شرحب) الذي يمنح لمن أتم الاطلاع على الكتب الإلهية إلا إذا اختبر أمام فرعون

وأقر له بالكفاءة على شرط أن يكون من أبناء الملوك والأمراء.

وكانوا يجعلون الكتب السحرية في صفوف العلوم المقدسة وتدرج مع العلوم الأولية كالطب والبيان والحكمة، وتحفظ ي دور الكتب الملكية المشيدة بالمعابد ولهياكل. ويوجد الآن في متحف لندن بين محفوظاته الفاخرة ورقة بردية (اكتشفها كاهن) في القاعة الكبرى بمعبد كبتوس مسطور فيها أن الأرض كات مظلمة، ولما ظهر القمر.

أضاءت أشعته على سطحها فأتى ذلك الكاهن بهذه الورقة إلى خوفو (أحد ملوك الأسرة الرابعة).



وكانت السحرة على قسمين أحدهما قانوني وهو الذي تعترف له الحكومة بمهنته وتأذن له بمباشرتها فيعولون على رأية في الطوارئ وأوليك حازوا أكبر منزلة أمام الرعية الفراعنة بما جعل كثيرين من أبناء الملوك والأمراء ينتظمون في سلوكهم كأمنحتب بن حابي وزير الملك أمنوفيس الثالث الذي نبع فيه وأقاموا له تمثالا وهو اليوم من محفوظات المتحف المصري تحت رقم ٣، ومن النابغين في السحر الملك سيزوستريس الذي فاق في عصره جميع السحرة.

كان امنتحتب حابي وزيرا للملك أمنوفيس الثالث ورئيسا للمهندسين المعماريين واشتهر بعلم السحر فوضعوه في صف الآلهة الثناوية وقدموا له فروض العبادة في معبد الإلة فتاح وله تمثال بالمتحف المصري تحت رقم ٣ من الحجر الجرانيت الوردي طوله ٤ أمتار و١٧ سنتي وله تمثالان آخران تحت رقمي ٤٥٩ و ٤٦١ من الحجر الجرانيت الأسود فالتمثال المرقوم برقم ٤٦١ يمثله في عنفوان عمره وهذا التمثال المرقوم برقم ٤٥٩ يمثله شيخا ينهاز الثمانين.

وبلغ من أكرام الفراعنة في تقريب أولئك السحرة لديهم واستخدام علومهم في أغراضهم أنهم كانوا يلقبونهم كتبه بين الملك وأمناء الحياة، ويستوضحون منهم خواطرهم النفسية حتى في تفسير الأحلام، ويعتقدون أن بهم المصر على الأعداء ويعدونهم على سبيل النذر عند الفوز المنتظر بالشيء الكثير كما حصل من فرعون وقومه في قصة موسى عليه السلام.

وكان لا يؤذن للسحرة بإدخال تلميذ في مدارسهم إلا بعد تمرين طويل على قواعدهم لتطهير النفس ومقاومةو الشهوات والامتناع في الأطعمة عن ملاذها وعن كل ذي روح أيضا حتى تصفو مداركهم بهذه الرياضة الغذائية، كما يحتاطون في قهر النفس عن شهواتها بالانزواء عن العالم في خلوات يعدونها لذلك. وبعد التوثق من الوصول في التهذيب والخضوع النفساني، وقطع كل هذه العقبات لا يسمح له بنشر علومهم وإظهار آياتها إلا بعد تمرين طويل بين أيدي أساتذته حتى يمنح من لدنهم

الإقرار له مع استحقاقه للحرية في العمل.

وقد بلغ السحرة من براعتهم الأتيان بعجائب كانوا يسمونها لأنفسهم بالمعجزات، ويبهرون الأبصار في إتيانهم بها أمام الجماهير بدون معاناة ولا تعب. وقد يستحفون استعظاما لأنفسهم بما يعده الناس من أعاظم الأعمال، ويقولون نحن نعرض عليكم في مقدمة أعمالنا ما أعجز أدراككم، وهو في فنوننا الراسخة كألعاب صبيانية تفرح بها الناظرون.

وروى عنهم أنهم فلقوا البحار وقطعوا رأس رجل عن جثت ثم أعادوها إليه مستمرا في حياته بدون أن يشعر بأذى. وكثيرا ما تحركت بنفثاتهم التماثيل والأشباح المصنوعة من الخضب ونحوه تحركا مختلفا.

وكانوا أيضا وهم جلوس يختفون عن الأبصار فيندهش جلساؤهم، وإذا دخل أحد إلى المجلس لا يعتقد وجودهم فيه، ويقرأون الرسائل الموضوعة في الأحرار ويخبرون بما فيها، وينبئون الناس عن ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم، وبلغ من براعتهم أن أحدهم صنع من الشمع تمثال صغير وقرأ عليه عزيمة سحرية؛ فتحرك التمثال وسلطة على رجل كان مشهورا بالفحشاء ومستحقا للعقاب من أجابها فابلتعه وألقاه في البحر طبقا لأمر الساحر؛ فكأنهم استطاعوا بمدهشاتهم العلمية التأثير على مقتفيات الطبيعة الصماء فتنقاد بالتحرك ونحوه لكل ما يشاءون.



رسم المعبود تحوت

رسم تمثال لكاتب متربع تراه يكتب في قرطاس فوق ركبتيه وهو يمثل رعمسيس نخنون أول كهنة المعبود أمون وفوق رأسه فرد يمثل تحوت إله العلوم والمعارف كأنه لا

ينطق عن الهوي بل وجي بوحيه إليه هذا الإله والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلى قاعة o رقم ٧٦٨.

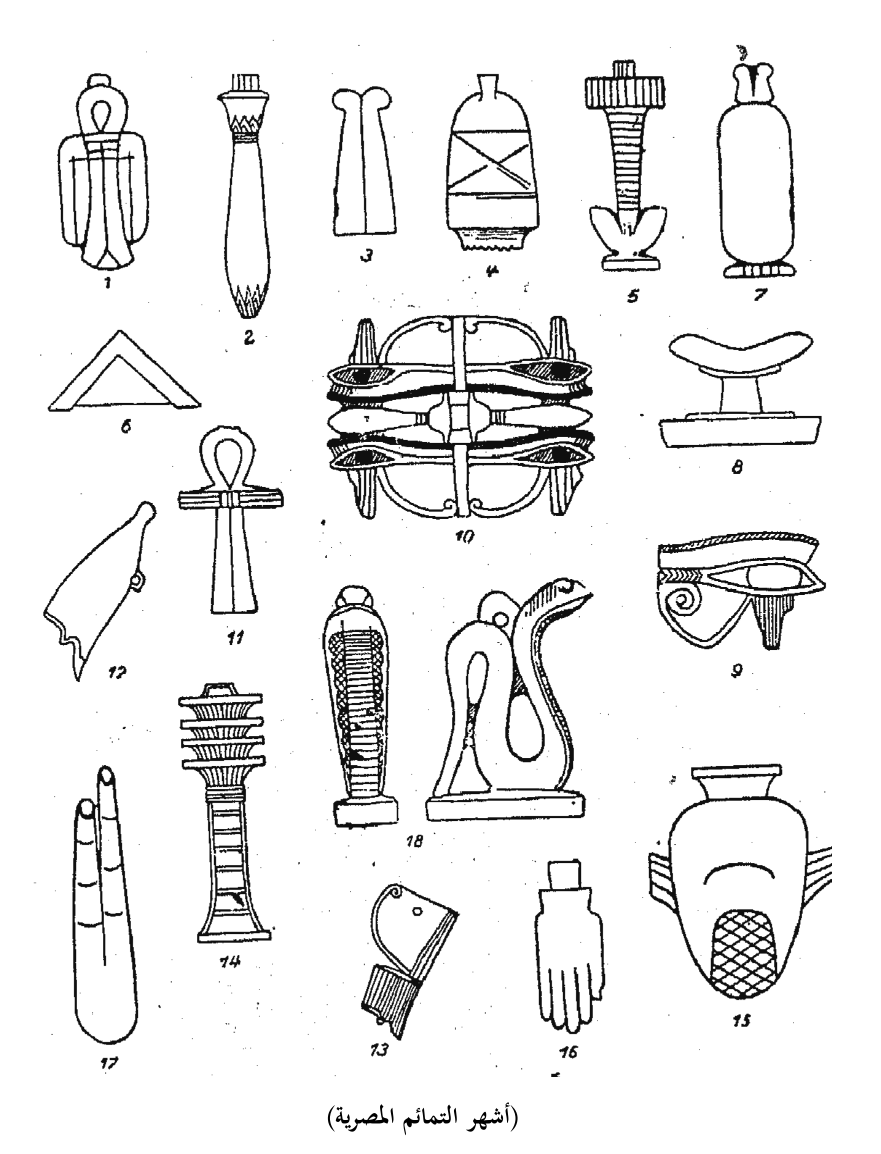
وقد جاء في كتاب نحوت (هرمس) نص عزائم كانوا يتلونها لنجاح مآربهم. وذكر في خواص احدى تلك الصيغ السحرية الول عن أحداهما بأن الإنسان الذي يقرؤها تخضع له الأرض والسموات والجبال والمياه والعالم الأسفل؛ ويفهم لغة العصافير وكل ما درج على الأرض؛ ويرى الاسماك في أعماق البحار؛ ويستطيع استخراجها إلأى السواحل والشواطيء.

أما السحرة الغير القانونيين فهم الذين لم تتوفر فهم أغلبية الشروط المتقدم ذكرها؛ ولا تعترف بهم الحكومة وتعاقبهم إذا باشروا أعمالهم بدون تصريح وربما جعلت من العقوبة أحكام الإعدام.

وفي دار الكتب الأهلية بباريز ورقة بردية اسمها (لي) **(Lee)** نص بها على أن ساحرا أراد الانتقام من قوم؛ فصنع تماثيل من الشمع وقرأ عليها عزائم سحرية؛ وخصص كل تمثال منها بنوع من الأذى والضرر فأصيبت الأشخاص بالأنواع التي خصصها لكل فرد منهم؛ ولهذا رفعوا أمرهم إلى الملك فنفذ فيه عقاب الإعدام محافظة على النظام العام؛ وصدرت الأوامر يمنع جميع السحر عن مثل هذه الأعمال.

وكان الناس يعتقدون استطاعة الساحر على دفع الخطر عن نفسه وعمن يلوذ به وعمن يشاء حفظه من الصرر ولو بعيدا عنه؛ ويتنبأ بالمستقبل وتأتي الحوادث في كثير من الظروف مصدقة لحسن تفاؤله. ولا تزال خزائن المتحف المصري وهي بين أيدينا اليوم منفعة بأنواع التمائم والتعاويذ والأشكال الأخر التي من قبيلها. وكان الأقدمون يصنعونها من الطين الصرف أو الممزوج بمسحوق الزجاج والحجارة ويطلونها بالالوان ويضعونها في القبور كأنهم كانوا يعتقدون نفعها حتى في عالم البرزوخ.

وهذه التمائم ونحوها عبارة عن إشارات رمزي إصطلاحية عندهم تستعمل بأوضاع معينة لكل مقصد مثل (☥) عنخ فإنها رمز للحياة و (☥



(أشهر التمائم المصرية)

(١) أيزيم حزام (ويدعى دم أزيس)

(٢) صولجان على شكةل الورق البردي

(٣) تاج من ريش النعام

(٤) خصلة (**Troddel** بالالمانية)

(٥) علامة الإتحاد

(٦) زاوية مثلثة.

(٧) خرطوش (حلقة مستطيلة يكتب فيها قدماء المصريين أسماء الملوك والملكات)

(٨) مسند للرأس

(٩ – ١٠) عينات

(١١) علامة الحياة (١٢) تاج للوجه القبلي

(١٣) تاج للوجة البحري

(١٤) علامة للبقاء والخلود (ولفظها بالمصرية القديمة دد)

(١٥) قلب

(١٦) يد (١٧) أصبعان (١٨) الحية المقدسة.

(أوزا) رمز للصحة و (، (أزار) رمز للشباب و (،) (دد) رمز للخلود وكانت لها قوة تأثير حسب قوة شكلها الخاص بها مثلا كانت علامة الحياة وهي صورة رجل واقف على قدميه باسط ذراعية رمز الحياة، ولفظ أزار المذكور وهو رسم صولجان رمز القوة، ورسم أربعة أعمدة متحاذية رمز الخلود الخ.

وللمادة التي تتألف منها هذه التمائم تأثير كبير عليها. فالذهب معدن يرمز به للبقاء وهو سلطان المعادن وأصله من شعاع الشمس متجمد وهو المادة التي تصنع منها تماثيل الأشياء المراد دوامها كتماثيل الملوك والآلهة والعقود والأساور والأسلحة.

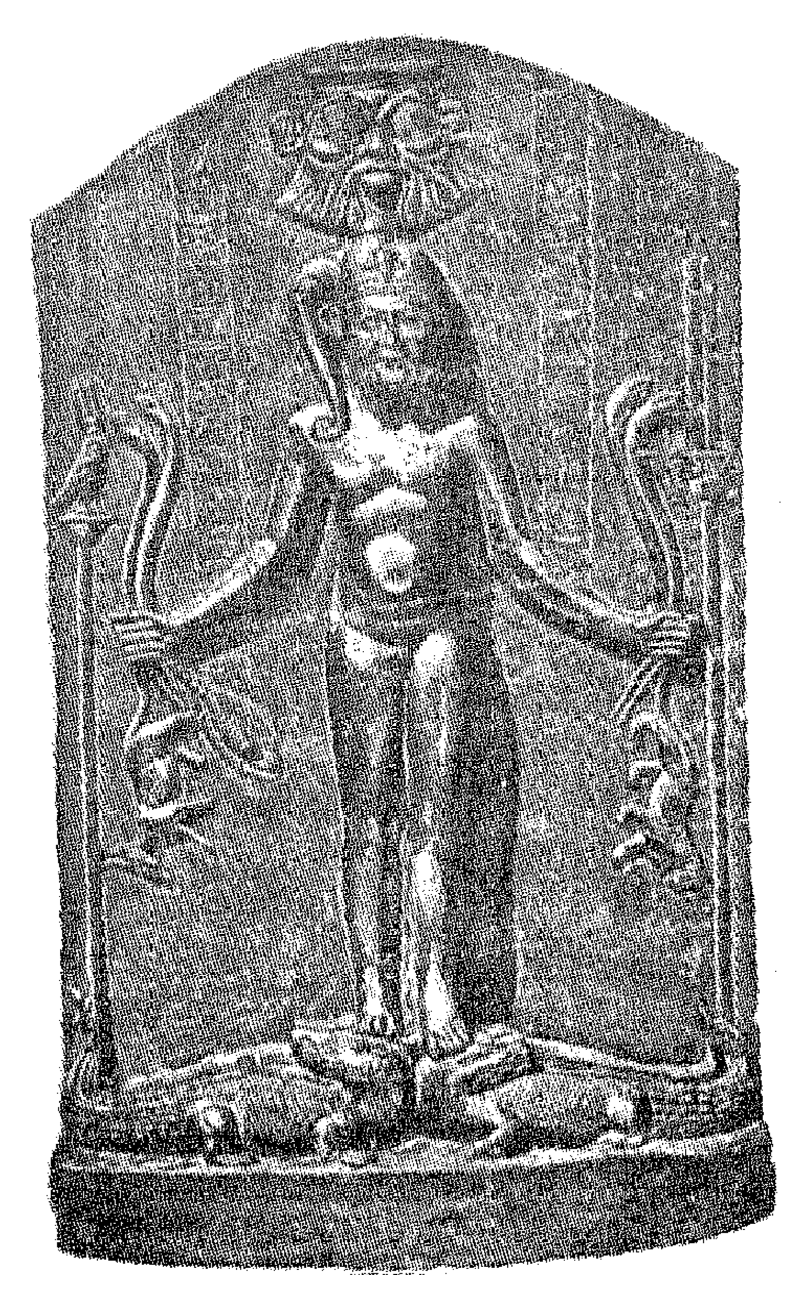
وكان للألوان تأثير مع هذه التمائم مثلا عمود صغير أخضر اللون يضمن الشباب لحاملة إذا كان مصنوعا من الطين المطلي بالمينا الخضراء وكان اللون الذهبي يهب لحاملة طول الحياة، واللون الأخضر ينبعث منه البهاء، واللون الأبيض يكفل الخلاص.

ويقوي تأثير التمائم إذا استمر بعدها الصيغ السحرية يتلوها صانعها أو يلقن حاملها كيفية تلاوتها.

والعزائم السحرية يرجع تاريخها إلى الأسر لأولى، وإليك منها الآتي: إذا أصيب أحد بلدغة أفعى كانوا يرقونه منها بما معناه "أخرج أيها السم واهبط إلى الأرض وان لم تتمثل فالمعبود حورس يأمرك ويسخط عليك ولا تقم ثانيا أيها الضعيف الحائر فلتسقط رأسك إلى الأسفل أنا حورس البحار الكبير الذي يكلمك"

وكان الساحر كما تقدم يمزج قوة التمائم بالصيغ السحرية لتخضع الحيوانات المؤذية كالحيات والأسود والعقارب والتماسيح. ولهذه التمائم نقوش ورسوم وأشهر هذه التمائم عندهم الشواهد الحجرية الصغيرة والعصى السحرية وتماثيل الجعالين والأيدي والأعين. وفي المتحف المصري كثير منها؛ ولا سيما في الدور الثاني من قاعة المعبودات المصرية؛ فتجد هناك قطعة صغيرة ممن الحجر البسلت منقوشاً على وجهتها الأولى رسم بارز للمعبود حورس إشارة للصلاح؛ وهو على سكل طفل عاريك الجسم؛ وعلى كتفه الأيمن ضفيرة من شعر رأسه مرسلة؛ وتحت قدميه تماسيح (أولاد ست والأسود والغزلان وفوق رأسه هره وهي إلهة الفرح جالبة الخير.

وليست هذه الشواهد مقتصرة على التحفظ من لدغات ما ذكر؛ بل كانت أيضا تمنع هذه الانواع مندخول البيت ما دامت فيها؛ ومنقوش على الوجهة الثانية رسوم إلهة الخير وبعض الصيغ السحرية، ويرجع تاريخ هذه الشواهد إلى الدولة الحديثة.



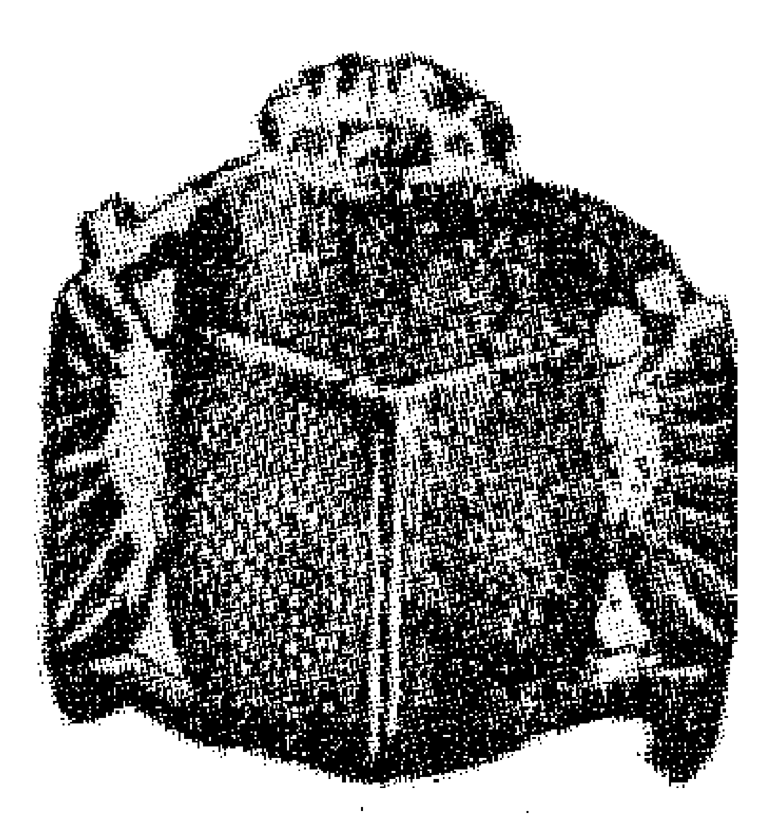
(المعبود حورس بن أزوريس)

وكانوا قبل هذا التاريخ يستعملون العصى السحرية التي كانت على شكل الحيات وفي نهايتها رؤوس بعض الحيوانات الحقيقية أو الخرافية وبعض الآلهة الذين لهم رؤوس بشرية أو حيوانية.

أما الجعل فاسمه باللغة المصرية (خير) وهو بمعنى صار أو تجدد. وقال الاستاد ماسبرو يستنتج من ذلك أنهم رأوه يتولد ويعيش تحت الأرض فحسبوه موجودا من غير تناسل واداهم الوهم إلى احتسابه شبه الألهة فعبدوه واتخذوا صورته رمزاً للتجدد والخلود واعتقدوا أن من نقش اسمه على جعران ضمن لنفسه الحياة الأبدية. وكذلك رسم اليد والعين كانوا يستعملونه لأبعاد الشر ومنه الحسد وجلب الخير والتماس السعادة، وكان لأزوريس وحده مائة وأربعة من أنواع التمائم والتعاويذ.

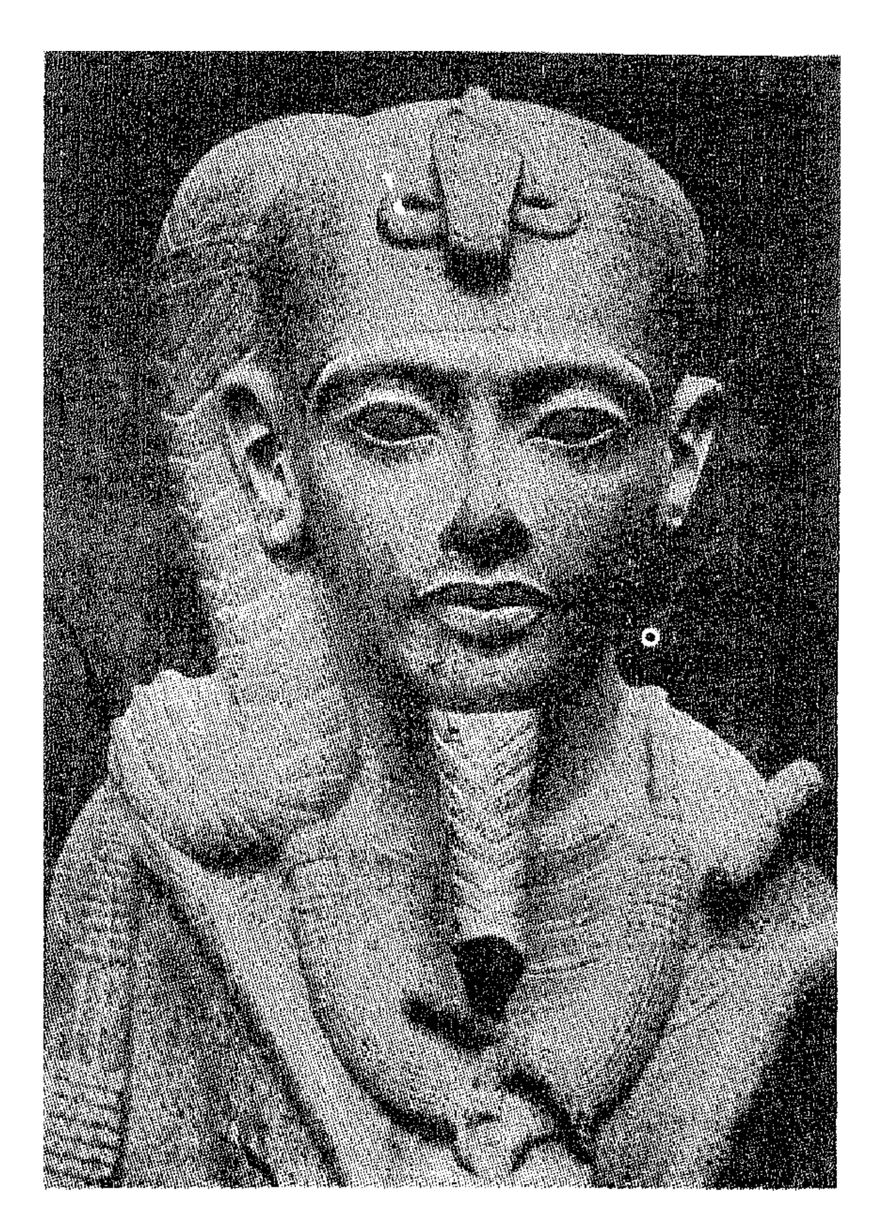


جعران نخاو الثاني فرعون مصر (الأسرة ٢٦



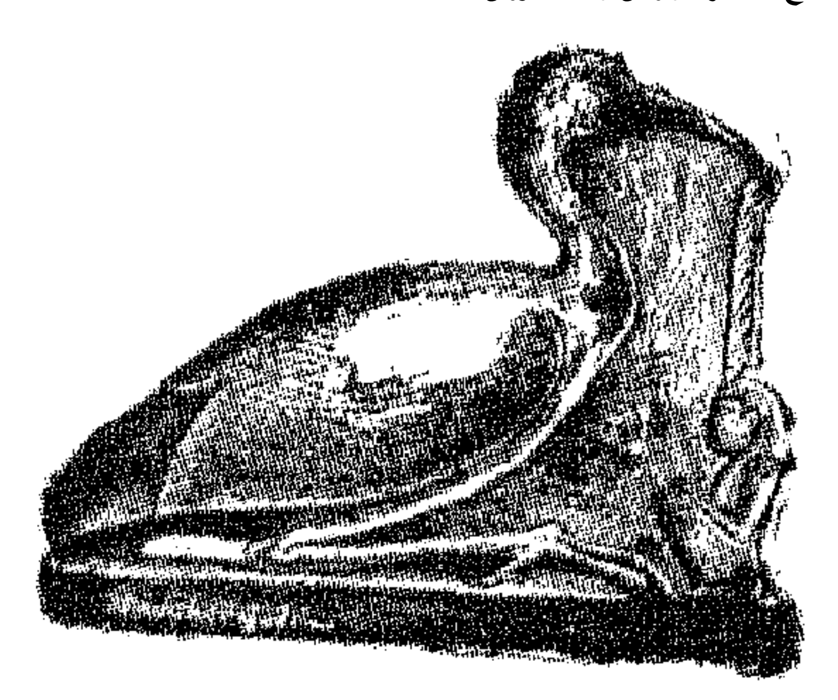
رسم جعران آخر

ويوجد الآن بدار الكتب الأهلية بباريز شاهد للأميرة بختان يدل على أن الساحر مهما بلغ من علو الكعب في علومه كان يلجأ إلى الآهلة بصيغ سحرية. ومما وجد منقوشا بهذا الشاهد أن بتراشيد بنت بختان واخت زوجة فرعون مصر أصيبت بمرض أعجز أطباء وسحرة قومها، فطلب أمير بختان من صهره فرعون أن يرسل إليه ساحرا مصريا فأرسل إليه أحد السحرة البارعين، ولما عرضت عليه وجد بها روحاً خبيثة فالتجأ بتعاويذه إلى الإله خونسو ابن المعبود أمون الشهير الذي كانوا يدعونه لشفاء الأمراض، فلما ذهب خونسو إلى بختان استقبله الأمير وقواده جنوده، ثم اقترب من الأميرة المريضة فأجرى لها عمليته السحرية وذهبت منها الروح الخبيثة وشفيت في الحال.



المعبود خونسو إله القمر الذي يعبد في طيبة وهو ابن المعبود أمون وأمه موت ويكون هؤلاء الثلاثة ثالوث طيبة الأكبر. والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بالقاعة I رقم ٤٦٢ وقد اشتهر بشقاء الأمراض وبعمليات السحر.

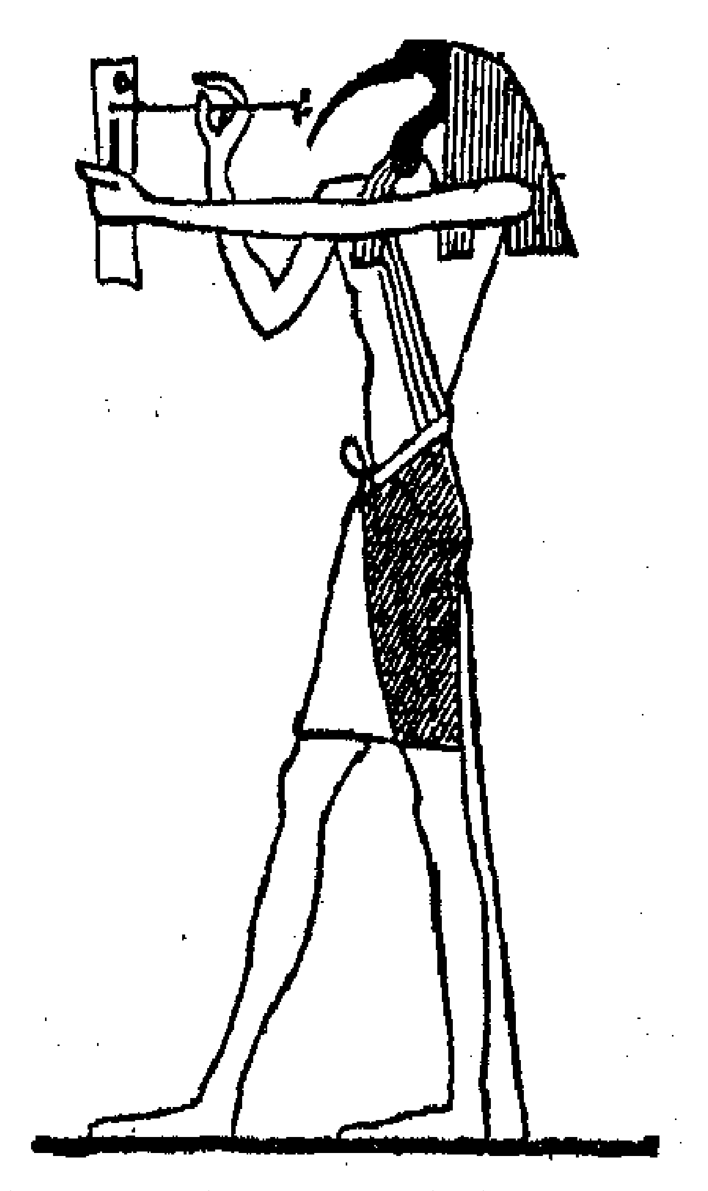
وممن اشتهروا بشقاء الأمراض الإله تحوت حامل الكلمات الإلهية وصاحب الصيغ السحرية وأزيس وابنها حورس.



رسم الطائر إبيس والمعبودة ماعت

رسم الطائر إبيس المعروف بالكركي الذي كان قدماء المصريون يحترمونه ويحترمون فيه تحوت إله الحكمة وبجانب هذا الإله المعبودة ماعت ممثلة على شكل إمرأة وعلى رأسها ريشة العدالة وهي إلهة القانون والعدل والأصل بقاعة الىلهة المصرية بالمتحف المصري.

وبلغ السحرة من احتيالهم الإدعاء بأنهم يتخذون مهارة في التوقي من الأمراض ومحاربتها قبل وقوعها والتجأوا في ذلك إلى علم الفلك. وقد قال ديودور الصقلى المؤرخ اليوناني أنه لا توجد بلدة في العالم كمصر لوحظ فيها بكل دقة نظام الكواكب وحركاتها، ودونت بها المؤلفات الفلكية منذ قرون مبينة علاقة لكواكب بالمواليد الحيوانية وتأثير الكواكب في الخير والشر.



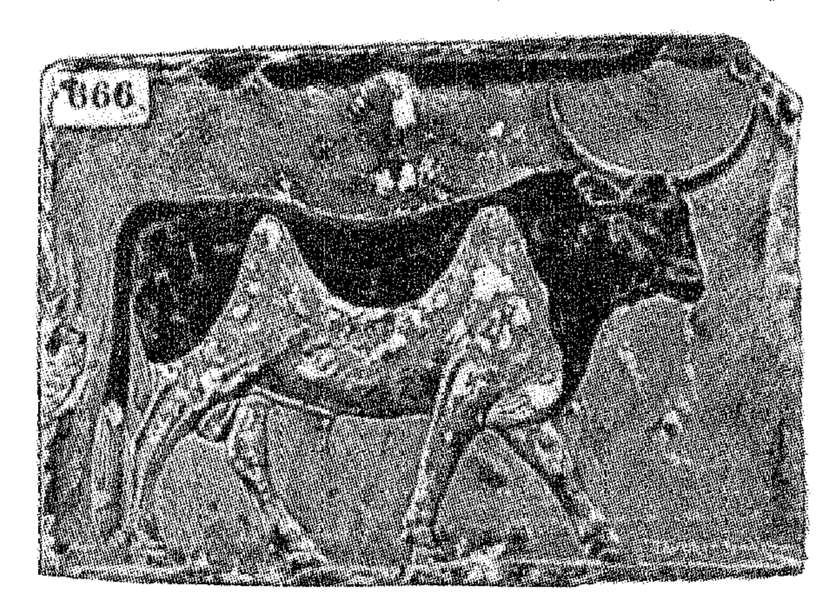
رسم معبود تحوت رأسه على شكل الكركي وباقي جسمه عل شكل إنسان وهو غله الحكمة والكتاب والسحر

وقد عثروا على ورقة ساليير البردية التي يرجع تاريخها إلى ١٣٠٠ سنة ق.طم وترجمها العالم الأثري الفرنسي شاباس تنبيء بمعلومات كثيرة في التفاؤل والتشاؤم مثل

القوم أن المولود في اليوم الرابع من شهر أبيب يموت بالعدوى، وكل مولود في السابع والعشرين منه يموت فريسة للتمساح، والمولود في التاسع من شهر بابا يعيش حتى تدركه الشيخوخة.

ولا زالت هذه الخرافات سائدة إلى أذهان كثيرة من المصريين الآن إذ من الناس من يعتقد أن في البيت سكانا من الجن فيحتاط في اتقاء شرهم، ولا يكنس بيته ليلا فيقلق راحتهم، ولا يجلس على عتبات البيوت في المدائن لأن الجن تتردد عليها، ويمنع أطفاله من الصفير ليلا حتى لا تكثر الجن حوله.

وكان لبعض النساء معرفة تامة بعلوم السحر واتصال بالأرواح فكانت الملكة تصحب الملك إلى المعبد محافظة عليه من تلك الطوارئ وقد أخبر ديودور الصقلي أن العجل أبيس كان يسلم للسيدات اربعين يوما قبل وضعه في الهيكل.



العجل آبيس

العجل أبيس الممثل المعبود فتاح على الأرض والأصل من البرونز بالطب+٦قة العليا من المتحف المصري

وكان من عادة السحرة العناية بحفظ الصيغ السحرية المنظومة حفظاً متقناً ويكررونها مرارا في أوقات معينة مترنمين بها كما يفعلون في ترنيم الحفلات.

وكانوا يشترطون على من يريد صيغة لجلب الخير أن يكون على طهارة تامة في ثوبة وبدنه مدة أيام متوالية، ويدهن نفسه بأنواع مخصومة من الطيب والزيت، ويدعونها مع إطلاق البخور في مبخرة خلف أذنية، ويطهر فمه بالنظرون، ويلبس نعلا من الجلد الأبيض ويرسم على فمه بالحبر الاخضر رسم (ماعت) معبودة الحق ويمكث في دائرة منزويا عن العالم لا يخرج عنها عاكفاً على الرياضيات النفسية حتى يتم عمله وتظهر لمداركة فيها علامة النجاح، واعتبروا طريقة استعمال الصيغ الحرية من الأسرة المضنون بها، فلا تلقن إلا لمن يثقون به ويستطيع تأديتها، وكانت لهم إشارات يستعملونها أثناء التلاوة بالأيدي ونحوها، ولا تتم أعمالهم في النجاح إلا بها، ولم يرسموها على الأحجار ولا على الأوراق البردية بل جعلوها سرا مكتوما في الصدور يلقنونها لمن يرون فيه التضلع والكفاءة.

وإل هنا نمسك عن الإطالة في تكرار الصيغ والحوادث المدونة في علوم التاريخ بهذا الشأن واعتقادنا أن القارئ يكتفي بهذا الإيجاز لأن به الإلمام الكافي في الموضوع ومنه يعلم أن السحر كان من الفنون المألوفة وتتلقاه الطبقات الراقية، ولم يكن محض تصورات ناتجة من خيال الحواس أو الوساوس الشيطانية.

الطب الشرعي

لم تقف بقدماء المصريين براعة الحذق وسعة التضلع ف يالعلومك العقلية والنقلية عند مرتبة خاصة في التفوق، بل كانوا كلما نبغوا في علم أو مبحث أجهدوا قواهم في الوصول إلى الأسمى مما بلغوا. وكانت عنايتهم بالتشريع واجراء مقتضيات العدالة في مقدمة ما يبنون عليه عظم صولتهم الدولية وتأييد رهبتهم في نفوس الرعية لإعتقادهم أن بحفظ النظام في سياسة الشعب يتكون للملك السلطان الأعلا، وللهيئة الحاكمة الرهبة القلبية. وكانت عنايتهم بالقوانين الوضعية للعقاب والتقاضي فوق كل شيء، وكانوا في أنواع الجرائم يحرصون جهدهم على كشف الجنايا وإقامة الادلة لإثباتها على فاعليها وتوقيع الجزاء الكامل للردع والزجر، ولم يتركوا سياج القضاء مهملا من التحفظات الكافة لإرتياح ضمائرهم في تطبيق إجراءاتهم على قواعد العدالة الحقة. ومن هذا القبيل التحفظات الشديدة التي قرروا اتباعها عند وقوع الجرائم الجنائية، وبالأخص ما يتعلق بالاعتداء على الأرواح كاستعمال الأسلحة في المضاربات ونحوها، والاحتيال في إزهاق الحياة بالوسائل العدوانية سواء كانت حوادثها بظروف ظاهرة أو بوسائل تستدعى يقظة ومهارة المحقق لكشف الستار عمات يكون تخلل أدوار الحوادث الجنائية، لأن الأشرار من قديم العهد جبلوا على الاحتيال في إخفاء معالم الجرائم والاجتهاد في إخناق ما يتخذ لمقاصاتهم.

وقياماً بالواجب أمام العدالة والتاريخ العام جعلوا في نظاماتهم القانونية ما يسمى (الطب الشرعي) أي أن هذا العنوان في الموضوع القضائي ليس منم ابتكارات العصر الحاضر، بل هو مما سبقت إليه مدنية قدماء المصريين في عصور الغابرة. ولا غرابة في ذلك لأن يقظة الأذهان في كل جيل تستدعى هذا الاحتياط. فعلى نسبة التقدم في المعارف والعلوم يكون اعتياد الأشقياء على التفنن في أعمالهم العدوانية، ولا محيص للهيئة الحكومية نظراً لذلك من أن تلاحظ في تشريعاتها كل ما تقتضيه

حالة المجتمع في جلب الخير ودفع الشر.

وكان الطب الشرعي ينحصر عندهم في الكشف أولا على الوفيات العامة أي توقيع الكشف على الموتى معرفة أطباء يعينون لهذه المهنة والتأكد من أسباب الوفاة. فإن كانت طبيعية أو بأمراض أو عارضة لحوادث ليس فيها إجرام أمكنهم التصريح بالدفن،م وإلا عرضوا الأمر للسيطرة القضائية لتفحص الوقائع وتتخذ نحوها التحريات لحصر الشبهة في من تقع عليه مسئوليتها فيجري عليها الكشف الطبي ثانيا. وكان لا يؤدي وظيفة الطبيب الشرعي في كل مركز إلا من تتوفر فيهم سعة الكفاءة والخبرة التامة والأمانة النفسية والحرص على العدالة والاشتهار بالإستقامة والنزاهة، ليكون قرارهم في المسائل الجنائية المصباح الأول لإعطائها الوصف الصادق، ولتبنى عليه الهيئة القضائية أسانيد عادلة تكفي لتوقيع العقاب المناسب.

وكان من عادتهم إذا وجدت في ظروف الجنايات نساء حوامل أن لا يتسرع القضاء في تنفيذ العقاب، بل يؤجل حتى تضع الحبلى جنينها كيلا يتأثر وهو في ظروف التكوين بما قد ينتج من تنفيذ النظامات السجونية على الأمهات، فينشأ الجنين طفلا محوطا بالضعف والإنحطاط البدني وهو لا دخل له في الجريمة التي عوقبت عليها الأم، وشتان بين عواطف الإنسانية هذه والقانون الحالي الذي ستمر بالقارئ الملاحظة عليه في ذلك.

وكانوا يخصصون للتحريات في أمثال هذه الظروف بعض الكهنة الموثوق بأمانتهم من الوجهة الطبية والدينية ليس إلا ويخصصون لها أيضا بعض القوابل بمعنى أن هذه الطوائف كانت الدوائر القضائية تأخذ بإرشادها وأقوالها في كشف الحقائق طلبا للإنصاف والعدل الذي هو الضالة المنشودة للجميع فتستعين الهيئات الحكومية بمن تنقيهم أعواناً لها في تنفيذ مقتضياته.

أما القانون المصري المتبع الآن فلا يراعي في أمر الحبالي شيئا إلا بما يختص بعقوبة الإعدام فقط فيؤجل تنفيذه عليها إلى ما بعد وضعها، فإذا كانت العقوبة

حبسا فتنفذ نحوها إجراءاته وغاية ما في الأمر أن تبذل نحوها عناية مؤقته في أسبوع الوضع فقط.

ومن هذا تكون العدالة في العصور الأولى روعيت فيها ظروف الشفقة نحو الحوامل بوجه عام بما لا وجود له في قانوننا الحاضر الذي يترنم ذووه بأنه وضع في عصر المدنية الراقية والتنور المتزايد (المترجم)

قانون الصحة

اجتهد المصريون في تطبيق القوانين الطبية على مقتضيات الحالة الصحية علميا بما يناسب مواقع البلادن والاحتياط لدرء غوائل الأمراض قبل وقوعها ومنع انتشارها إذا حصلت. وكانت القواعد الصحية ينص عنها في كل قانون بما يناسبة لتكون المبادئ الطبية متداولة بأيدي الطبقات فيما يكلفونه باتباعه مساعدة لهم في التحفظات الشخصية. وتلبية للأوامر النظامية في كل ما يستدعيها حتى صار من المألوف عندهم النظام الخاص بالمواد الغذائية وأوقاتها. وكانت هذه القواعد متبعة أيضا على أشخاص من الملوك فلا يتناولون أكثر مما يقرره لهم أطباؤهم في مواد الغذاء والشراب وأوقاتها، وتحديد الأزمنة لرياضتهم وانعكافهم على مباشرة الشئون العامة الحكومية، فيكونوا على الدوام في قوة متكافئة للقيام بالأعمال المجمولة م سئوليتها عل عاتقهم طبقا للنظام العام.

قال دبودور الصقلي أن الأمور الطبيعية كالمباضعة كانت منظمة عنهدم حتى خصصوا لها أوقاتها معينة وقال هو مير وبلوتارك أن كل مصري في ذاته كان كطبيب خاص لعائلته، ويكتفي بتجاربه ومعلوماته لصيانة صحته لاعتيادهم عل اتباع القوانين الصحية منذ نشأتهم. وكانوا يعتبرون الأطباء كعلمين يتلقون عنهم العلوم الصحية ويلقبونهم (محامي الصحة) واعتبرهم اليونان انهم منشئو علم صحة الأبدان، وقالوا أن المصريين هم الشعب الوحيد السليم البنية الذي يمكنه أن يعمر طويلا مع بساطتهم في أدوار الحياة تناول الأغذية البسيطة وليست كذلك الشعوب الأخرى.

واشتهر الشعب المصري بالأيناس والبشاشة والنظافة. وكان الكهنة يزيلون عن أجسامهم كل يوم الأدران والشعر، ويغتسلون بالماء البارد مرتين في كل أربعة وعشرين ساعة، وكانوا دائما يحرصون الشعب على الاقتداء بهم في ذلك، خصوصا للفريق

الذين تدعوهم شئونهم المعاشية للتلوث بالأتربة ونحوها، وكانوا يحتمون عل أنفسهم الاغتسال قبل الدخول إلى الأماكن المقدسة وأماكن العبادات وكذلك بعد مباضعة النساء.

وكان المصريون القدماء يفضلون المعيشة في الخلاء بقدر الأماكن،ز ويجعلون لهم المنازل الفسيحة وفيها البساتين، ويبنون في أعالى دورهم أماكن تساعد على الانتفاع بطلاقة الجو ونقاوة الهواء، ويلبسون في أوقات الاستراحة من الأعمال الملابس البيضاء كرياضة جسدية لاجسامهم. وكانوا على جانب من المحبة للأعمال الرياضية بأنواعها بما فيها الصيد والقنص. قال شامبليون أنه وجدت في مقابر بني حسن رسوم للأسرة الحادية عشرة أي منذ (٢٠٠٠ سنة ق.م) تدل على أن المصارعة كانت معروفة عندهم واشتهروا بالبراعة فيها، وكانوا يعتنون بغسل الأيدي قبل الطعام وبعده وغسل كافة الأواني والأدوات المنزلية المخصصة للطبخ وغيره، وكانوا يعتمدون عدم التكلف والتأنق في الأغذية، وكثيرا ما كانوا يقصرون طعامهم في أغلب الأوقات على الخبر والكعك والخضروات والثمار والأسماك والطيور ويمتنعون عن أكل لحم الخنزير لخبث تغذيته، وكذلك أكل لحم الكركي والتمساح وجاموس البحر ، وكانوا يصومون أياما عديدة في السنة وكان الصيام يسبق عيد المعبودة إزيس، ولا يتعاطي الكهنة شيئاً من الخمور ولا يأكلون الفول والبصل لانهما يساعدان على زيادة التبخر المعدى وتوليد الغازات، وعن السمك أيضا لأن لحمة منبه للدم وهم بحسب مهنتهم يطلب منهم أن لا تثور حواسهم بما يمنعهم عن التفرغ لأدائها بخشوع واستكانة.

وكانت لهم عناية عامة بالأحوال الصحية حتمها عليهم تضلعهم في الفنون الطبية، ورأوا من مقتضيات اتخاذ كل ما يمكن لتوقي الأسباب المؤذية لاي خطر صحي على الأجسام سواء بإصابات مرضية أصلية أو بعوارض العدوي ونحوها.

وكانوا يرون أن العناية بمياه الشرب في مقدمة الاحتياطات الواجبة، وكانوا يفضلون الماء القراح على كل الأشربة ويعمدون إلى تطهيره من المكروبات بواسطة

غليانه على النار حتى يبلغ أشد درجات الحرارة، ثم يجعلونه في الآنية المناسبة لاكتساب البرودة حتى يكون صالحا سائغا للشرب، ويبالغون في هذه الاحتياطات توقيا من الأمراض الباطنية وعند ظهور نوع من الأنراض الخطرة ذات الأنتشار والعدوي.

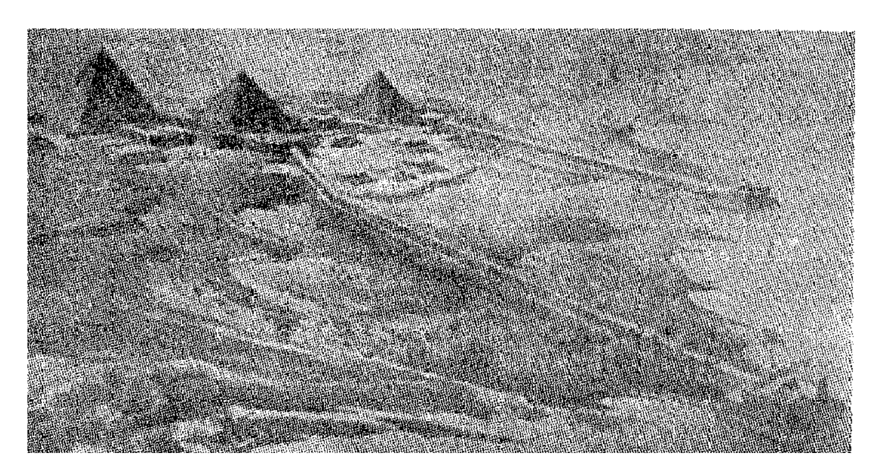
وعرفت العناية بتقطير المياه وغليانها عند أغلبية الطبقات اقتداء بنصائح الأطباء، وعنهم أخذ الملوك هذه القواعد الصحية. ومن الأدلة على ذلك أنه في سنة ٥٥٠ ق.م. وعندما عزم الملك شورش على القتال اتخذ معه كميات من الماء في أواني فضية، ثم تقررت هذه القاعدة في كل حركات للملوك حالة ابتعادهم عن عاصمة مملكتهم. وقال هيردوت أن هذه العادة قررها الملك المذكور في نظامات هيئته الملكية وتنقلات الجيش ونحوها، امتثالا لنصائح اثنين من اطبائه الثقاة تلقيا علومهما الطبية عن أساتذة من الأطباء المصريين. وهذه التفصيلات تثبت لنا من طر آخر أن العناية باستصحاب المياه المقطرة في حملات الجيوش ليست من مخترعات العصر الحاضر، بل هي مما أرشدت إليه سلامة البداهة وقوة العناية والفطنة في عهد قدماء المصريين. وهذه المسألة وأمثالها مما يصدق عليه المثل المتداول "لم يترك الأوائل شيئا من الفضائل للآواخر" وهكذا يؤثر عن تطور الشعوب في ترقيها العمراني والملكي، لأن مصر كنت قبل براعتها في الفنون الطبية عبارة عن مستنقعات وتنتشر منها في البلاد أنواع الحميات البطاحية وغيرها. وقد اجتهدوا في تلك الأدوار في تجفيف المساحات الواسعة من الأراضي حتى تلاشت المضار التي كانت تتولد أغلب الشهور من الحشرات المائية وغيرها. وبتداول الاوقات والاستمرار في الأرتقاء العملي والعمراني أصبحت مصر ملجأ للعلوم العظيمة، يقصدها الناس من كل فج لتلقى العلوم من كبار اساتذها والاستشفاء بجوها المغتدل؟، ولا زالت مصر إلى الآن موئلا لا لتماس الشفاء في أغلب فصول الشتاء، فإن للمئات من آلاف السياح يقصدون مصر لهذه الغاية قصدا أكيدا لا يذكر في جانبه تظاهرهم بكونهم يقصدون السياحات المحضة ورؤية الآثار والمرور على قفارها.

وكان الفراعنة على جانب عظيم من الرأفة بالرعايا مهما بلغت بهم الظروف في بعض الأحوال لاستعمال القسوة والشدة، ومما يؤثر في هذا المعنى للملك خوفو منشئ الأكبر أنه استمر في بنائه نحو ثلاثين عاما وكان عماله ١٠٠٠٠٠ فبإشارة الأطباء لمنع انتشار الأمراض والعدوى كان يكعد لهم بعض الملابس، ويأمرهم بالاغتسال يوميا في الأوقات المعدة للراحة من العمل، ويجعلون لهم أماكن خاصة بعيدة عن محل اشتغالهم لتأدية كل احتياجاتهم على أبعاد متفاوته، حرصا على نقاوة الهواء وعلى سالمة أبدانهم من مضار التلوث بالمواد القذرة ونحوها. وكان الأطباء يرتبون لهم محاجر صحية ويجعلون فيها من يتقرر عزلهم عن باقي الأصحاء في أمكنة خاصة على صخرة مرتفعة. وفي كل عام كانوا يحرقون مساكنهم ويجددون غيرها حتى لا تصيبهم المضار من مكروبات تكون كامنة بين بناتها.

وتحنيط الجثث كان من أقوى البواعث عليه في مبادىء أمره الاعتناء بالاحتياجات الصحية العامة (لأن حرارة الجو تساعد على انتشار المكروبات عند تعفن الجثث إذا كان دفنها في المقابر غير مستكمل للأشتراطات الصحية) وكانوا يكتفون في مبادىء الأمر بتجفيف الجثث بواسطة دفنها في مناطق رملية تكفي لامتصاص السوائل، وارتقوا بعد أجيال إلى جعل التحنيط عملياً ثم إجباريا في بعض الظروف ليحفظوا البالد من تلويث الهواء، بما ينتشر عقب فساد الأجسام من أماكن الدفن الغير صحي. وبهذا نتأكد أن مصر استمرت معظم أجيالها في الاكتشافات العلمية النافعة، وفي الترقي لوقاية الإنسان بكل ما تصل إليه الاستطاعة في العناية بالفنون الطبية، وان الطب كانت له المكانة الأولى عندهم قبل هيبوكرات الذي يلقب أب الطب ويرجع تاريخه عند قدماء المصريين إلى ٦٠٠٠ سنة.

فمصر بهذا المعنى جديرة بأنم نلقبها (معلمة الجنس البشري) وآثار قدمائها تذكرنا بما كانت عليه مدنيتهم من التفوق والإبداع، خصوصا أن أغلب هذه الآثار الشاهقة والمعابد والهياكل يرجع تاريخها إلى ٥٠٠٠ سنة، أي قبل التوراة وقبل أسكولاب وهومير. ففي الوقت الذي كانت فيه أوروبا مستغرقة في أحوالها الهمجية

والعقول الحجرية، كان بمصر رجال فضلاء يبذلون كل مجهود في الرقي الإنساني وزخارف الحياة التي بها قضوا حياتهم العزيزة وأدوارهم الساطعة في رفاهية وعرفان، استطاعوا بهما سعادة المجتمع الإنساني وتخفيف ويلات الأمراض التي كان فتكها بالأمم الأخرى فوق ما تتصوره الأفهام.



رسم الأهرامات الثلاثة بدهشور (سقارة)

التحنيط

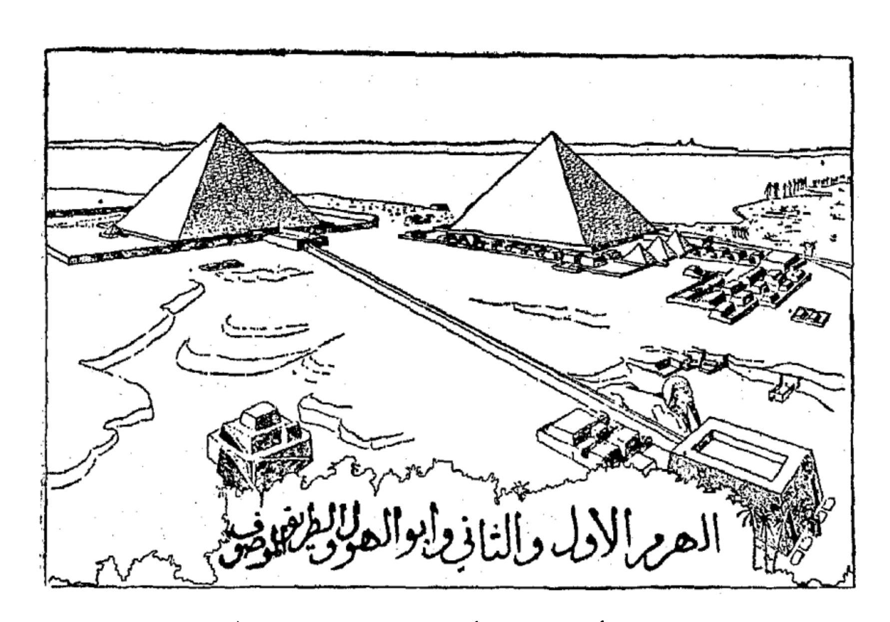
لما يوجد من الأرتباط العلمي بين المباحث الطبية العامة التي مرت الإشارة إليها في الجزء السابق من هذا الكتاب ،. وبين علم والتحنيط من الأرتباط الفني في كثير من الملحوظات العلمية، رأينا بعد الفراغ من ذاك الجزء إثبات الملحوظات الآتية التي استطعنا اقتباسا من كتاب الدكتور لويس ريتر **(Louis Router)** الذي ألفه خاصا في علم التحنيط **(L. embaumement avant et après J.C)** إتماما لفائدة القارىء ليكون ملما قدر الإمكان بمادىء وقواعد الفنون المذكورة ، لأن الأرتباط بينها بمنح الذاكرة اكتشافا معنويا يبعث على الأذعان بفضل أولئك القوم، ويساعد في الاستنارة بالمعلومات التاريخية في كل فرصة تسنح سواء عما وصلت إليه مجهوداتم الباحثين في العصور الأولى، أو فيما تجود ظروف الإمكان باستكشافه. والعقل البشري بحكم ارتقائه دائم الاحتياج إلى الاستفادة ولااقتباس من كل جديد وقد رتبنا هذا الجزء في مباحثة على التقسيم الآتي:

الدار الأبدية عند قدماء المصريين

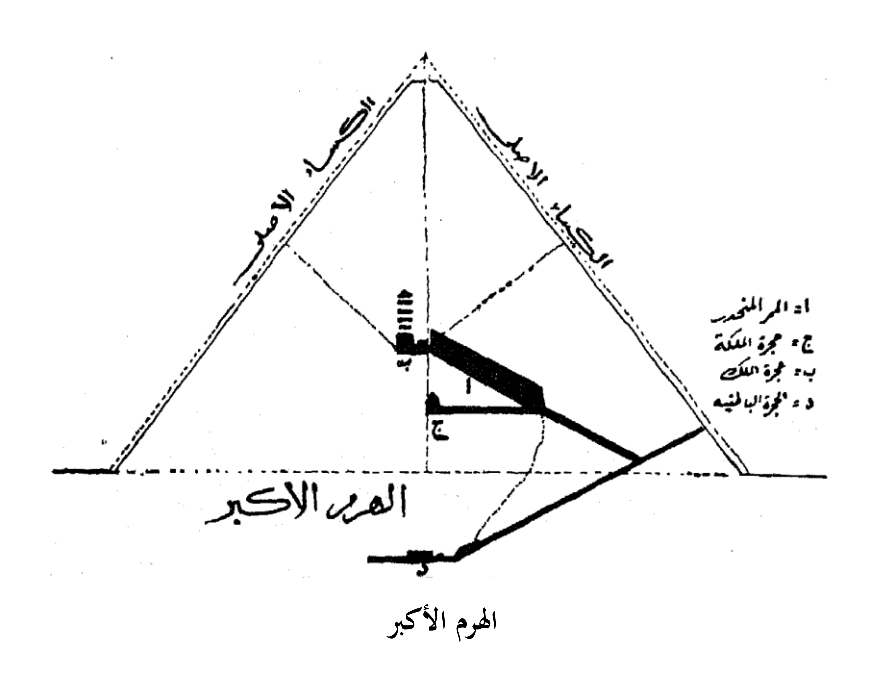
كان من اعتقادهم أن المأوى الأخير للإنسان المعروف في الاصطلاح المتداول بالقبر هو دار النعيم الأبدية، تأوى إليه الأرواح بعد استقرار الاجسام فيها بأمن وطمأنينة، ولهذا أحولها من المكانة والأحترام المكانة لادبية المكابقة لهذا الاعتقاد. وكانوا يتفننون في تشييدها تفننا وإبداعا ينطوى على مقاصد عديدة منها إجلالها الاعتبارى للمعنى المتقدم، ومنها الرمز بمبانيها وفخامتها إلى عظمة وسطوة من يسكنها كالمقابر المشيدة والأهرامات الضخمة والهياكل الفخمة. فمن أولئك الفراعنة من كان يشغل وقتن حياته بتشييدها تحت إشرافةه، شاملة لكل ما تخيل من ضروب العظمة والفخامة وأنفق عليها من الأموال والوقت ما استطاع، ومنهم من كانت تعوقه شواغل الملك عن البذخ بهذه الثار، فيعتني بإقامتها بعده تعظيما لدقره وتفخيما لذكره من يرثه في الملك والسطوه، وكانوا يضعونها بأشكال هندسية باهرة تختلف في أشكاالها حسب الاصطلاحات الوضعية المستحسنة في ذوق كل جيل. وكانوا يجعلونها أماكن وحجرات متعددة تمثل إيوان الملوك وديار سلطانهم، وتمتاز عنها بأنها محفورة في الصحراء ومحاطة بدهاليز ونحوها توقيا من طوارئ الجو وحوادث الغيب التي كانت كثيرة الوقوع فثي أيامهم كالطوفان ونحوه.

وكانوا يعتنون بإعداد المشتملات المنزلية في تلك الحجرات كالأسرة والأواني الثمينة والمصنوعات المعدنية وأنواع من الأطعمة أيضا، لاعتقادهم أن الارواح بعد انسلاخها عن الأجسام واستقرار الموتى في مقابرهم، يكون لها اشراف على الجثث فتأنس بمناظر ما كانت تعتاده في استعمالاتها الدنيوية، ويأولون ذلك بان اشراف الأرواح على الأجسام بعد انتقالها من الحياة الدنيا، يجعل لها شبه التمتع الغذائي نظريا بأنواع ما كانت تألفه في حياتها البشرية. وهذا الاعتقاد كان ساريا عندهم كأنه من الأصول الأولية في النظامات الدينية. وكان عامة الناس لا يستطيعون اتخاذ ذلك

لموتاهم، لأنه يستعدي نفقات وسطوة لا يقوي الأفراد عليها، فكانوا يكتفون بالاعتقاد الوجداني مؤملين من رحمة الدينوية أن تمتع أرواح الفقراء بما تكون في حاجة إليه. أما الفراعنة والعظماء فكان لديهم من قوة البأس ووفرة الاستطاعة على تنفيذ كل ما يختارونه في هذه الواجبات، وتدل على عنايتهم الفائقة بها ما شوهد من آثارها في مقابر واهرامات وهياكل الجيزة ودهشور وسقارة وممفيس وطيبة وتل العمارنة وأسيوط وأبي دوس وقبطوس وغيرها بالأقاليم القبلية والبحرية، وكانوا يسمونها مراقد السعادة وليست مساكن الموتى، فيخصونها بحسب اعتقادهم بإقامة التذكار وتقديم النذور وتخصيص أفراد لتأدية الفرائض الدينية حولها بداخل ما يشيدونه قريبا منها من الهياكل والمعابد وكانوا يصفون الارواح بالخلود.



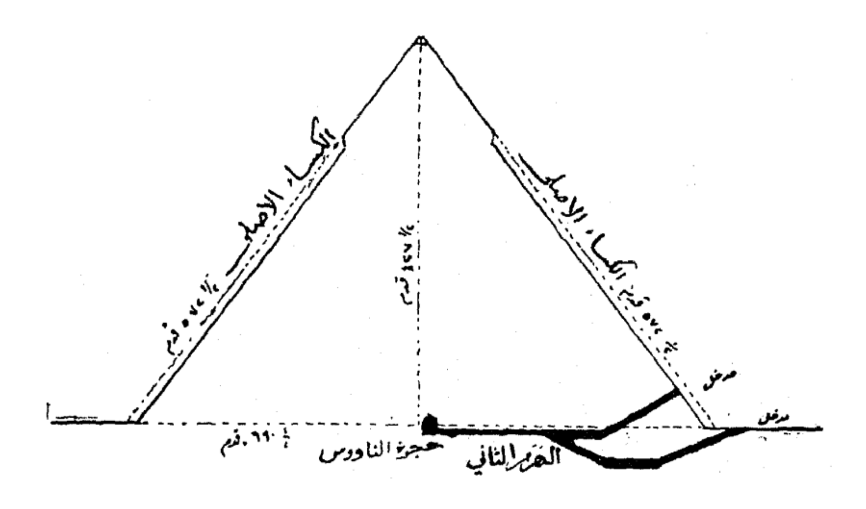
الهرم الأول والثاني وأبو الهول الطريق الموصوف



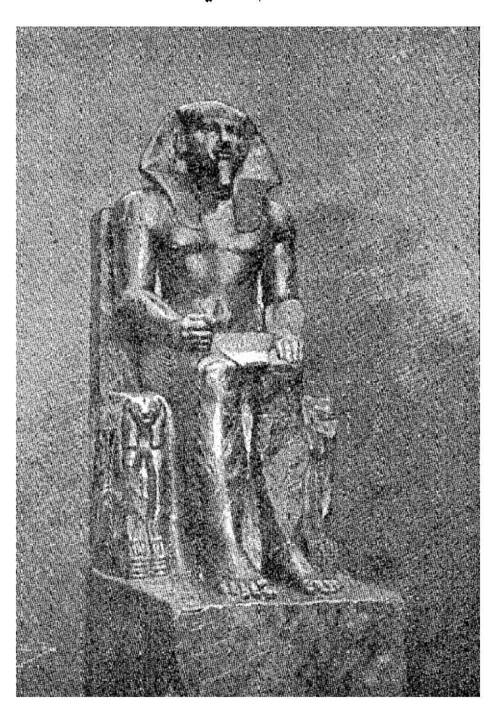
الهرم الأكبر



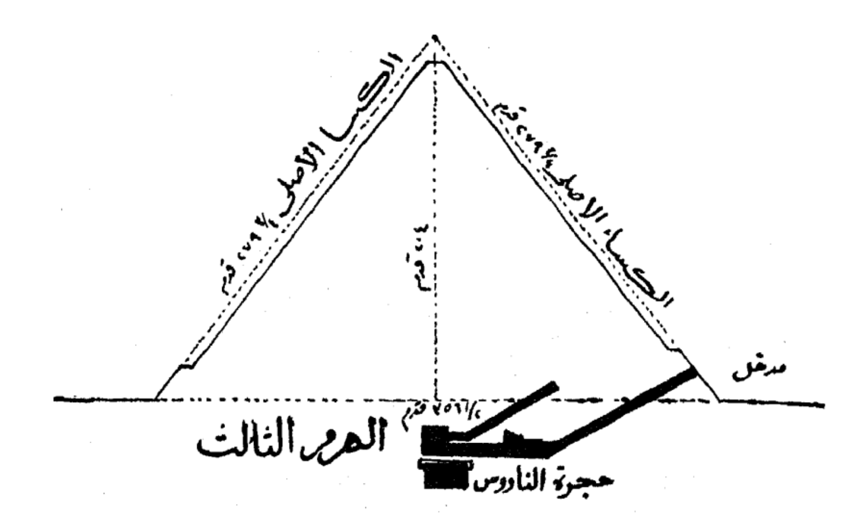
تمثال من المرمر ربما كان للملك خوفو مشيد هرم الجيزة الأكبر (الأسرة ٤) والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بالقاعة B رقم ١١٥



الهرم الثاني



تمثال من الحجر الديوريت للملك خفرع مشيد هرم الجيزة الثاني (الأسرة ٤) والأصل بالمتحف المصري بالقاعة B رقم ١٣٨



الهرم الثالث



تمثال من المرمر الأبيض منقرع مشيد هرم الجيزة الثالث (الأسرة ٤)

والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بالقاعة B رقم ١٥٧.

عقيدة قدماء المصريين

بخلود النفس وبالحياة الآخرة

قال هيرودوت المؤرخ اليوناني "أن المصريين هم أول الشعوب الذين اعتقدوا بخلود النفس" وورد في النصوص المنقوشة على الأهرام التي يرجع تاريخها إلى الأسر الأولى "أن النفس خالدة ولا تموت أبدا" تزال نقرأ على تابوت (أبعنخو) وهو من الدولة القديمة هذا النداء "أنت ايها المتوفي ابعنخو قم قم عش وسر" وفي الفصل ٤٤ من كتاب الموتى أن الميت يقول "أنا لا أموت مرة ثانية في العالم الثاني" ويتضح من عقيدتهم في الدينوية بعد الموت، ومناقشة الحساب عن حسناتهم وسيئاتهم أن النفس خالدة. فيؤخذ من هذا اعتقادهم بأنه لابد من حياة ثانية بعد الموت الأول.

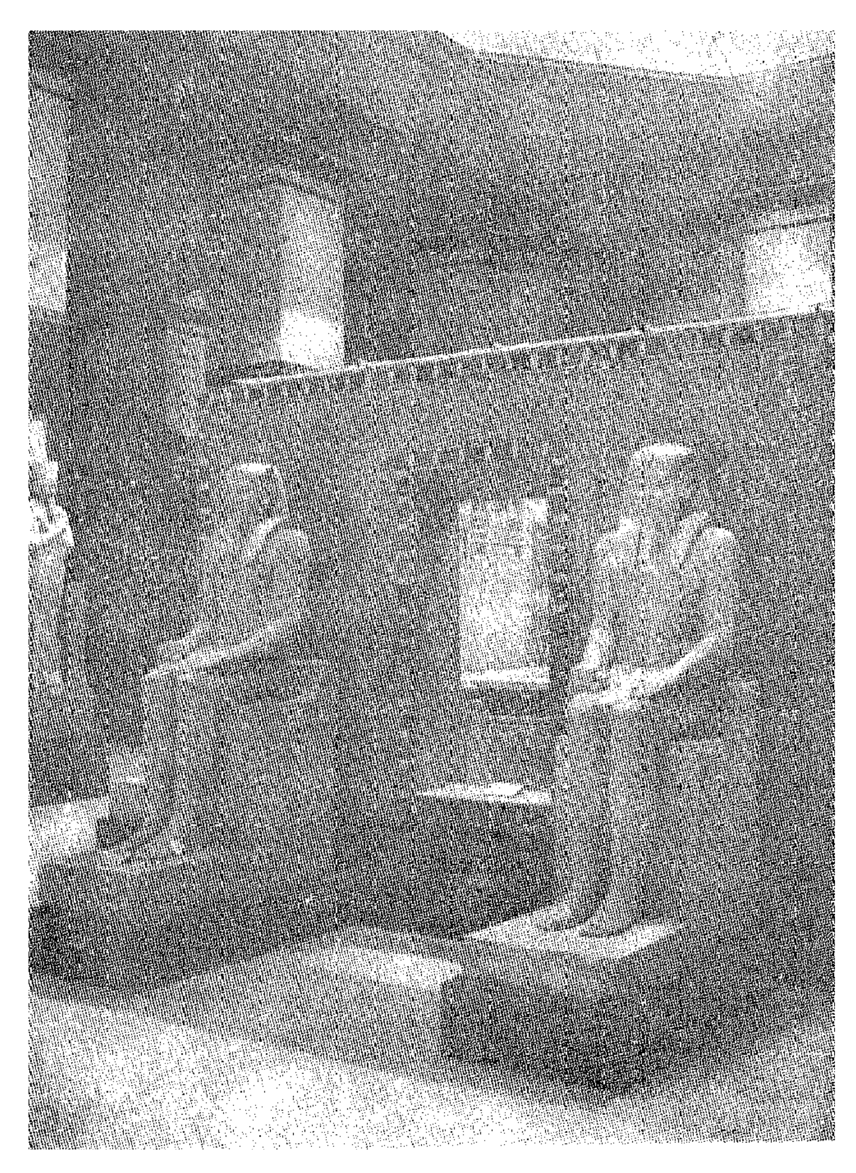
وكان من اعتقادهم أن النفس مؤلفة من جملة أجزاء (١) من (با) أي النفس وهي برسم طير (٢) من (كا) أي الجسم الثاني للإنسان وهو برسم ذراعين مرفوعين (٣) من (خو) أي النور وهو يمثل روح الميت (٤) من (أب) أي القلب وهو الذي تراه في مشهد أزوريس الحامل في كفة الميزان الإلهي مجموعة حسنات المتوفي وسيئاته (٥) من (رن) أي الأسم برسم حلقة مستطيلة وهو الذي يخلد ذكري المتوفي ويحييه (٦) من (خايب) أي الخيال (٧) من (ساهو) أي القوات. وإلى القارىء تفضيلات تلك الاجزاء.

أولا: أما (با) ومعناه النفس الممثلة على شكل طير فهي المبدأ الحيوي لأن به حياة الجسد. ويعتقدونم أن النفس منبثقة من الأله وجزء من جوهرة. ولا تزال نقرأ في أناشيدهم المؤلفة في عهد رعمسيس الثاني "أنه لا فرق بين أرواح الفراعنة وأرواح الآلهة" وبما أن أرواحهم من الجوهر لإلهي الغير المخلوق، فلابد أن تكون أراوحهم غير مخلوقة أيضا لا سيما وهي لم تخلق للجيد الذي حلت فيه فقط، فإنما حلت في

أجساد قبله وستحل في أجساد بعده، فهي في زعمهم لا تموت لأنها سرمدية من الجوهر الألة وهذا هو رأى القائلين بتقمص الأرواح. أما الرأي عول عليه أئمة الأديان إلى الآن فهو أن كل روح خلقت من الجسد الذي حلت فيه، وبما أنها خالدة فتحفظ شخصيته بعد موته وتتألف كلها جسدا ونفسا للأبد في يوم البعث. والفضل في ذلك مرجعة لخلود النفس ولو فنى الجسم، أما إذ ثبت البقاء لشخصية الإنسان بعد الموت كما اعتقد قدماء المصريين، فذلك مرجعه إلى الجسد وحده لان مذهبهم أن الروح تابعة للجسم تفنى بفنائه وتبقى لبقائه كما ذكر.



الميت وبقربه روحه رسم الميت وبقربه روحه على شكل طير برأس أدمى والأصل المصري

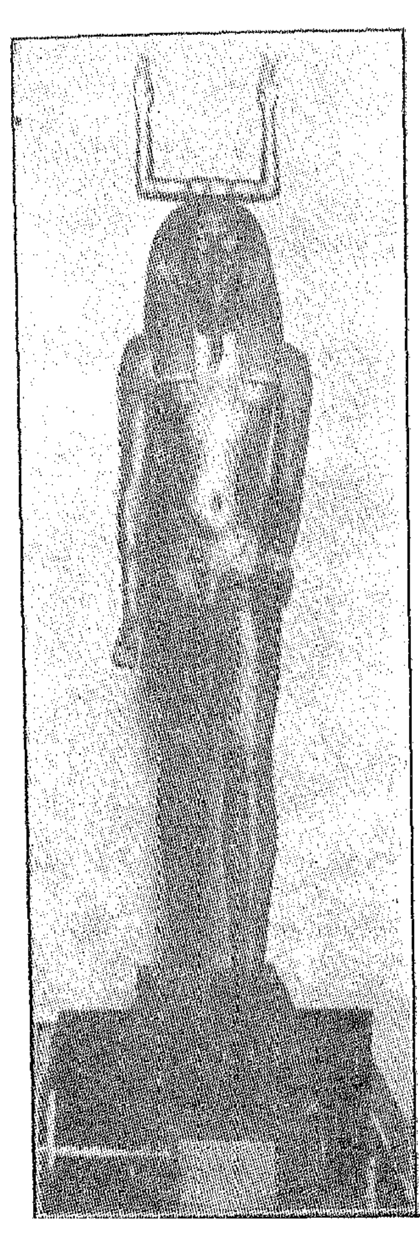


الملك سنوسرت الأول وله عشرة تماثيل من الحجر الجيري بالمتحف المصري بالطبقة السفلي بالقاعة حرف C رقم ٣٠١ عثر عليا بقرب هرم اللشستت (تبع مركز الصف مديرية الجيزة) وكلها تمثل هذا الملك وجسمه الثاني

ثانيا: أما (الكا) أي الجسم الثاني للإنسان فهو مكون من مادة ألطف من المادة الجسدية وغير محسوسة وهو صورة الشخص ذاته، فإنه على هيئته وشكله سواء كان طفلا أو رجلا أو إمرأء، ويخلق مع الجسم ويولد معه ويتحد معه تمام الإتحاد في الحياة الدنيا، ويسكن القبر مع بع الموت

ولكنه يستطيع مصاحبة النفس إلى محكمة أزوريس وإلى الجنة ويصير إلها. فيقدم له أهله أو الكهنة المنوطون بخدمته فرائض العبادة في القبر، وتحنط له الجثة ويتلبس بها متى أراد، ويتلبس أيضا بالتماثيل التي كانت توضع له في القبر عند فناء الجثة المحنطة. وكانوا يكثرون في القبور من هذه التماثيل التي تنوب عن الجثة ليضمنوا له طول البقاء، لأن في اعتقادهم إذ فنيت الجثة المحنطة والتماثيل النائبة عنها زال معها الجسم الثاني. وكانوا يضعون حول الجثة ما يحتاجه من خبز وثمر، وكثير ما كانوا يكتفون بوضع رسوم هذه الأشياء على جوانب القبر، ومتى تلا أهل الميت أو الكهنة الأدعية والصلوات إلى الآلهة، تحركت وصارت طبيعية فيتلبس الجسم الثاني بالجثة المحنطة أو بأحد التماثيل النائبة عنها، ويتغذى من هذه الأطعمة. وقد يتعدد هذا "الكا" أي الجسم الثاني لشخص واحد حتى يصل إلى ١٤.

وبما أن الجسم الثاني يكون من مادة ألطف من المادة الجسدية، فربما وقع في سبات عميق فيوقظونه بالعزائم الروحية، فيحي ويتلبس بالجسد المادي فيحييه ويصير معه كما كان في الحياة الدنيا. وموع أن هذه العقيدة كانت راسخة عندهم فإنهم كانوا لا يعتقدون بيوم الحشر والنشر المسمى بيوم القيامة بل عندهم أن كل من مات قامت قيامته.



الملك حورس وفوق رأسه هذه العلامة ( ) (كا) وهو رسم ذراعين مرفوعين. وهذا الرمز دليل حيقي على أن هذا الرسم هو شخص الملك بعد فناء الجثة المحنطة، فتحل فيه روحه متى شاءت والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بالأيوان F رقم ٢٨٠ (الأسرة ١٢).

وقد ورد هذا "الكا" كثيرا في الآثار. فقد وجد منقوشا على قبر (رخمارا) هذه العبارة "فليقم جسمك الثاني من بعدك" ونشاهد على قبر (بنونوف) في طيبة رسم ابناء حورس الاربعة حاملين الجسم الثاني للمتوفي وقلبه وروحه وجثته. وقرأنا على قبر (طاهو) "ان الجسم الثاني للميت وروحه وخياله وجثته جميعها طاهرة" وقد رسمت بمعبد الدير البحري بالأقصر صورتا الملكة حتشبسوت والملك أمنوفيس الثالث، ويفهمك من تلك الرسوم أنه لم تم زواج فرعون أمر أمون رع رئيس الآلهة المعبود خنوم الفخار السماوي أن يخلق جسد الطفل فلما جمع خنوم الرماد على كرسيه صنع منه أنموذجين وهما جسد الطفل المادي وجسمه الثاني.

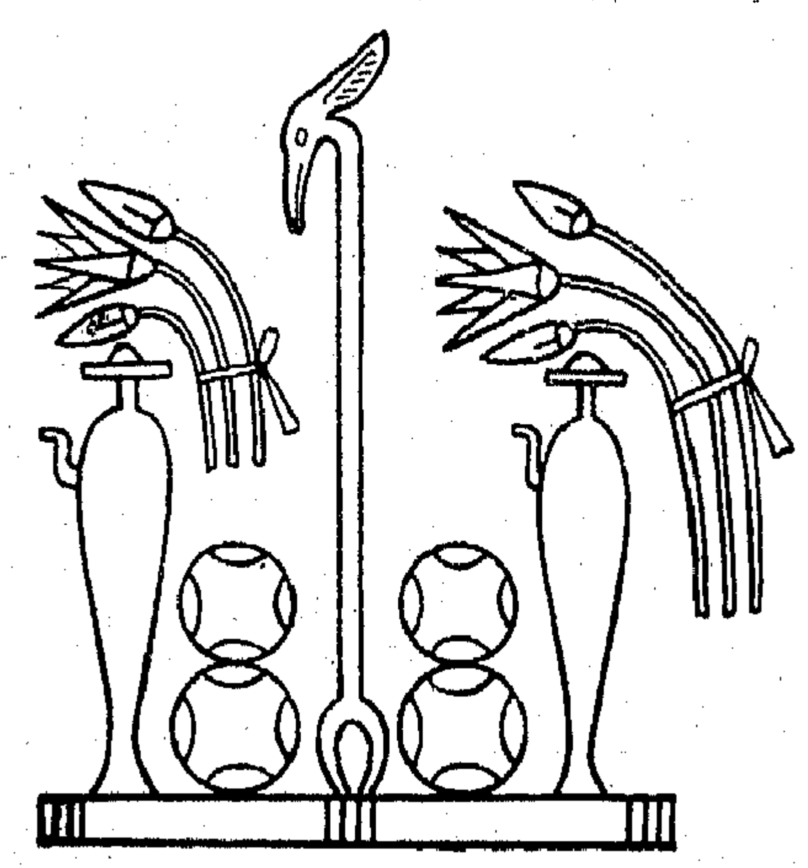
ثالثا: أما (أب) أي القلب فيذهب بعد الموت إلى محكمة أزوريس ويحمل في الكفة الثانية للميزان حسنات المتوفي وسيئاته فإذا اتضح بعد الحكم ان الميت صالح أعيد له قلبه بأمر الإله أزوريس ليحي معه في جنته. وإذا كان ظالما فيصير فريسة الوحش الجهنمي المدعو باللغة المصري (مم) أي المفترس.

رابعا: أما (خو) أي النور الإلهي فإنه رمز لذكاء الإنسان كما أن (البا) أي النفس رمز لإرادته.

خامسا: أما (رن) أي الاسم المرسوم على شكل حلقة مستطيلة، فهو يخلد ذكرى الانسان ويحييه، وبدونه لا تعرف شخصيته في العالم الثاني. وأن النفس أن لم تراسم صاحبها على التمثال النائب عن الجثة المحنطة تصير عرضة للزوال، لأنه في اعتقادهم إذا زالت الجثة المحنطة أو ما ينوب عنها من التماثيل الحجرية أو الخشبية تزول جميع أجزاء الإنسان الأخرى، فلذلك اعتبره القدماء جزءاً مستقلا لازما للإنسان (٦، ٧) أما خاييت" أي الخيال (وساهو) أي القوات فلم يقف علماء الآثار على حقيقتها إلى الآن وقيل أن الخيال هو الجسم الثاني للإنسان.

فيتضح مما تقدم انهم اعتقدوا بخلود النفس وأذعنوا بالحياة الآخرة بعد الموت. وإذ افتخر الكلدانيون والآشوريون واليونان بمعابدهم، فنحن سلالة قدماء المصريين

نفتخر بهذه الجثث المحنطة التي مضى عليها أكثر من أربعة آلاف سنة، ونحن نراها كأنها لم يمض عليها إلا عشية أو ضحاها. اذن ليس حب التظاهر والكبرياء هو الذي جعل الأقدمين يصنعون قبوراً خالدة وأجسادا غير قابلة للمحو والزوال، وانما السبب الحقيقي هو اعتقادهم في خلود النفس وفي الحياة الآخرة.



محاكمة الروح بعد الموت عند قدماء المصريين[1]

(ترجمتها من كتاب الموتى وهو أقدم كتاب في العالم) [2]

يظهر الإنسان في الحال بعد الموت أمامحكمة أزوريس لمحاسبته عما فعل من الحسنات واقترف من السيئات ليلقى الجزاء العادل.

يرأس أزوريس الإله الصالح محاكمة العدل الكبرى، جالسا على عرشة في ناووس قائم في صدر القاعة، المكلل سقفها بالقناديل وعلامات الحق، وأمامهو أحفاده أبناء حورس وآلهة أربعة أركان العالم، ومعهم اثنان وأربعون قاضياً بعضهم برؤوس بشرية وبعضهم برؤوس حيوانية، وعلى رأس كل منهم ريشة نعامة رمزاً للمعبودة (ماعت) ممثلة الحق والاستقامة والعدل، وفي يد كل منهم سيف لقتل الخاطىء ووظيفتهم ملاحظة ما يظهر في كفتى الميزان الذي يزن الحسنات والسيئات، ومراقبة ذلك بكل دقة وتطبيق نتيجتها على أقواله، وأمام الزوريس وحش يدعي باللغة المصرية (مم) أي المفترس، وأعضاء جسمه على أشكال مختلفة من جاموس البحر والتمساح والأسد تراه متحفزا لافتراس الميت إذا رجحت كفة ميزان خطاياه.

يقف الميت على باب قاعة العدل خائفا مرتعدا في هذه الساعة الرهيبة التي يكون فيها الفصل النهائي في أمر خلاصة أو هلاكه الأبدي وينفي عن نفسه ارتكاب المحرمات قائلا:

---

(1) إن الأبواب "عقيدة قدماء المصريين بخلود النفس وبالحياة الآخرة، ومحاكاة الروح بعد الموت، وعلاقة السحر بالطب عند قدماء المصريين" اقتطفتها هنا من كتابي الأدب والدين عند قدماء المصريين.

(2) أنظر الرسم صفحة

(١) مرافعة الميت عن نفسه عل باب قاعة المحكمة:

" سلام عليكم أيها الإلة العظيم صاحب الحق، أني جئت إليك يارب خاضعاً أمامك لأعاين مجدك، أني أعرفك وأعرف اسمك وأسماء الإثنين والإربعين قاضيا الجالسين معك في قاعة الحق، والمتغذين من لحوم العصاة والمرتوين من دمائهم في هذا اليوم العظيم وفي هذه الساعة الرهيبة. لقد أتيت إليك يا إلهي متحليا بالحق متخليا عن كل خطيئة، فإني لم أظلم أحداً، ولم أسلك طريق الشر، ولم أحنث في يمين، ولم أشته امرأة قريبي ولا مال غيري، ولم أكذب قط، ولم أخالف الأوامر الإلهية، ولم أسع فيب ضرر عبد عند سيده،ز ولم أجوا أحداً، ولم أسبب بكاء لأحد، ولم أقتل أبدا، ولم أسرق خبز المعابد، ولم أحرز مالا حراما، ولم انتهك حرمة جثث الأموات، ولم أرتكب الفحشاء، ولم أدنس الأشياء المقدسة، ولم أبع القمح بثمن باهظ، ولم أطفف الكيل؛ ولم أغتصب اللبن من فم الرضيع؛ ولم أقتنص طيور الآلهة، ولم أطارد حيواناها، ولم أتصيد الأسماك المقدسة من بحيراها، ولم أخالف نظام الري، ولم أقطع قناة في ممرها، ولم أتلف الأراضي الزراعية؛ ولم أطفيء النار الموقدة في المعابد والطرق العامة؛ ولم أخالف إرشادات الكتب المنزلة؛ ولم أمنع احتفالات الآلهة؛ ولم أحل بين الحيوانات ومراعها؛ ولم أهزأ بالحق؛ ولم أخدع أحداً؛ ولم أفعل شراً ولم أحمل عاملا فوق طاقته؛ ولم أكن قو إلا ولا نماما، ولم أهن الملك ولا كاهن قريتي المقدسة؛ ولم أرفع صوتي مع أحد؛ أنا طاهر؛ أنا طاهر أنا طاهر، وبما أني مبرأ عن كل الذنوب وأعرف أسماء هؤلاء الآلهة المقيمين في قاعة الحق ؛ فأرجوا أن أكون من الفائزين"

وبعد هذا الدفاع الباهر يأخذ المعبود أنوبيس بيد الميت ويدخله في قاعة العدل، فيقف أمام كل قاض على حدته ويدعوه باسمه الذي يعرفه ويخاطبه متبرأ من كل جريمة وخطيئة؛ ثم يختم كلامه فيقول:

"سلام عليكم أيها القضاة المقيمون في اقعة الحق المبين، أنتم الذين لا تحملون بين جوانبكم إلا الحق أمام المعبود حورس، ولا تأخذكم رافة بالخاطىء عند الحساب

الرهيب نجوني في هذا الوقت العصيب من (تيفون) الفتاك الجبار الذي يتخذ لحوم الأشرار قوتا ودماءهم شرابا؛ أني جئت إليكم أيها القاضى بدون أن تدنسني شائبة؛ وليس لأحد على تبعة ولا تعرض؛ ولقد عشت بالعدل؛ ونشت الإصلاح ي كل صوب؛ حتى حمد الناس سيرتي وسريرتي تسر الآلهة؛ وتستخلص مرضاتهم؛ وتستمطر رحماتهم ورضوانهم وتبيح لي فردوس جنتهم، فكم أطعمت الجياع؛ وسقيت العطاش؛ وكسوت العراة؛ وآويت الأغراب؛ وقدمت الرابين للآلهة؛ والولائم لأرواح الأموات؛ وأوقفت سفني لأبناء السبيل؛ وكنت أبا للأيتام؛ ويدا للأقطع والأشل، وقدما للأعرج؛ك وعصا للشيخ؛ وملجأ للبائس، فلا داعي اذن لتقديم تقارير ضدي أمام الديان لأن قلبي نقي ويدي طاهرتان"

(٢) صدور الحكم

ثم يعرض على الميزان والمعبودة (ماعت) ممثلة الحق والاستقامة جاثية في كتفه اليمني ؛ وقلب هذا الإنسان في الكفة اليسرى رمزاً لاعماله؛ وهو المنوط بتأدية الشهادة عليه. فإذا كان المتوفي صادقا في دفاعه استقام لسان الميزان. وحينما يشاهد قلبه هكذا يرتجف منزعجا ويقول له:

"أيها القلب الذي خلقت لي وأنا خلقت لك ي عالم التكوين وأتيت معي إلى الدنيا؛ لا تنازعني ولا تناقشني الحساب بين يدي الإله ومجلس القضاة في هذا الوقت الخطير واليوم العبوس؛ ولا تسقط كفة الميزان أمام أزوريس الإله العظيم والديان الرهيب"

وقد اختص بمراقبة الميزان وملاحظة كفتيه المعبودان حورس برأس صقر وأنوبيس برأس ابن آوى، وقاضي التحقيق (الإحالة) هو المعبود (تحوت) برأس الطائر إبيس حامل بيديه سجلا في أعمال الميت فيه فيدون نتيجة الحكم.

(٣) الحكم بالبراءة

فإذا اتضح أن المتوفي من الصالحين الفائزين المبرئين من كل خطيئة، وان قلبه وكل أعضائه طاهرة، نطق أزوريس الإله الابدي بالحكم النهائي فيقول له:

"فليخرج الميت فائزا من قاعة العدل، وليةذهب حيثما شاء، ولتفتح له أبواب الجنة، ولتزفه جميع الآلهة إليها، ولا تتعرض له حراس السماء بسوء ولتقدم له المؤونة والقرابين والشراب، وليعط له ثيابا من الكتان الجيد؛ وليد له قلبه، ولتوهب له حياة جديدة،و وليجلس عن يميني في الفردوس السماوي"

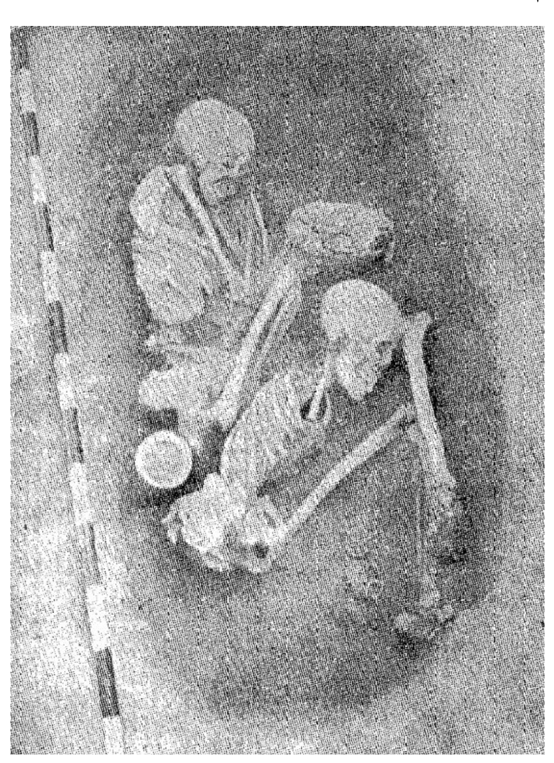
(٤) الحكم بالإدانة

وإذا تبين أن الميت من العصاة الإشرار يقول له أزوريس:

"إذهب عني أيها الشرير إلى الحجيم لتلاقي أشد العذاب وأمر النكال. وأنتم أيها القضاة اقتلوه بسيوفكم وتغذوا الآن من لحمه واشربوا من دمه، وانتن أيتها الأرواح الشريرة أضربنه بالحديد واحرقنه بالنار، وانت يامم الوحش المفترس قطعه اربا اربا وتغذ من أحشائه. فلبن جسدك أيها الخاطىء ولتعدم نفسك؛ وليشطب اسمك من سفر الحياة، قد جعلتك غنيمة للأفاعي وفريسة للوحوش الضارية، وانتم يا زبانية جهنم اسحبوه على وجهه إلى الحجيم واقطعوا رأسه على خشبة العار ومزقوا جسمه كل ممزق وألقوه في آتون النار"

التحنيط وأنواعه

كان الناس في العهد السابق عما قبل التاريخ يضعون موتاهم في حفر صغيرة لحفظها من الفناء ووقايتها من التلاشى نظراً لحرارة الجو وجفاف الأرض؛ ثم عولوا على إيداع الجثث في أكياس ونحوها من الطين أو الجلد لتبقى في حالة جيدة زمنا طويلا؛ ويضعون بجانبها أواني الغذاء والشراب، وذوى الشهرة والثروة منهم كانوا يضعون بجانب ما ذكر آلات الصيد والقنص والقتال دلالة على ما كان لهم من عظم الشأن في حياتهم.



جثتان محنطات يرجع عهدهما إلى ما قبل الأسر الفرعونية ووجد بجانبها في القبر كعك كبير من الصمغ الصنوبري

ثم اخترع الكهنة بعد توالي العصور الوسائل الاولية لفن التحنيط بواسطة الصمغ الصنوبري؛ ليحفظ الجثة أزماناً طويلة على شكلها المعهود؛ لتكون أليق في اتصال الروح بها بعد انتقالها من العالم الأول إلى العالم الثاني.

ثم تقدم فن التحنيط بقدر ما أرشدت إليه التجارب والاكتشافات العلمية، ولكن الكتب الخاصة به في ذاك العهد لم تكن كثيرة التداول قبل ما دونه عنها المؤرخ اليوناني هيردوت الذي كان يستمر في الاستقصاء والتحري؛ وجمع المعلومات عن التحنيط المصري؛ وتكلم عن الاحتفالات الدينين التي كانوا يجرونها لإتخاذه والمعاملات التجارية التي ساعدت على استحضار معداته.

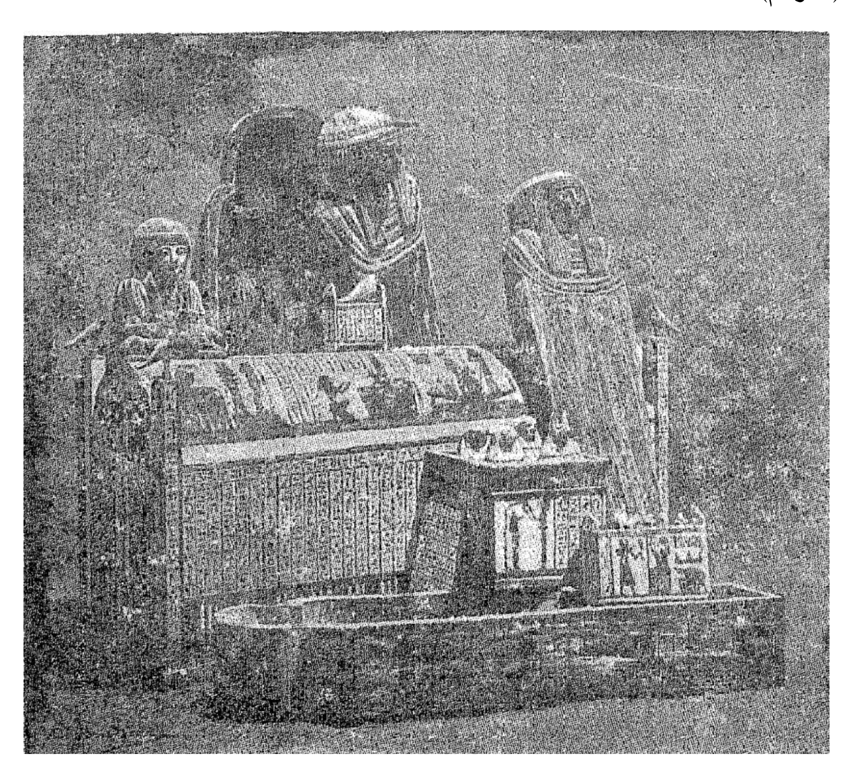
وكان لرئيس المحنطين تأثير خاص فلا ينتقي للإشتراك معهو في إجرائه إلا من يثق بهم من رجال الكهنوت الأتقياء، ومن يأتمنهم من الجراحين والعملة وبعض أرباب الصنائع التي يستلزمها التحنيط طبقا لاسرارة وتعلماتة وأعداد اللفائف من غزل الكتان وغيره. وكان مساعدوه لا ينتخبون لهذ المهنة إلا بطريق التوارث مما يصلح فيهم لها طبقا لتعليمات الفراعنة وعنايتهم الكلية بالتحنيط.

وكانت الأمكنة المخصصة لأعمال التحنيط ترتب إلى أقسام الأول منها يباح دخوله للجميع وهي التي تشتمل على أعداد الأجزاء الصناعية المفردة فقط؛ والثاني وهو القاعة الخاصة بدرس علم التشريح فنيا لا يدخلها غير الأستاذ وقت إلقاء الدروس.

والثالث مخصص لوضع الجثث المحنطة التي بعد انتهاء أعمالها تسلم لاقاربهم وأصدقائهم؛ ويتبعون في وضعها في المقابر التعليمات التي تلقي إليهم بوثائق تشمل أصحاب الجثث، وملخص تاريخهم، والمرض المسبب للوفاة والمكان المصرح بالدفن فيه بعد أداء الرسوم التي تكون نقررت لنفقات التحنيط حسب الدرجة المتفق عليها؛ك فتوضع الجثة في تابوت خشبي ويحلى بالنقوش، وكان يكتب على غطاء كل

تابوت ثمنه وبيان مشتملاته وقد قال يودور الصقلي أن ثمن التابوت من الدرجة الأولى كان مائة وستين جنيها، ومن الدرجة الثانية ستين جنيها؛ ومن الدرجة الثالثة أربعة جنيهات تقريبا.

وكانت من عادات النساء إذا توفى أحد أفراد العائلة تغطية وجوههن والطواف بالمدينة وعلى منازل الاصدقاء، مرسلة الشعور رافعات الأصوات بالندب والعويل إظهاراً للجزع والحزن؛ وليكون ذلك إخباراً عن وفاة الميت بين قومه وجيرانه. ولا زالت هذه العادة ساريا في بعض قرى الأقاليم إلى الآن رغما عن القول بأننا في عصر المدنية وعن الأدعاء بأن تطور العصور محا من النفوس أخلاق الجهالات لأولى. (المترجم)



مجموعة نماذج توابيت جنازية من العصرين البياسطي والصاوي بطيبة

وبعد هذه المظاهرة يحضر أقارب المتوفي ومن يشاطرهم في الأحزان لاجله إلى معمل التحنيط؛ ويختارون للجثة أحد النماذج حسب استطاعتهم المالية. وقد وصف هيردوت كيفية عمل التحنيط عند قدماء المصريين سنة ٤٥٠ ق.م وهي على ثلاثة أنواع:

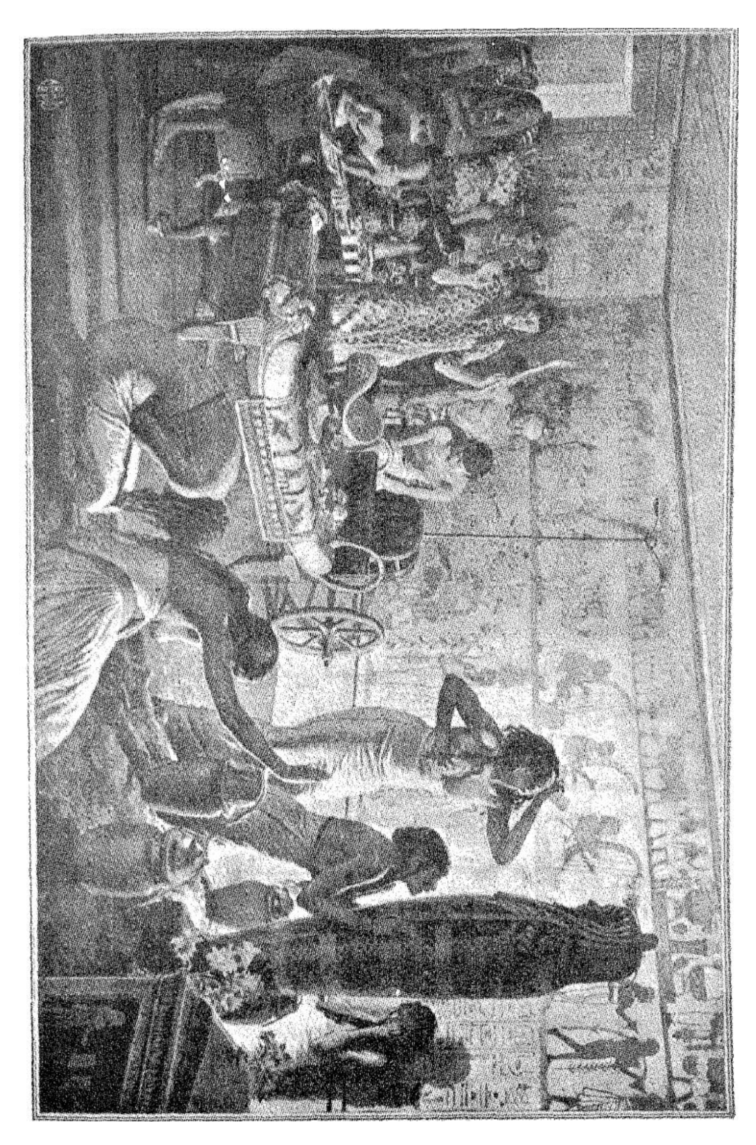
النـوع الأول

يبدأ المحنطون عملهم بكسر المصفاة وجزء من العظم الوتدي؛ ويستخرجون المخ من الألنف باستعمال آلة حديدة معوجة، ويملؤون الجزء المجوف (مكان المخ) بالطيب والصمغ الصنوبر، ويستعملون لهذا الغرض أداة خشبية وخنجراً من المعدن ومقراضا صغيراً.

ويبدأون تحنيط الجثة بوضعها على مائدة خشبية مستطيلة؛ ويضع المحنط على الجانب الأيسر ماء يقدره بنسبة حالة الجثة ممزوجا بما يستدعيه العمل، ويبدأ في شقها من بداية الجنب إلى نهايته بقطعة حادة من الحجر الذي كانوا يسمونه قديما حجر أثيوبي وعرفه علماء طبقات الأرض باسم حصاه أثيوبيا.

ومتى أتم المحنط عملية الشق انتقل من مكانه مسرعا، ويتبعه الحازضرون ويرجمونه بالحجارة ويلعنونه، ثم يستخرجون الأحشاء بعدئذ وكل الاجزاء اللينة، ويبقون القلب والكلا ي مكانها، ويغسلون الجوف بنبيذ البلح الممزوج بكمية ن المر والخيار الشنبر والطيب والأسفلت؛ ثم يخيطون الجلد ثانية ويغسلون الجثة، ويضعون فوقها كميات من الأملاح، ويغطونها بمسحوق النطرون مدة سبعين يوما. وبعد انتهاء هذه المدة يدهنون الجثة بزيت خشب الارز والعطر، ويضعونها في لفائف مصمغة بالصمغ العربي ويذهبون غطاء الوجه ويرسمون فوقه صورته. وكانوا يعتنون في أن تكون اللفائف العلوية محلاة برسوم ونقوش هيروغليفية بغاية الإبداع والاتقان. ثم يأتي أقارب المتوفي وينقلون الجثة في صندوق خشبي مصنوع على شكل آدمي؛ ويوضع في جانب قاعة مخصصة لهذا الغرض. وهذا النوع عندهم هو أهم أنواع التحنيط التي يقصدون

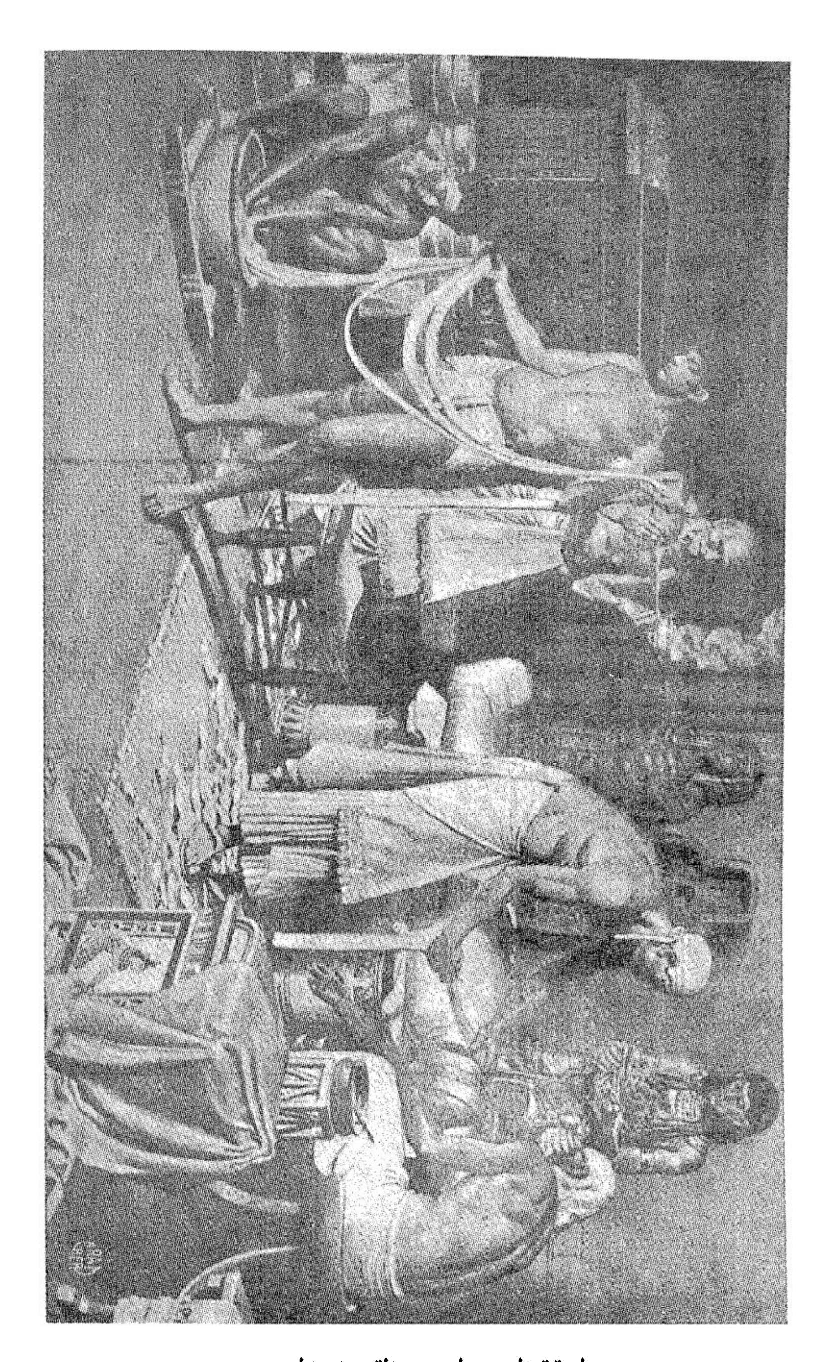
منها المغالاة والزينة متى كانت الجثة جثة أحد العظماء والمشاهير الذين يرام بمظاهر التحنيط وفخامته الإيماء إلى ما كان له من علو المنزلة وعظم الشأن بين قومه.



رسم جثة محنطة داخل نعشها وبقربها النساء تبكين وتندبين، والرجال يضربون آلات شبيهة بالعود وأمامهم الراقصات

النوع الثاني

ليس كل الناس يرغبون التغالي في أعمال التحنيط على الوجه الذي سبقت الإشارة إليه، بل كان أوساط الطبقات ومن في حكمهم لا يميلون إلى الأحزان والبذخ يكتفون في عملية التحنيط بما يقي الجثة من التلف فيكتفون بحقنها بكميات من الدهن السائل المستخرج من خشب الارز، وتستعمل غالبا في بطن الميت بدون شق الجسم وبدون إخراج شيء من الحوايا والأمعاء، ويسدون منفذ الحقن منعاً لسقوط السائل، ثم يضعون الجثة مدة سبعين يوما في محلول قلوي، وبمضي هذه المدة يستخرجون الجثة منه ويخرجون منها السائل الذي يجتذب معه الأحشاء الذائبة، ويجففون العظام بمسحوق النظرون. وي هذه الحالة لا يكون بقايا من الجثة سوى العضلات والعظام والجلد، بوإتمام تجهيزها على هذه الطريقة توضع في لفائف معقمة ويبقى جزء الوجه،و فيدهنونه بلون أحمر وتسلم بعد ذلك إلى أسرة المتوفي لدفنها بالمكان المعد لأمثالهم.



طريقة التحنيط عند القدماء المصريين

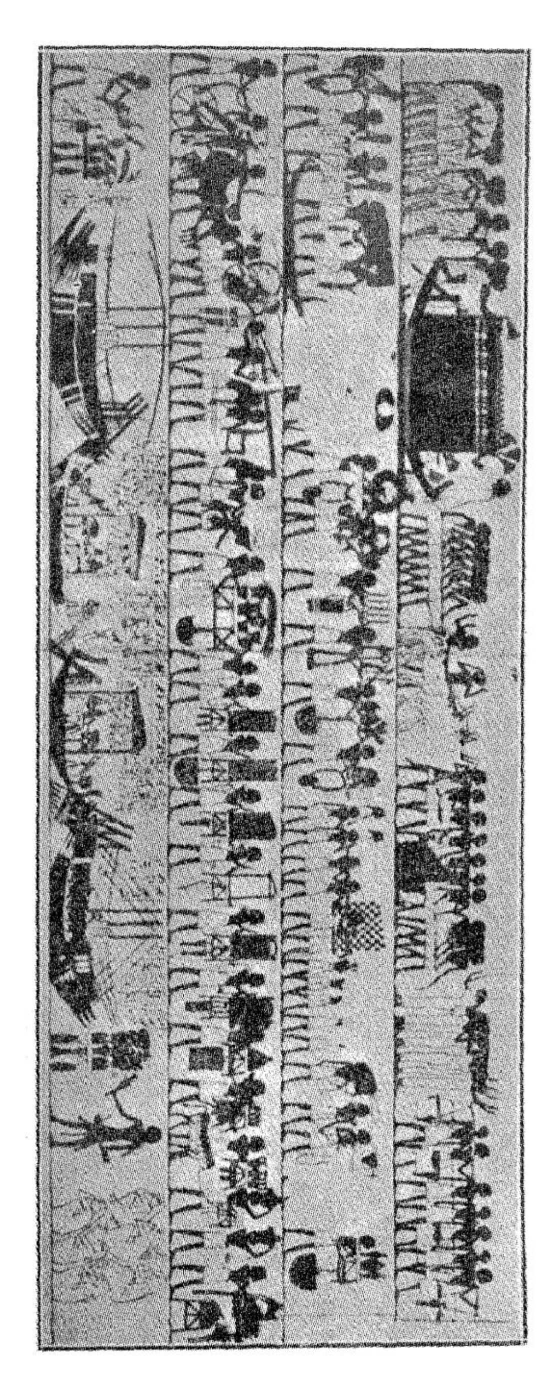
النوع الثالث

هو تحنيط الفقراء الذين لا يستطيعون كثرة النفقات، وهو ينحصر في إيداع الجثة مدة سبعين يوما في محلول قلوي من النطرون؛ وتستخرج منه بعد ذلك وتجعل في لفائف بسيطة وتسلم لأهلها لدفنها.

ويوجد هناك نوع رابع للتحنيط أقل درجة من الثلاثة أنواع السابق ذكرها لم يتكلم عنه هيردوت، إنما كان مستعملا عند قدماء المصريين بواسطة جعل جثث الفقراء في لفائف ممزوجة بمركبات تقيها من التعفن والتلف زمنا محدوداً، ثم تدفن في مكان رملي على عمق متر تقريبا، ووجدت جثث محنطة على هذه الحالة.

وكانوا يجعلون الاحتفال بتشييع الجنائز للفقراء والأواسط على جانب من البساطة، أما الأغنياء فيقيمون لها الاحتفالات الفخمة ويرسمون لجنائزهم مظاهر دالة على ما كان معتاداً في أزمانهم من أنواع الحفاوة كالراقصات والنادبات والباكيات تذكرن أعمال موتاهم ومناقبهم المشرفة لسيرتهم وأوصافهم الحميدة، ماشيات أمام العربات الجنازية التي تجرها الثيران، ويتبع هذه المواكب الأقارب والأصدقاء، وينزلون أخيراً التابوت المهيء في كهف على شكل مدفنة تكون أحيانا في سقف المصطبة الموصلة الى المدفن الجنازي المحفور في الصحراء، وتوضع الجثة في التابوت المخصص لها، وعند الدفن يذبحون ثوراً رباعيا سمينا ويسدون فتحة الدهليز ويلقون الحجارة الضخمة وغيرها بجانبه ثم يقيمون الزخارف حوله كأثر تاريخي يتعظ برؤيته المترددون على هذه الأماكن في الأيام المجعولة لزيارتها.

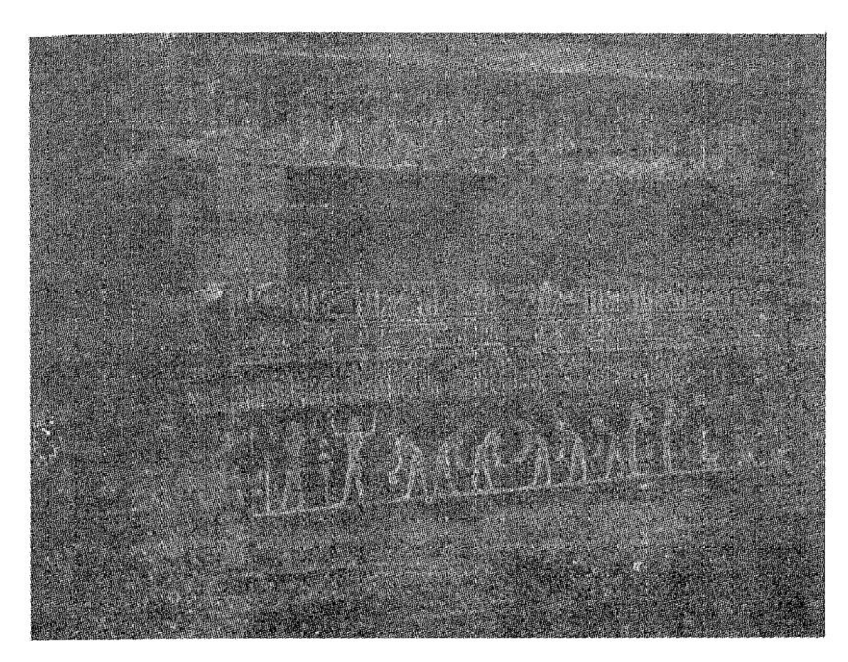
ولكون المقابر غالبا تنشأ في الجهة الغربية، فلدى نقل الموتى إليها من أماكنهم بالجهات الشرقية؛ كانوا ينقلون الجثث في سفن مزينة محلاة بأنواع الزخارف والنباتات ويحيط بها عدد كبير من القوارب المملؤة بالقرابين والزهور والرياحين.



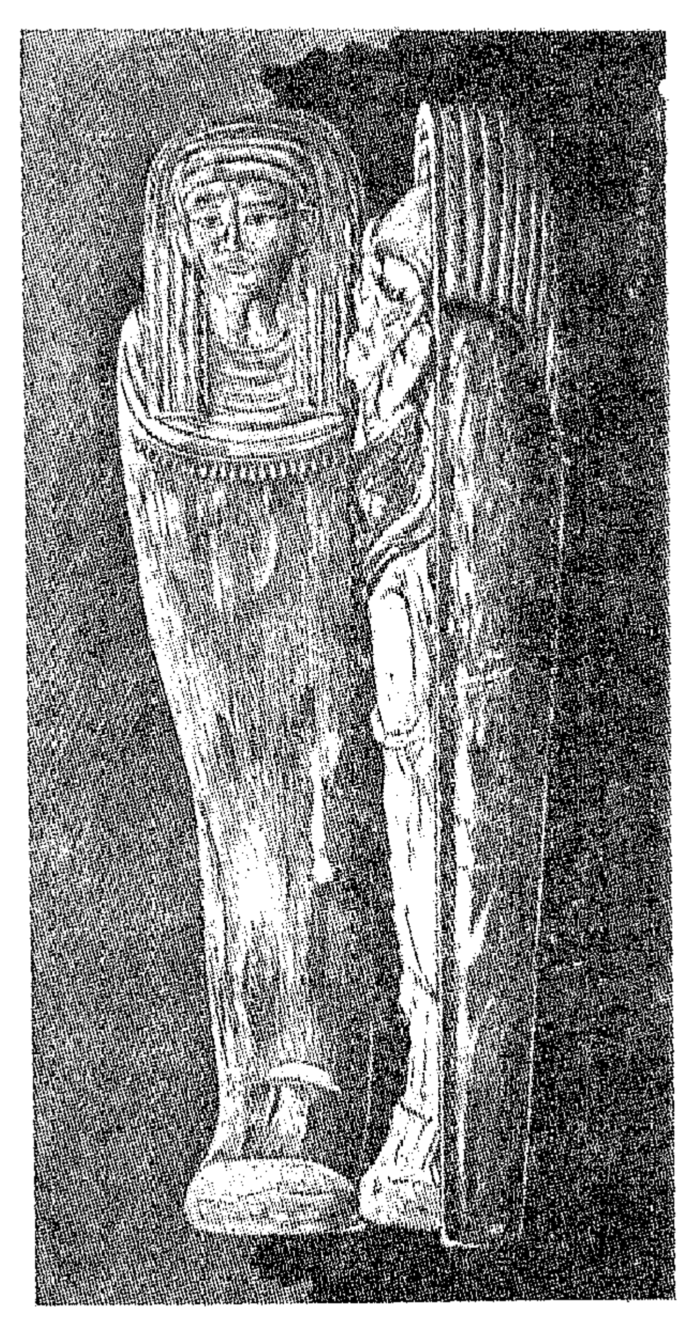
رسم احتفال جنازي مأخوذ من قبر الملك حور محب بطيبة (الأسرة ١٨)

التوابيت

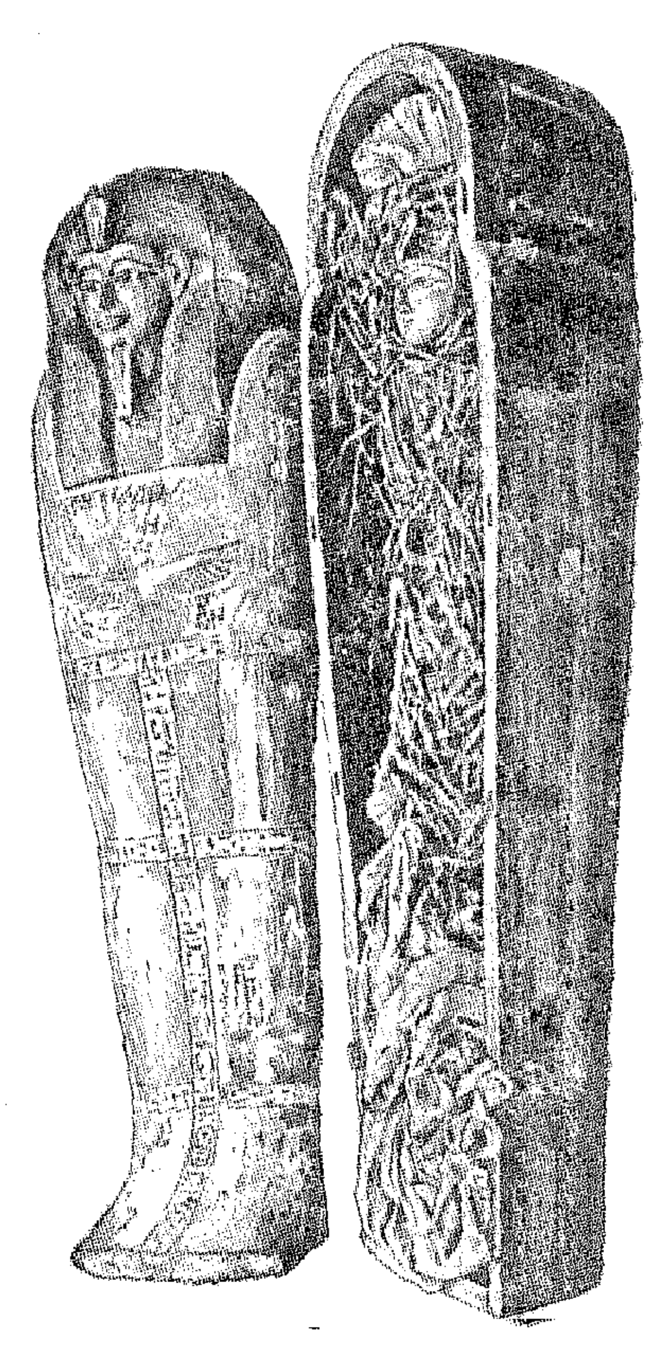
إعتاد قدماء المصريين إقامة التوابيت استبقاء لذكر موتاهم وتخليداً لمجد خلفائهم في تكريم أسلافهم. فالنوع الأول منها كانوا يسمونه بالمراقد الأبدية، والثاني لإستعماله جزءاً من الزمن حتى إذا مضت المدة الاحتمالية، تنقل الجثث من مكانها الأول، والثالث أقل زخرفة من النوعين الأولين مع صلاحيته للإستعمال في كليهما؛ فكانوا يصنعونه.



واجهة تابوت تاخوس بن أنخوفنسخمت



تابوت الملك أموزيس الأول وداخله جثته



تابوت الملك أمنوفيس الأول وداخله جثته

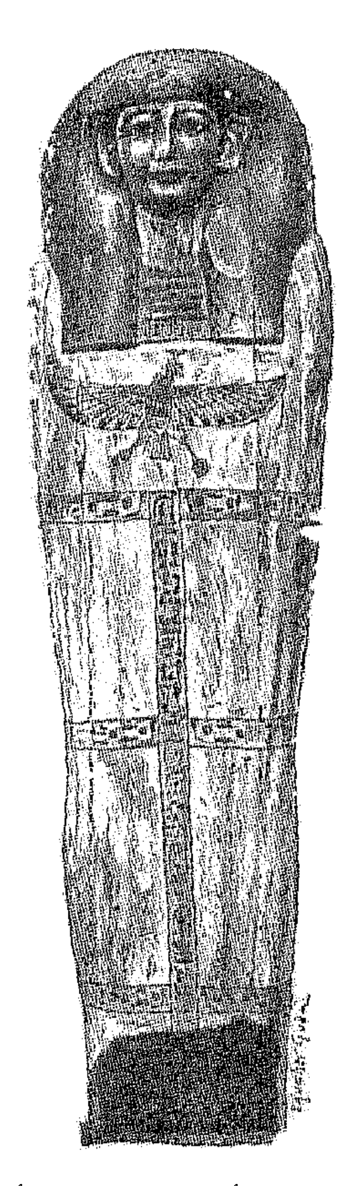
أحيانا من الحجر الجرانيت الوردي أو الحجر البسلت أو الخشب، ويجعلون على أغطيتها صورة المتوفي أو رسم جسمه الثاني أو وجه المعبودين أزيس وأوزوريس، ويرسمون على جوانبها مناظر ترى بها عاديات المتوفي من أكل وشرب، وتمثل جانبا من أعماله ي حياته كمراكب الصيد والنوتيه والخدم القائمين بأعمالهم في تجهيز الأطعمة والأغذية والملابس والجنود والرعاة، والفلاح ذاهبا إلى الحقل يحمل الفأس على كتفه ويجر الزحافة على الأرض الزراعية وهكذا....

وكانوا يجعلون للتوابيت الخشبية طلاء لامعا من صمغ والصنوبر لم يتيسر للعلماء معرفة تركيبة، ويرسمون صورة المتوفي مطابقة لهيكلة في حياته؛ ويجعلون في نقوش التوابيت رسوما تنبيء بما فيها من تمائم وحلى وأشياء أخرى صغيرة واكتشف العلماء أن من جملة هذه الوتمائم الجعل بأجنحته، وكانوا يعتقدون في هذا الحيوان التجدد بذاته بعد التلاشي فاتخوه كرمز للأبدية، وصاروا يرسمونه في ما يوضع مع الجثة المحنطة ليحل منها محل القلب الذي يذهب إلى محكمة أزوريس، ويعتقدون أن لهذه النقوش إرتباطا بالروح وقد جاء في كتاب الموتى أن الميت يطلب إعادة قلبه إليه.

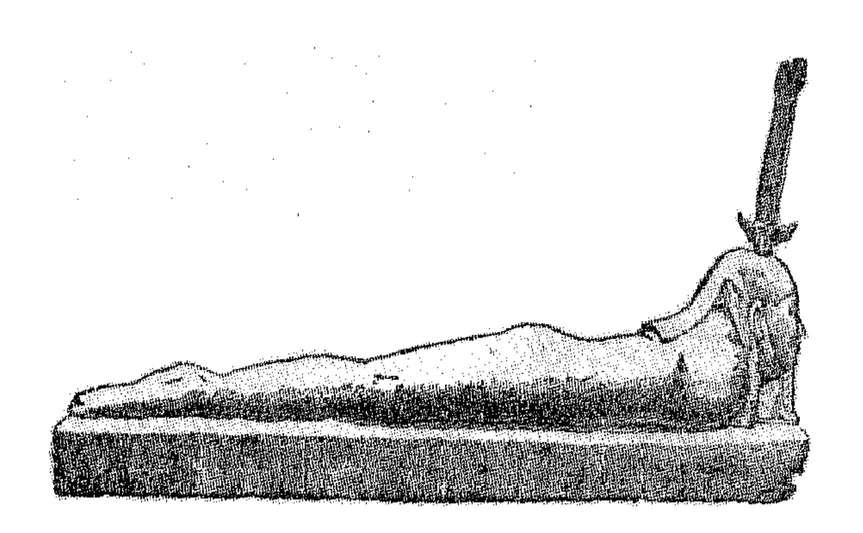
ومما اعتادوا وضعه مع التمائم لثام يدعى بلغتهم (تت) رمزاً إلى دم إزيس، وقد وصفته النصوص المصرية القديمة بأنه يقي الميت من كل الشرور؛ ويخوله الحق في أن يتقرب إلى أزوريس في العالم الثاني؛ واعتادوا أيضا وضع تمائم أخرى كعمود زهرة اللوطس.



كبد جثة محنطة من الأسرة ٢١ وفيه تمثال صغير من الشمع لأمست



تابوت الملك تحوتمس الثاني من الأسرة الثامنة عشرة والأصل بالمتحف المصري بالطبقة العليا

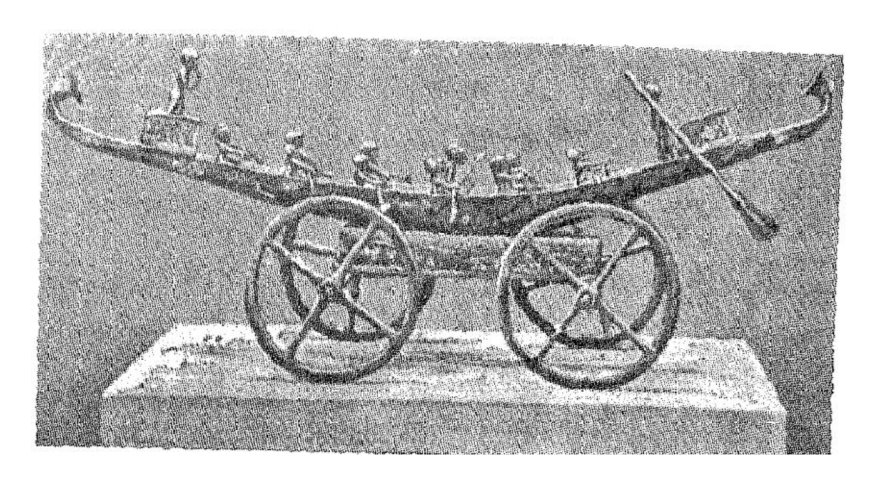


احترام القبور

كان احترامهم للقبور مؤسسا على عواطف وجدانية وعقائد راسخة، فلا يجوز لأحد ارتكاب أي شيء مغاير للخشوع والآداب قريبا منها، لأنها جعلت للاتعاظ وتذكر الدار الآخرة، فلا يجوز انتهاك حرماتها الاعتيادية من أجل ذلك، كما لا يجوز مدنيا الاعتداء على شيء من نقوشها بالمحو أو التشويه أو على أي شيء من محتوياتها الثمينة بسرقة أو اغتصاب أو نقل جثة واستبدالها بغيرها أو محو أي اسم من الوارد في هذه النقوش؛ لأن ذلك يعد اعتداء على كرامة واضعيها وانها كا أديبا للعظة الموضوعة لأجلها هذه الأشياء، فهي إنما وضعت في أماكنها كترجمان صامت ينطق في مستقبل الأجيال عما قام به الأوائل في عصورهم.

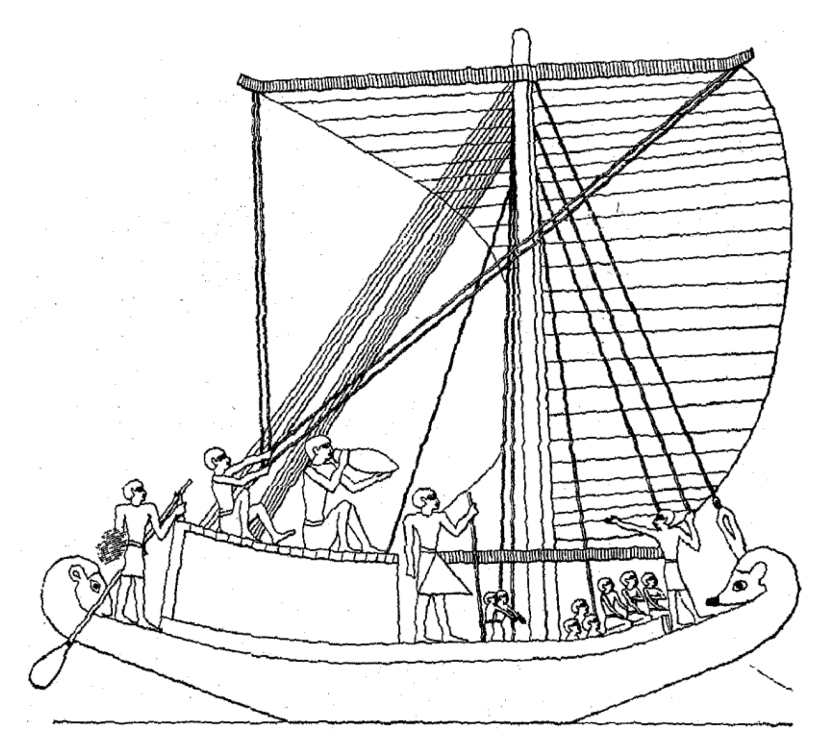
وكانوا يضعون في قوانينهم العقوبات الشديدة على من يأتي أي عمل ينافي احترام القبور بأي ظرف كان، ويعدون المرتكب لهذه الجريمة بمثابة كافر جاحد يجب أن يغلظ عليه العقاب مهما كانت أدوار الوقت وظروف الحوادث، وفي النصوص المصرية تصريحات كبرى تحذيرات للناس عن إتيان الجرائم التي من هذا القبيل وقد جاء في بعضها ما يأتي:

" أنتم أيها الرؤساء والكهنة والرجاء الذين يأتون بعدى بآلاف من السنين، إذا شطب أحد أسمى أو وضع اسمه مكانه، فليلق عقاب الآلة بإزالة صورته من وجه الأرض، وإذا محا أحد شيئا من الآثار المنقوشة في مشاهدي فليعاقبه الرب كذلك أشد العقاب".



زروق صغير من الذهب للملك كاموز يس والأصل بالمتحف المصري

بالقاعة الذهبية بخزانة نمرة ١٠



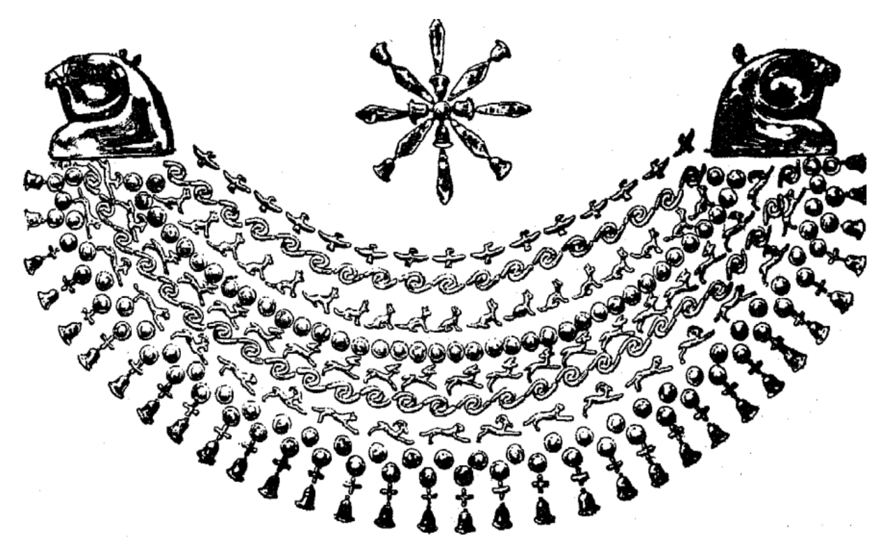
مراكب شراعية متقنة الصنع لقدماء المصريين

وهذه القواعد غرسها في نفوسهم الاعتقاد بأن الروح (با) إذا حرمت من جسمها الثاني (كا) فإنها تطرد من مسكن الآلهة وتذهب إلى عالم الأحياء متشكلة بشبح أو شيطان؛ وتنتقم من الرجل الكافر وذريتهن إلى اليوم الذي يموت فيه للمرة الثانية ويكون في أشد ما يستحقه من الزجر والعقاب. ولا يزال هذا الاعتقاد عند بعض أهل القرى النائية البسطاء الذين هشموا كل التماثيل الماثلة في القبور التي لعبت بها أيدي الحوادث في عصور ماضية؛ فقد هشموا ما بقى منها خوفا من أن تحل فيها الأرواح وتتعمد الأنتقام منهم.

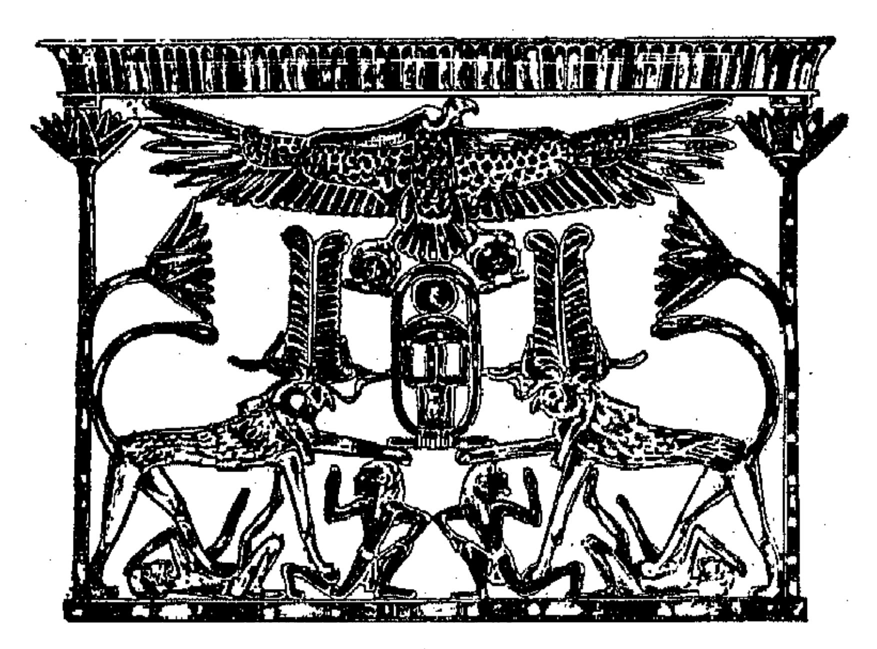
وقد عثر علماء الآثار في بعض المقابر على آلات كثيرة مما كان يستعمل في عملية التحنيط؛ وكأنهم وضعوها في بعض الجثث برهانا على براعتهم في اختراعها ودقتهم في أوجه استعمالها ليكون الإطلاع عليها حجة فوق حجة على سعة مواهبهم وتضلعهم في الفنون الطبية وكافة العلوم حتى كانت لهم الشهرة الفائقة فيها.

وصفة التحنيط وتحليل الأجسام

كتب هيردوت وديودور الصقلى بعض معلوماا عن التحنيط، ولكن لم يصل إلينا منها إلا النذر القليل؛ لأن الكهنة وحدهم كانوا يحتكرون لأنفسهم معرفة أسرار التحنيط الذي تحفظ الجثث؛ ولم يبوحوا لأحد بتركيب الأجزاء والمواد التي كانوا يستعملونها لهذا الغرض. وغاية ما أمكن معرفته من أنواعها المر والخيار الشنبر وغيرهما من العقاقير الحافظة بمزجياتها لكثير من الاجسام؛ ولكن كميات التركيب في المزج.



عقد الملكة عحتبو الأولى والأصل بالمتحف المصري بالقاعة الذهبية



حلية صدرية للملك سنوسرت الثالث والأصل بالمتحف المصري بالقاعة الذهبية

لها بالمواد الأخرى ولم يستطع المكتشفون معرفتها بالتحديد؛ خصوصا المركبات لبعض الأجسام الصمغية وتمييزها عن غيرها من المركبات والمواد الدهنية الكثيرة الاستعمال؛ وبفضل التحليلات الكيماوية في الطرق الحديثة استطاع الباحثون الوقوف على شيء من هذه المواد.

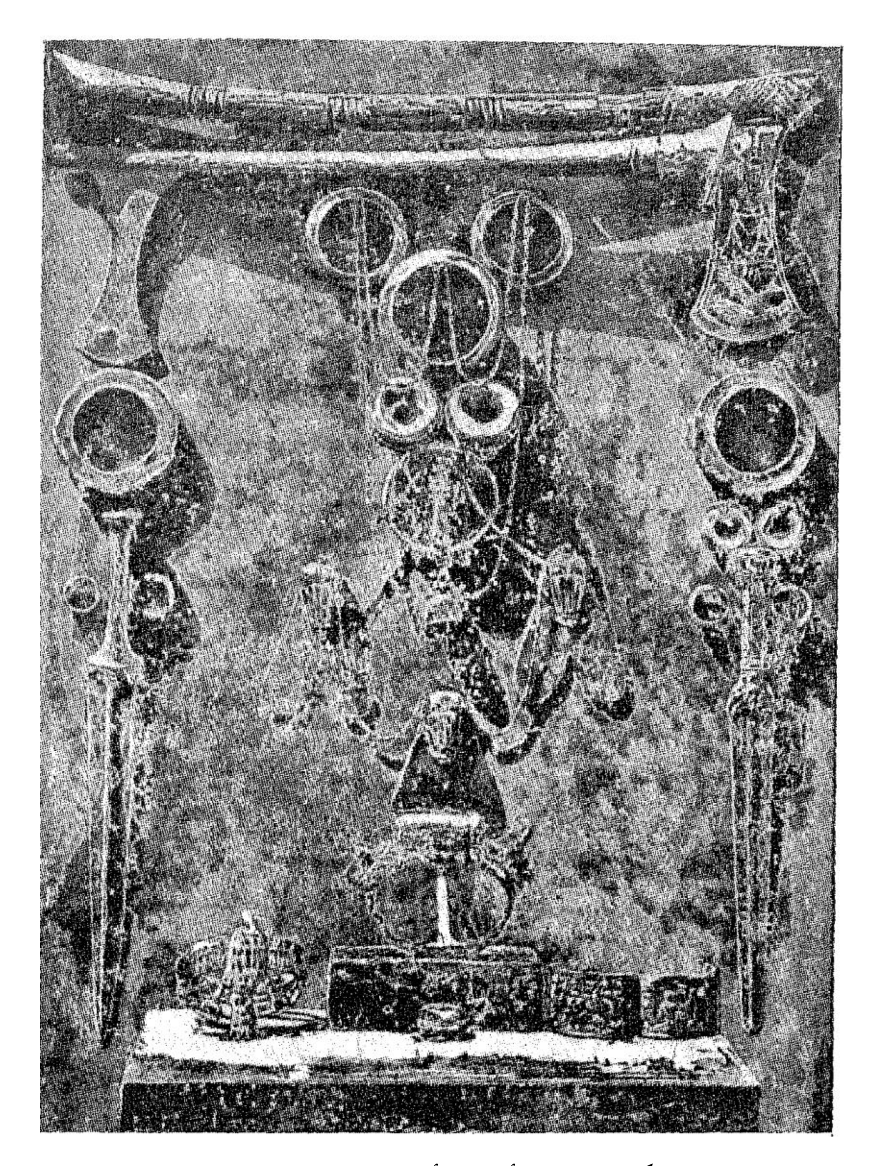
وامتناع الكهنة عن تلقين غيرهم أسرار التحنيط ناشئ عن بخلهم بالعلوم وأسرارها على غير أهلها، حرصا على استئثارهم بالأرباح الوافرة والأموال الطائلة التي كانوا يحصلون عليها بواسطة احتكاكهم لهذه الأعمال؛ حتى أن بعض الأسرار الفنية التي كانت في معبد المعبود آمون لم يكن يعلمها في عهدهم إلا أفراد قلائل من مشاهير علمائهم في ذاك الوقت.

فإذا استطاع الباحثون معرفة شيء عن تاريخ الجثث المحنطة بعد أربعة آلاف سنة؛ فهم لم يصلوا إلى معرفة الحقيقة عن التراكيب التي حفظت هذه الجثث تلك السنين، فكأن علوم التحنيط زالت بزوال أربابها الذين ضنوا بها على بني الإنسان ،

ولم تعطفهم الرحمة العلمية على أسلافها بتدوين هذه المعلومات لتكون لهم أثراً مجيداً عوضا من تألم الأجيال بزوالها بعد عصورهم الزارة.

ومن الباحثين من قال إن التحنيط يرجع عهده إلى ستة آلاف سنة تقريبا وسنذكر فيما يأتي بعض ما أمكن العثور عليه من المباحث في طرائق استعماله للجثث والمحنطات الاخرى الي وجدت في التوابيت.





مجموعة حلى للمكلة عحتبو الأولى والأصل بالمتحف المصري بالقاعة الذهبية

وصف للجثث المحنطة ومحتويات التوابيت

أوضح الباحثون في مؤلفاتهم أنهم إذا فتحوا تابوتا يجدون به وجها مستعاراً وكفنا يستر الجثة المحنطة من الرأس إلى القديم. فإن كانت الجثة إمرأة وجدوا مرسوما بها رأس المعبودة إزيس؛ وإن كانت رجلا وجدوا رسم رأس المعبود أزوريس، والجثث المحنطة ملفوفة في لفائف ذات نقوش هيروغليفية ورسوم مختلفة ومعها جعل وغيره رمزاً للبقاء، وعقود وجواهر وأوراق بردية تنبئ بتاريخ المتوفي وأسماء المذكورين من أقاربه وأبنائه وأعماله الصالحة في حياته وبعض آيات من كتاب الموتي أعتادوا تدوينها لإبعاد الأرواح الخبيثة لتي يعتقدون أنها تتبع الروح في العالم الثاني؛ وتجد عصيا وألواحا من العاج والعظم والخشب رسموا على أحد وجهيها أعينا وآذانا وأصابع؛ فالعين لتقوى نظر الروح؛ والآذان لتقوى سمعها في إجابة الآلهة، والأصبع لتقوى لمسها،ز وباطن القدمين ليساعد الروح في السير ويقودها إلى السراط المستقيم وإلى مقر النعيم.

بحث الأستاذ تزرمان (Czermann) سنة ١٨٥١ جثة محنطة محفوظة الآن في متحف براج، فوجد في أحشائها حرزا يحتوى الطبقة لظاهرة من باطن قدمي الجثة؛ وعرفها بواسطة الآلات المكروسكوبية ورأى قدمي الجثة رفعت عنهما الطبقة الجلدية، فعرف أن قدماء المحنطين كانوا على الاعتقاد بأنه لا يجوز ترك الاجزاء التي تلوثت بالمعاصي في الحياة الدنيا تستمر على أعضاء الحركة عند عودة الحياة إلى الأجسام في العالم الثاني، لتكون الأعضاء حال تحركها إليهم خالية من الأجزاء الغير الطاهرة.

التي تلوثت بخطيئات ابن آدام؛ وان المحنطين أرادوا بإيداع هذه الأجزاء الجلدية في الحرز الذي وجده إثبات أمانتهم الفني في كل ما كان تحت أيديهم من الأجسام وقت التحنيط.

ونجد في التوابيت تمائم كثيرة صنعت من خشب الجميز والمعادن الثمينة موضوعة بين اللفائف عليها صور وأشكال الجعالين وغيرها ، وصور المعبود فتاح وغيره لاعتقادهم أنها تفتح أبواب الأبدية للروح كما نص عليه كتاب الموتى رقم ٥٥.

ووجد المكتشفون أيضا في التوابيت أشياء مما كان يشتهر الموتى في حياتهم بإحرازها كالآلات الجراحية للأطباء ، والكتب الدينكية للكهنة وأكياس الحبوب للزراع وأدوات الزينة للسيادات وألعابا متنوعة للأطفال وتماثيل وصور تمثل الآلهة بناء على اعتقادهم بأن إيداعها مع تلك الجثث تؤنس الأرواح ويقويها على الملذات والنعيم بعد انتقالها إلى العالم الثاني.

وقال الدكتور فرني (Verneuil) يوجد نوعان من الجثث المحنطة أحدها قوى صلب يصعب كسره مملؤ من الداخل ومتشرب من الخارج بيسلم بلاد اليهودية وممتزج ببلسم بلاد اليهودية وممتزج بأجسام مصمغة؛ والنوع الثاني مجفف وقلوى كأنه منقوع في محلول النطرون؛ ويقول الدكتور المذكور أنه لا يوافق على رأي هيردوت في الطريقة التي وصفها لإخراج الأمعاء من الاحشاء بواسطة الشق؛ إذ لم يربين الجثث المحنطة آثار جروح ظاهرة في الجنب، وهذا مما يؤكد إخراجها من باب البدن فلابد أن يكون إخراجها من البطن بواسطة الوسائل المحللة كما هو الحال في مجموع الدماغ.

وقال الدكتور دلاتر (Delattre) أنه لاحظ عند فحص الجثث المحنطة عمليات التحنيط الثلاثة التي ذكرها هيردوت وقد عثر الدكتور (Fouquet) على ورقة بردية معروفة بورق رند (Rhind) تؤيد قول هيردوت وهذه ترجمتها "لتخرج أيها الميت من هذا المكان فرحا مسرورا، فقد عملت لك ثمانية فتحات في خلال ستة وثلاثين يوما. ولتخرج طاهراً فقد عملت لك ما هو منصوص في بحيرة خنسو الكبيرة،

لتحضر في قاعة تكسانتاه **Txesant** مكانك؛ وهناك عمل لك أيضا تسع فتحات ليتم لك السبعة عشر فتحة في خلال السبعين يوما بسبب السمعة عشرة عضو، وهي سبعة فتحات في الرأس وأربعة في الصدر واثنتان في الذراعين وواحدة في البطن وواحدة في الظهر. جميعها سبعة عشر فتحة في خلال السبعين يوما"

وقال الدكتور فوكيه المذكور أن جثث الدير البحري المحنطة تشبه كثيرا ما ذكر في هذا النص؛ ونعرف من فحصها فائدة هذه الفتحات إن جثة أحد الكهنة للمعبود آمون التي لم توضع عليها اللفائف والطبقات من القار، ترى ساقيها ممتدين بموازاة بعضهما والذراعين ممتدين أيضا حول الجسم وان جلد الجثة نظيفة وناعم ومحلوق ماعدا شعر الذقن والحواجب والأهداب، وان الفم ومنخرى الأنف والأذنين والعنينين مغطاة بطبقة من الشمع النقي وعليها مسحوق الصمغ الصنوبر والاسنان محتفية في الفم والشفتان مدهونتان باللون الأحمر ثم تغير إلى لون الدكنة على ممر الزمان. وتوجد تحت الجفون المقفلة قليلا قطع من القماش، وترى من الأنف المسدودة طريقا به خطاف حاد بالمصفاة يمكن من إخراج المواد من الدماغ حسب عاداتهم، وان جرح الجنب الأيسر مغطى في الغالب بعين من الشمع وتدعى باللغة المصرية القديمة (أوازيت)

وقال لوكاس في كتابة عن التحنيط ان البداية التاريخية لهذا العلم مجهولة وربما كانت ترجع على سنة ٢٧٠٠ ق.م. كما تدل عليه الجثة المحنة المحفظة الآن بمدرسة الطب الملكية في لندره التي يرجع تاريخها إلى الأسر الخامسة من الدولة القديمة. ونقرأ أيضا في سفر التكوين الفصل الخمسين في الأعدا من ٢ إلى ٢٦ أن جثتي يعقوب ويوسف حنطتا بمصر. وقد عثروا أيضا على جثث مجففة طبيعيا يرجع تاريخها إل ٣٣٠٠ سنة ق.م. وجدت في قبور رملية محفورة فتجففت الجثة بحرارة الجو.

وفي التوراة وفيما كتبه هيردوت وديودور الصقلي شيء كثير عن هذه الجثث المحنطة، وقد طاف هيردوت سنة ٤٥٠ق.م وديودور الصقلي سنة ٤٩ ق.م أعظم

المدن والقرى المصري ودرسا في أبحاثهما عادات وأخلاق قدماء المصريين وكانت مطابقة في النتيجة لما قدمناه عن أساليب التحنيط وأنواعه.

وذكر لوكاس في كتابه المذكور (صحيفة ٥ وما بعدها) نتائج تحليلاته المحنطة عمليات التحنيط الثلاثة التي ذكرها هيردوت وقد عثر الدكتور **(Fouquet)** على ورقة بردية معروفة بورقة رند **(Rhind)** تؤيد قول هيردوت وهذه ترجمتها "لتخرج أيها الميت من هذا المكان فرحا مسرورا، فقد عملت لك ثمانية فتحات في خلال ستة وثلاثين يوما. ولتخرج طاهراً فقد عملت لك ما هو منصوص في بحيرة خنسو الكبيرة، فلتحضر في قاعة تكسانتاه **Exesant – a** مكانك؛ وهناك عمل لك أيضا تسع فتحات ليتم لك السبعة عشر فتحة في خلال السبعين يوما بسبب السبعة عشر عضو، وهمي سبعة فتحات في الرأس وأربعة في الصدر واثنتان في الذراعين وواحدة في البطن وواحدة في الظهر. جميعها سبعة فتحة في خلال السبعين يوما"

وقال الدكتور فوكيه المذكور أن جثث الدير البحري المحنطة تشبه كثيرا ما ذكر في هذا النص؛ ونعرف من فحصها فائدة هذه الفتحات إن جثة أحد الكهنة للمعبود آمون التي لم توضع عليها اللفائف والطبقات من القار، ترى ساقيها ممتدين بموازاة بعضهما والذراعين ممتدين أيضا حول الجسم وان جلد الجثة نظيف وناعم وحلوق ما عدا شعر الذقن والحواجب والأهدابن وان الفم ومنخرى الأنف والأذنين والعينين مغطاة بطبقة من الشمع النقي وعليها مسحوق الصنوبر والأسنان مختفية في الفم والشفتان مدهونتان باللون الأحمر ثم تغير إلى لون الدكنة على ممر الزمان. وتوجد تحت الجفون المقفلة قليلا قطع من القماش، وترى من الأنف المسدودة طريقا به خطاف حاد بالمصفاة يمكن من اخراج المواد من الدماغ حسب عاداتهم، وان جرح الجنب الأيسر مغطى في الغالب بعين من الشمع وتدعى باللغة المصرية القديمة (أوازيت).

وقال لواكاس في كتابه عن التحنيط ان البداية التاريخية لهذا العلم مجهولة وربما

كانت ترجع إلى سنة ٢٧٠٠ ق.م. كما تدل عليه الجثة المحنطة المحفوظة الآن بمدرسة الطب الملكية في لندره التي يرجع تاريخها إلى الأسرة الخامسة من الدولة القديمة. وتقرأ أيضا في سفر التكوين الفصل الخمسين في الأعداد من ٢ إلى ٢٦ أن جثتي يعقوب ويوسف حنطتا بمصر. وقد عثروا أيضا على جثث مجففة طبيعيا يرجع تاريخها إلى ٣٣٠٠ سنةق.م. وجدت في قبور رملية محفورة تجففت الجثث بحرارة الجو.

وفي التوراة وفيما كتبه هيردوت وديودور الصقلي شيء كثير عن هذه الجثث المحنطة، وقد طاف هيردوت سنة ٤٥٠ ق.م وديودور الصقلي سنة ٤٩ ق.م أعظم المدن والقرى المصرية ودرسا في أبحاثهما عادات وأخلاق قدماء المصريين وكانت مطابقة في النتيجة لما قدمناه عن أساليب التحنيط وأنواعه.

وذكر لوكاس في كتابه المذكور (صحيفة ٥ وما بعدها) نتائج تحليلاته الخاصة بالنظرون الذي وصفة القدماء واستعملوه للتحنيط. ومما يلاحظ في هذا البحث قوله " يحتوى هذا الملح الصناعي المركب على كربونات الصوديوم وبيكربونات الصوديوم وكلوريد الصوديوم وسلفات الصوديوم والماء ومسحوقات أجزاء أخرى لا تقبل الإذابة بالماء وتختلف نسبتها في التركيب بدرجة العناية التي يرام تحنيط الجثة بها.

واختلف أراء العلماء في طريقة استعمال النظرون وفائدته. وقد أكد لرتيت (Lartet) وجاليارد (Gaillard) ان القدماء كانوا يغمسون الأجسام والنسيج التي تجعل لفائف الأجسام في حمامات النطرون الصمغي السائل منعا لتعفن، وبعض أولئك العلماء الباحثين يوافق على انغماس الأجسام في محلول النطرون كرأي لورتيت وجاليارد ولكنه يخالفهما في انغماس اللفائف والملابس بهذا المحلول ويؤيد نظريته بما يأتي:

(١) إن ثيابا كثيرة حفظت زمنا طويل ولا يمكنها أن تتحمل قلاوة النظرون.

(٢) أنه لو كان كذلك لكانت حموضة الأنسجة أحدثت تغييرات قلوية

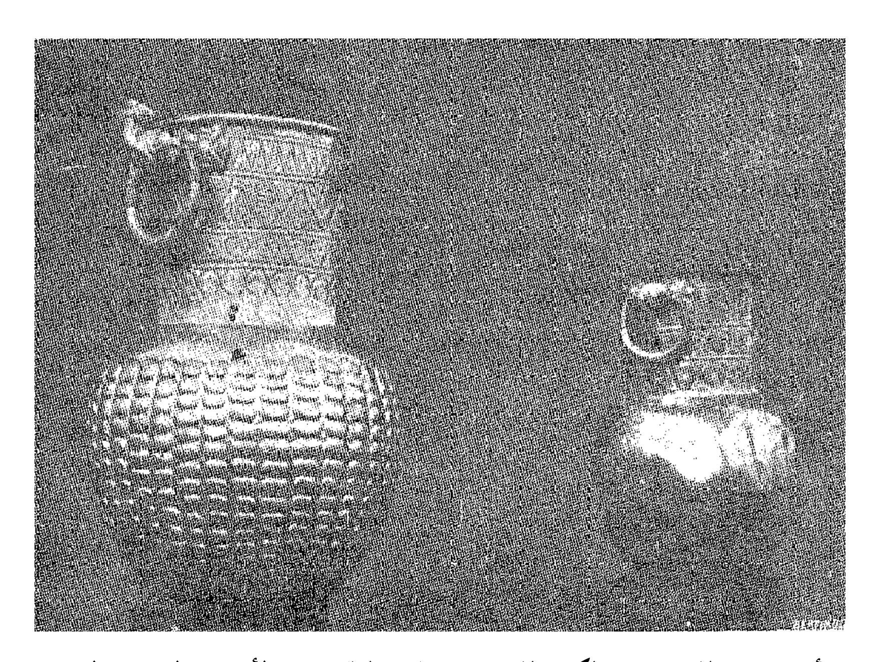
وذكر العالم الأثري ماسبرو في كتابة الذي عنوانه الأعمال الخاصة باللغتين المصرية القديمة والأشورية وآثارهما "ان التركيب المجهز من الميعة السائلة مطابق للنصوص المنقوشة على جدارن معبد ادفو وأوضح بعد فحصة وتحليلاته وكل خاصياته لأثرية أنه مركب مما يأتيب:

جزء	جرام	
٥٧٥	**•**	**من عصير الخروب**
٠١	**١**	**"بخور يابس من النوع الجيد**
	٦٠٠	**"قشرة الميعة (Styrax) من النوع الجيد**
	٢٥	**"قلم عطري**
	١٠	**"الأسفلت**
	١٠	**"المصطكى**
	١٥	**"حبوب البنفسج**
٥	**•**	**"النبيذ**
•	**•**	**"الماء**

قال ماسبرو بعد ما درس التراكيب المستعملة في التحنيط أن أعظم العقاقير المستعملة في تحنيط الموتى مركبة من الأسفلت وقار بلاد يهوذا، وكانوا يملأون به جثة الإنسان أو الحيوان المحنط وعبر عنه علماء البحث الأثريين السابقين عن عصره بأنه صمغ الصنوبر، وكان هذا الأسفلت

يستحضر من البلاد اليهودية وبابل كما ذكره ديودور الصقلي وسترابون ودسكوريد وهيردوت، وأحيانا كانوا يجدونه على شواطىء بحيرة الأسفلتيه.

وانت تجارته رائجة فيتلك الأزمان فيرسله التجار في بلاد الشام في شواطىء بلاد فنيقيا وبلاد مصر بواسطة القوافل لإستعماله في التحنيط، ثم شاع أنواع منه في اصطناع السفن النيلية.



أنيتان من الذهب من الكنز الذي عثر علي بالزقازيق. والأصل بالمتحف المصري بالقاعة الذهبية

التحنيط في العصور الأولى وأسبابه

هذا البحث ينحصر في تدوين ما أمكن تلخيصه عن التحنيط في العصور الغابرة من الوجهة التاريخية والجغرافية والأثرية والطرق التي ساعدت على بعض أسرارها الغامضة ،وصرف فيها علماء المباحث أوقاتا ثمينة حتى دونوا ما استطاعوا معرفته، ووصلت إلينا مقتبساتهم دانية الخطوف سهلة التناول .

إن الجثث المكتشفة في القبور والهياكل والأهرامات و نحوها تنبئنا عما كان لتلك الشعوب من قوة العزم وشدة الصبر والتجشم لعظائم المشاق في نقل الأثقال والإتقان الفني المحبوب عندهم ، وتنبئنا أيضا باحترام عواطفهم من عاشروهم في أوقات السعادة والهناء وأزمان الشدائد والمصاعب ولم ينفق قدماء المصريين نفائس الأموال وثمين الأوقات، ويضحوا كثيرا من الأرواح في تشييد تلك المباني لعظماء موتاهم، إلا لمعني يهون عليهم كل تلك النفقات وتجشم تلك المشقات . وفي ضمن هذه المعاني تنفيذ وصايا الدين في احترام العائلات المالكة وتخليد الذكر العاطر لمن كانوا عادلين في شعوبهم ، وتولدت هذه الفكرة فكرة الآثار تخليدا لذكرى من مرت الإشارة إليهم عند قدماء المصريين . واقتدى بهم فيها القرطاجيون والصامويون والجانشيون وهنود أميركا الوسطى، لاسيما عند أهالي إقليم الأنكاس، وكانوا يتحدون في عقيدتهم مع المصريين من أن تحنيط الجثث والعناية بها في المقابر يساعد الروح بعد الموت على الحلول في جثتها محفوظة من كل فناء ، فتستطيع بالمحافظة على هيكلها الأول القيام بما تقتضيه عودتها إلى الحياة الثانية، لتكون مصحوبة دائما بالأفراح والسعادة واقتدى بهم في التحنيط الوقتى بعد أجيال اليونان والرومان.

قال كاسيان إن قدماء المصريين لجأوا إلى التحنيط لأنهم في أشهر فيضان النيل لم يكونوا يستطيعون نقل الجثث إلى الجهات المعدة للدفن ، فاتبعوا طريقة التحنيط

لحفظ الجثث من التعفن؛ وبعد مضي أشهر الفيضان ينقلونها إلى مقابرهم ، وفي هذا منتهى العناية لحفظ الجثث من التعفن والاحتياط في وقاية صحة الأحياء.

وقال هيردوت إن الاعتياد على التحنيط منشؤه الاحتياط في حفظ الجثث من انتهاش الوحوش.

وقال ديودور الصقلي أن قدماء المصريين اتخذوا التحنيط في جملة الشعائر الدينية احتراما لموتاهم.

وقال دي ماييه (De Maillet) في خطابه العاشر أن قدماء المصريين اتخذوا التحنيط بمقتضى عقائد دينية وبمقتضى اعتقاد الأقدمين منهم بأنه بعد مضى ثلاثة أو أربعة آلاف سنة ستقوم ثورة عامة في العالم وترجع الأرواح إلى أجسادها للحياة الثانية في الأبدية الآخرة، فأرادوا بالتحنيط حفظ هيكل الإنسان ليكون صالحا إلى عودة الروح فيه كما كان في نشأته الأولى.

وقال فولتي و باريسو (volaey et Parisot) إن من البواعث على التحنيط الاحتياط لمنع انتشار الأمراض المعدية والطاعون التي تنشأ غالبا من تعفن الجثث فتنتقل في تموجات الهواء الفاسد و تسرى جراثيمها إلى الأصحاء فتضر بالمجتمع الإنساني من حيث لا يشعر.

والأقرب إلى التعويل عليه من كل هذه الآراء ويطمئن إليه العقل هو أن التحنيط من لوازم العقائد الدينية التي في سبيلها ألفوا هذه المشاق وتكبدوا أخطارها بارتياح قلبي وانبعاث دائم، فتعمق الكهنة في مباحثهم حتى توصلوا إلى إحكام أعمالهم وإتقانها وساعدهم جفاف الجو ويبوسة الأرض و الرمال في تجفيف الجثث المعرضة للهواء التي لم يستطع ذووها دفنها في الهياكل الشامخة والمباني الضخمة.كل من يفد إلى الأقطار المصرية بقصد السياحة واجتياز الصحارى والقفار لمعاينة الآثار، يندهش عند ما يرى جثثا بشرية وحيوانية حفظها التحنيط على حالة جيدة بعد دفنها في الرمال و مرور الآن الأجيال عليها.

وكأن الكهنة أرادوا تهيئة الأرواح عند عودها إلى الأشباح في دور الحياة الثانية بما اخترعوه من أنواع الزينة والزخارف فوق التوابيت والمقابر، حتى إذا آن الوقت واقتربت الأرواح من معالم الجثث تسر بمرأى هذه الزخارف، فتعود إلى الأجسام ممتلئة سرورا ويزيد في انشراحها أن ترى تلك الجثث على ما كان لها من بهاء الرونق وجلال العظمة.

وقد استعمل قدماء المصريين احتياطا في بقاء التحنيط سليما لا يعتريه التلاشي ولا الانحلال بالطريقتين اللتين دلت عليهما الاكتشافات العلمية .

(١) تجفيف الجثة بعد إفراز السوائل وإخراج المواد الدهنية بواسطة مركبات النطرون ومسحوقه و المحلولات المعتادة لانغماسها فيها على سبيل التطهير قبل التحنيط وبعده .

(٢) وضع الجثة في لفائف ممزوجة بالمواد العطرية لتكون حرزا صناعيا بتماسكها يمنع وصول الهواء والحشرات ، وهم بهذا الإبداع توصلوا

منذ ستة آلاف سنة إلى طرق علمية تؤيدها كل الاحتياطات الصحية في نظريات العالم الحديث، وان عجزت مداركنا عن الإحاطة الكلية بباقى معلوماتهم في فن التحنيط.

التحنيط عند اهل قرطاجة

كانت مدينة قرطاجة عاصمة لمملكة الفنيقيين الذين خلد لهم التاريخ أدوار باهرة، وكانت لتلك البلاد صلات تجارية مع مصر، وبهذه الواسطة نقلوا عنها أحاسن المدنية و بعض العقائد الدينية حتى اتخذوا لهم في بلادهم آلهة يعبدونها بأسماء انتحلوها عن أسماء الآلهة المصرية.

وما نقلوه بهذه الوسائل مسائل التحنيط والنقوش والرسوم على توابيت ومقابر الموتى لذات الأسباب المألوفة عند المصريين ونقلها أهالي قرطاجة عنهم كعقيدة ثابتة

في نفسيتهم، فاتخذوا نحت المقابر في الصحراء على نمط ما شيد المصريون، وانشئوا حولها أماكن أعدوها لجلوس الزائرين وتأدية الصلاة وتقديم القربان حتى جعلوا نقوش المقابر والتوابيت بذات اللغة المصرية القديمة وأدعية معبوداتهم.

التحنيط عند أهالى الجانش الكناري

كان لمصر في عهد (نخاو) من الأسرة السادسة والعشرين أسطول يجوب البحار ويتجول بين الأقطار لتبادل المعاملات التجارية التي كانت لمصر فيها النهضة الأولى، وكان يكثر من التجول في سواحل البحر الأحمر حتى وصل في بعض أسفاره إلى رأس الرجاء الصالح، وهناك صعد الشاطئ الإفريقي الغربي ومر ببوغاز جبل طارق، وعاد لمصر بطريق البحر الأبيض المتوسط وفي خلال ذلك مر بالجزائر الكنارية التي كانت للمراكب التجارية مواصلات بها.

وقد وجه هذا الأسطول عناية لاكتشاف ما عليه أهالي الجانش من الوسائل العمرانية، وكانت جزائرهم في ذالك العهد تسكنها شعوب بربرية أنهكها الفقر والخمول، ولكنهم وجدوا عندهم بعض الجثث محنطة ويضعونها في أواني خاصة بالتحنيط مدة خمسة عشر يوما فقط ؛ ثم تدفن بالطرق البسيطة، واستدلوا من ذلك على وجود التحنيط في هذه الأقاليم من معهد بعيد، ولكنه لم يصل إلى الدقة والبراعة التي وصل اليها في البلاد المصرية.

وقال الدكتور برسيلى (**Purcelly**) إن ذلك الشعب كان يستعمل التحنيط احتراما للموتى ويعتني بتحنيط كل جثث أهلها أن استطاعوا وإلا فأصدقاؤها وجيرانها الذين كانوا يعطفون على بعضهم عطفا فطريا ناشئا عن رقة الشعور وسلامة العواطف. وقال المسيو بورى دى سنت فينسانت (**Bory cle St - Vincent**) إنهم كانوا يحافظون على الجثث بوضعها في لفائف من جلود المعز بعد اتخاذ وسائل التطهير والتحنيط بطريقة تقيها من الفناء وقتا من الزمن وكان المحنطون عندهم طبقة مبتذلة تعيش منزوية عن الأنظار لا تخالط الناس إلا وقت استدعائها لهذه الحاجة.

وقال الدكتور برسيلى أن الفرق بين طرق التحنيط عند أهالي الجاش والمصريين، أن المصريين كانوا يجعلون لموتاهم لفائف خاصة لكل جثة ولكل ميت قبر منفرد،أما الجانش فيضعون موتاهم في جلود ويجعلون القبر الواحد شاملا لكثير من الموتى.

التحنيط عند الصامويين (Sawnoens)

قال الدكتور بيرزن (**Burzeni**) أن الصامويين كانوا يعتنون بتحنيط موتاهم و يحافظون على آثارهم، وكانت النساء تكلف بعمليات التحنيط فيباشرن عمل الفتحات في الجنة واستخراج المعدة والأحشاء والأمعاء، ويكتفين بوضع الجثة مدة شهرين في حوض ممتلئ زيت جوز الهند ممتزج بعصير نباتي، وتملا فتحات الجسم والتجاويف بقطع من القماش منقوعة بمزيج من زيت نباتي و مركبات أخرى، وتلف الجثث بهذه القطع ماعدا الرأس واليدين ولا نعلم كيفية معرفة هؤلاء القوم لعملية التحنيط وغاية ما يمكن القول به أنهم اقتبسوه من بعض المترددين على الأقاليم المصرية واقتدوا بقدماء المصريين في العناية به احتراما لموتاهم ولتكون أجسامهم صالحة لحلول الأرواح فيها عند الحياة الثانية المملوءة بها اعتقاداتهم جميعا.

التحنيط عند السيتيين (Seytes)

أثبت المؤرخون أن السيتيين كانوا يخصصون إقليم كربيلا(**Karbela**) لدفن الموتى. ولكون الوصول إليها من مدنهم والقرى التابعة إليها يحتاج لتمضية مدة طويلة في الأسفار ؛ فمحافظة على الجثث من التعفن كانوا يستعملون لمنعه ولوقايتها تحنيطا اعتياديا، ويستعملون فيه مركبات الزعفران وما يناسبها من وسائل الوقاية للجسم مؤقتا حتى يصل كل فريق بموتاهم أياما محدودة من الشهور تسهيلا عليهم في مشاق الانتقال و تخفيفا لمشاق التحنيط ونفقاته، فهم كانوا يستعملونه قياما بالواجب لحفظ صحة الأحياء بدون أن يكون الباعث له الاعتقادات الدينية المأثورة عن قدماء المصريين.

التحنيط عند أهالي بورنيو والصين

قال نيوهوف (**Neuhof**) أن التحنيط في أسيا كان متبعا، وإنما لكل إقليم في ترتيباته ومستحضراته الفنية اصطلاحات تطابق اجتهادهم في طرائقه. ففي بلاد بورنيو وبلاد الصين كانوا يستعملون الكافور وخشب الصندل، والبلاد الأخرى كانوا يستعملون كافوربرنيو وجوز فوفل (نبات) وخشب الصبر والمسك.

التحنيط في العالم الحديث

لاسيما عند الأنكاس (**Anens**)

عثر الباحثون على جثث محنطة في أمريكا وبلاد الانكاس وجهات أخرى كانت ملكا خاصا للقبائل الهندية، واستمرت في قبضتهم زمنا طويلا. ووجود التحنيط بها دليل على أنها كانت على درجة من المدنية والعرفان قبل وصول الإفرنج إليها وتسميتها بالعالم الجديد.

ولم يكن التحنيط عاما لكل أفراد الشعب، بل خصوا به الملوك والرؤساء في قبائل فرجيني (**Verginie**) الهندية وكارولين الشمالية وهنود الجانب الشمالي الغربي لأمريكا الجنوبية وسكان الفلوريد.

وكانت عادة أهالي الفلوريد تجفيف الجثث على النار ووضعها على لفائف ثمينة ويضعونها كمشكاة في المغارات، ويعدون بجانبها الأماكن الخاصة لجلوس من يترددون عليها في أيام الزيارات السنوية.

وقال الدكتور رفردى (**Revedy**) ان قبائل فرجيني كانت تبدأ في تحنيط الجثث بشق جلد المتوفى من الرأس إلى القدمين ويبعدون الأمعاء والأحشاء و كل الأعضاء اللينة ويدهنون الجلد بزيوت ممزوجة بتركيب تمنعه من الجفاف والتلف مدة تجفيف الجثة. ومتى تجففت تملا بالرمل الرفيع وتخاط بعناية تامة ويجعل الجلد كغلاف لها وفوقه الجلود الأخرى ولفائف على سبيل الوقاية مثل الحصر ونحوها، وتدفن في حفر عميقة

معدة لذلك لمسافات بعيدة عن المدن والمساكن.

وبينما كانت القبائل المذكورة تخص بالتحنيط فريق الملوك والعظماء والرؤساء كان الأنكاس وحدهم يحنطون شعبهم جميعا بدون استثناء، لأنهم كانوا أكثر مدنية من بقية الشعوب الأمريكانية الأخرى، فقد اشتهروا بصناعاتهم الدقيقة وبراعتهم في العلوم والفنون وبلغ شعبهم في الأزمنة الأولى أربعة عشر مليونا، ويقيمون الآن في بلاد بيرو (**Perou**) وبوليفي(**Bolivei**) وبعضهم في جهات شيلى و جمهورية الأرجنتين وكان اعتقادهم أن الأرواح بعد مفارقة الأشباح تعود إليها بعد زمن طويل فتكون لها هذه الأجسام مأوى حديثا تتطور فيه بحسب أحوال حياتها الأخروية، وبهذا يستدل على أنهم كانوا يعتنون بالتحنيط بصفته وسيلة للتكريم الديني.

وكانوا يضعون الجثث المحنطة في قبر تحت الأرض، ويقيمون فوقه هرما بارتفاع ثلاثين قدما، وكل قبر يدفن فيه اثنى عشر شخصا. وبين كل جثة وأخرى أعواد من الذرة، ويميزون الرجال بوضع آلات الصيد ومقلاع ونحوه، والنساء بإبر للخياطة وكرات الصوف و أدوات مماثلة لها.

ومتى تم العدد المقرر لكل قبر سدوا بابه وأقاموا فوقه نافذة مفتوحة ليطل منها زائروهم، وليطلع المارون على الألواح المبينة بها أسماء الموتى وتواريخهم ليتعظ الزائر برؤيتهم في رقود السكينة البرزخية، ولا ريب في ذلك فان الموت من أعظم المواعظ المهدئة للنفوس فيقتبس الزائر من زيارته تأديبا لنفسه وتعويدها على احتمال مشاق الحياة التي تهون عظائمها أمام مصيبة الموت.

التحنيط الوقتي

ثابت أن بعض المألوفات عند الشعوب الشهيرة يحفظها عنهم من بعدهم ويتوارثها الأجيال بالتقليد، وهكذا سنة التكوين والعمران بين بنى آدم يتلقى السلف عن الخلف بعض ما يستحسنه من عاداتهم ومألوفاتهم حتى تصبح التقليدات الغريبة

من غرائز النفوس.

وقلما يستطاع الإقلاع عنها. ومن هذا القبيل التحنيط الوقتي الذي بقى متبعا إلى الآن أخذا عن التحنيط في العصور الأولى.

فان كثيرا من البلاد الغربية اعتادت على إبقاء جثث من يتوفون من عظماء الملوك والرؤساء والأمراء بضعة أيام مكشوفة الرأس واليدين ليراها من يفدون من الأقاليم والمالك للمشاركة في الحفلات الجنازية، وخوفا من تعفن هذه الجثث وانتشار المكروبات المعدية يتخذون الاحتياط الوقتي وقد برع في استعماله مشاهير اليهود واليونان والرومان في عصورهم.

التحنيط عند اليهود

أقام اليهود في مصر قرونا كثيرة متمسكين بعوائدهم متباعدين عن أي تقليد للعوائد المصرية البحتة في ذلك العهد، ومع إصرارهم على اجتناب التقليد بغيرهم استعملوا التحنيط بعد نفيهم لرجالهم العظماء.

وقد ذكر في التوراة أن يوسف حنط جثة أيه يعقوب (سفر التكوين الأصحاح ٥٢) « وأمر يوسف عبيده الأطباء أن يحنطوا أباه فحنطه الأطباء، وكمل له أربعون يوما لأنه هكذا نكمل أيام المحنطين » (وبعد سبعين يوما من وفاة يعقوب نقله ابنه يوسف إلى أرض كنعان في مغارة حقل المكفيلة التي اشتراها إبراهيم لعملها مدفنا له ولزوجته سارة. فصعد يوسف ليدفن أباه وصعد معه جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر، وصعد معه مركبات وفرسان. ثم مات يوسف نفسه وهو ابن مائة وعشر سنين فحنطه المصريون ووضع في تابوت في مصر (سفر التكوين ٥٠ – ٥١).

أحاط سليمان مدفن يعقوب بسور معروف اليوم بحرم الخليل وقد حافظ عليه الإسلام وبنوا عليه جامع مدينة حبرون (**Hebron**)

ولما استوطن الاسرائيليون في جهات بحر الأردن لم يحتفظوا بعادة التحنيط الدائم واكتفوا بالتحنيط الوقتي الموصوف في سفر التكوين وغيره من التوراة.

وطريقة استعمالهم له هي أنه مى مات أحدهم يقبله أحد أهله الموجودين حوله ويغمض جفونه وفمه ويقصون شعره وذقنه ويضعونه على لوحة من الخشب، ويجعلون قدميه باتجاه نحو الباب ويغسلون جثته ورجليه بماء ساخن ويتولى غسل الرجال رجال وغسل النساء نساء. وتعطر الجثة بالروائح العطرية وتغطى في لفائف من الصوف أو القماش، ثم يجعلونه على مضجعه الجنازى ورجلاه مشدودتان ببعضهما، ويطوى ابهامه في كفه فيظهر أول حرف من لفظ جهوفا الذي تفسيره الله.

واعتادوا أن يضعوا بجانب رأس الميت في قبره قنديلا مضيئا، وقد أشار السيد المسيح إلى الطيب الذي كان معدا لدهن جسمه، وقال عن الطيب الذي ألقته ماري على قدميه (قد عملت عملا صالحا وحفظت هذا الطيب اليوم دفنى) (متى الفصل ٢٦ الأعداد ١٠ إلى ١٢) ومن هذا نفهم السبب الذي حمل نيقوديموس على استحضار المر والصبر لتحنيط جسد الرب وندرك الحكمة في ذهاب النساء التقيات صباح يوم الأحد القبر المسيح ومعهن المواد العطرية.

قال بنيشر (**Benicher**) في كتابه الخاص بالتحنيط قديما وحديثا إن الصبر والمر والمواد العطرية الخالية من المزيجات الفنية التي كان يستعملها قدماء المصريين ليست باستعمالها وحدها كافية لحفظ الجثة من الفناء، لأن جثة اليعازر التي عطرت بها ابتدأ تعفنها في اليوم الرابع من دفنه.

وبعد خراب مدينة أورشليم ابتدأ اليهود يتركون استعمال هذه المواد في تحنيط الجثث، واكتفوا بغسلها بالماء الممزوج بالنباتات العطرية كالزعتر والنعناع والبابونج وما أشبه.

التحنيط الوقتي عند اليونان والرومان

اشتهر عن اليونان والرومان إعجابهم بكل شيء جميل في منظره قوى في كيانه نافع بالمجتمع العمراني لاستعماله فيما يحسن لفائدته، وبهذه المبادئ الذهنية عندهم اعتبروا الموتى أجساما لا حركة لها، فهي كالأخشاب وباقي المواد التي تعد للحريق ولهذا لم يحفلوا بالتحنيط إلا لقليل كجثث الموتى من ملوكهم.

وقال هومير إن اليونان صبوا مرارا السلسبيل في منخر بتروكل طلبا البقاء جثته.

وروى بلوتارك وغيره أنهم بعد موت اجيزيلاس دهن أصدقاؤه جثته بالشمع وأرسلوها محفوظة بهذه الطريقة إلى مسقط رأسه.

وروى أيضا استاس (**Stace**) أن جثة اسكندر ذي القرنين حنطت كطلبه فدهنت بالعسل ووضعت في تابوت من الذهب ونقلها بطليموس على عربة كبيرة من بابيلون الى ممفيس، وهناك وضعوا الجثة في تابوت من الزجاج بدلا من التابوت الذهبي ليستطيع الناس مشاهدة هذا الرجل العظيم.

والمأثور عن الرومان أن قوانينهم القديمة كانت تحتم تحويل البيت إلى رماد حتى أن شعرائهم لم يذكروا في كتاباتهم أنهم أبقوا الجثث ولو بطريقة خاصة.

وقال كاريبوس (**Carippos**) في رثائه الإمبراطور جوستنيان (**Justinien**) إن الرومان اكتفوا في تشييع جنازته بإيقاد البخور المتداول ببلاد العرب في مكان الاحتفال بالجنازة،وملئوا أواني كثيرة من الرياحين والروائح العطرية رمز إلى طيب ذكره وانتعاش روحه في حياتها الأخروية.

وقال بنيشر (**Penichier**) لايبعد أن تكون هذه العادة عمت البلاد لأنهم في عهد البابا سكستس الرابع (**Sexte v**) عثروا تحت الطريق الابياني (**Apienne**) على جثة ابنة صغيرة كان الجمال ظاهرا على وجهها، وكانت منقوعة في ماء مالح. وقال سترابون إن هذا الماء كان عند الآشوريين عبارة عن العسل السائل وبه حفظا

جزيبوليس (**Agiripolises**) ملك سبارت (**Spart**).

وكان التحنيط الوقتي عندهم خاصا بالرجال العظماء الذين تستدعي عظمهم إبقاء جثتهم أياما ليراها الجمهور الذي كان يحترمهم ويعتبرهم كآلهة من الطبقة الثانية كما مرت الإشارة إليه.

وكان أهالي أثينا وروما يفتخرون بموتاهم ولا يبكونهم ؛ ويعتقدون أن الإنسان إذا مات ينبغي عدم الاسترسال في الاهتمام به بأزيد من حفلات الجنازة والتعزية ولذا لم يهتموا بتحنيط الجثث عندهم.

التحنيط في القرون الوسطى و القرون الأولى

من التاريخ الحديث

لما أحس الرومان بقوة بأسهم في المستعمرات التي احتلوها عمدوا إلى محق النفوذ اليوناني ؛ وغزوا قرطاجة ومصر، وحرم ثيودوس على المصريين عاداتهم الدينية ومنع إقامة شعائرها منعا تاما وبدد شمل اليهود إلى آخر ما هو مبسوط في المطولات التاريخية، ثم اسقط البرابرة الدولة الرومانية كأن قوة الانتقام الإلهي حتمت على أولي الجبروت أن يجرعوا كاس الذلة بعد العظمة والضعة والهوان بعد قوة البأس وعظم الصولة،وكان تاريخ سقوط دولتهم سنة ٤٧٣ ب. م ولم يبق شيء في بدء القرون الوسطى من هذه الشعوب العظيمة التي حاربت قرونا طويلة منتصرة لآرائها معضدة لديانتها مروجة لتجارتها ناشرة لواء العظمة والمدنية لكيانها.

خلفها شعوب أخرى في البلاد و نقلوا إليها عاداتهم، وكانوا يجهلون تاريخ ماضيها العظيم وقلبوا وبدلوا في النظامات ولم يحترموا ممتلكات غيرهم ولم يميزوا بين الخير والشر، واتخذوا السادات عبيدا وأهانوا المرأة التي كانت تحترمها الشعوب الراقية قبلهم أزماتنا طويلة.

ثم نجح بعض الوعاظ فأرشدوا الأمم البربرية المذكورة إلى إعمال الفطنة والتروي، وابتدئوا ينزعون من تصوراتهم الأخلاق الهمجية والعادات الوحشية ويغرسون في عقولهم الفضائل النفسية والبر بالإنسانية والشمائل الكريمة و منها التجاوز عن خطايا المسيء والحنان والرأفة بالضعيف والمواساة للغريب. وأن الديانة المسيحية جاءت تدعو إلى الخير و تنهي عن الشر وان المتمسكين بها أهل للعطف عليهم وحسن مجاملتهم.

وكانت هذه الأدوار قبل انبثاق النور العقلى شؤما على المدنية التي كانت منتشرة في العصور الغابرة. ولا غرابة بالنظر إلى ذلك أن يتلاشى فن التحنيط في كل هذا الزمن الطويل كباقي العلوم التي كانت تستضيء بمدونة المجدين في تداولها و الاقتباس من أسرارها، ثم جاء زمن الفوارس (**Chevalerie**) و من مبادئهم أن الحق للقوة فأثاروا الحروب وأوقدوا الفتنة الداخلية بين الأمراء وبعضهم وبينهم وبين الملك، فاستباحوا فظائع النهب والسلب وهتك الأعراض وسفك الدماء واستمرت الفوضى منتشرة في ذلك الزمان.

وقد تيقظ رجال الدين المصلحين فأسسوا الأديرة والكنائس والمجتمعات العامية العديدة لإلقاء الوعظ والإرشاد، ثم تقرب الكهنة إلى بلاط الأمراء واستمروا في اقتحام هذا الظلام بقوة العزيمة تقودهم إليها قوة الأمل في النهضة العقلية التي لابد أن تستنير البلاد بأضوائها واستطاعوا بذلك غرس مبادئ التهذيب في النفوس وإقناع الجماهير بالإقلاع عن خطاياهم، ولكنهم في خلال ذلك لم يهتموا باحترام جثث الموتى كقدماء المصريين لاعتقادهم أن مداواة الأخلاق العامة ورفع المفاسد ومحو القسوة المتناهية أولى بالاهتمام من باقي هذه الكماليات الوجدانية.

وكانوا يعتبرون الحياة الدنيا كميدان سياحة والأرض مصدر الآلام والنفس هبة من الله وستعود إلى خالقها، والجسم جثة بالية لابد أن تعود إلى معدنها الترابي الذي بدأ الله خلقها منه كما جاءت التوراة بنصوص كثيرة في هذا المعنى.

ولكن الملوك أرادوا من باب الأنانية والعظمة أن يبقوا جثثهم بعد موتهم فقرروا تحنيط الموتى منهم وحنطت جثة هنريكس الأول سنة ١١٣٥ ب.م. وعملت لها الفتحات الفنية والاحتياطات القانونية بإخراج الأمعاء ونحوها ووضعوا مكانها الطيب والأجزاء العطرية والفتحات في التحنيط هي الطريقة المصرية القديمة، ولكنها وحدها لا تكفي وكأنه قد غاب عن أذهان المحنطين في ذاك الوقت أن تجفيف الجثة من أهم العوامل لتصير صالحة للبقاء آمنة من التعفن والفناء. وقد جرب بعض المشرحين في القرن السادس عشر وسائل أخرى لحفظ الجثة وفي جملتهم الطبيب الهولاندى رويش (**Ruysh**) الذي كانت له شهرة ذائعة في فن التحنيط وكان من أساليبه فيه استخراج المخ من الدماغ وإخراج الأحشاء من البطن وملئ مكانهما بتركيب من الشمع ممتزج ببرافين (**paratrine**) وسنابي (**Citnabie**) ويحفظ الجثة في الكحول. وزعم سيو امردام (**Suatnierdaim**) الطبيب الشهير في التاريخ الطبيعي أن له الماما بسر بقاء الجسم بطريقة تنحصر في إلقاء الجثة مرارة في زيت النفض بعد أن تفصل عنها الأحشاء والمخ والأجزاء الرخوة وتغطيتها بلفائف ممزوجة بمواد تمنع عنها مؤثرات الهواء.

وأراد العالم جنال (**Gannal**) والدكتور (**Saegaet**) تجربة هذه الطريقة فلم توصلهما إلى التعويل عليها. والقائلون بان من أهم مسائل التحنيط التجفيف لجئوا إلى المواد السائلة احتيالا في الوصول إلى غرضهم العامي ولكنها سببت الاختمار الموضعي في الأجزاء المستترة ولم تف بالغرض المطلوب فمن الاطلاع على كل التفصيلات المتقدمة يجب الإذعان منها.

بالفضل الأكبر لأولئك العلماء الباحثين الذين بذلوا مجهوداتهم وكل استطاعتهم في المباحث الدقيقة وان تزف إلى أرواحهم واجبات الثناء الخالد لان الكهنة و عوام الشعب كانوا يقاومون عنايتهم ويسعون في إحباط مسعاهم لكراهيتهم التحنيط بادعائهم مخالفته للوجدان الديني وان الإنسان كما خلق من التراب فيجب أن يعود إليه.

التحنيط الحديث

لم يقعد همم الباحثين الذين اعترفوا بالعجز عن مجاراة الأقدمين في فنون التحنيط القديم عن صرف مجهوداتهم العلمية في التوصل إلى إتقان التحنيط الحديث الذي يمكن بإتباعه تحنيط الجثة وبقاؤها محفوظة زمنا ما - و من العلماء المتضلعين الذين اهتموا بالاكتشافات الحديثة العالم شوسييه (**choussier**) الأستاذ في مدرسة الطب بباريز،فقد قرر أن الاستعانة بالسليماني تمنع التعفن وساعده في رأيه بوديت (**Bondet**) الأجزاجى فاستحضر تركيبا لذلك من الممزوجات الآتية :

(١) مسحوق قشر السنديان والملح الممزوج بالكينا والقرفة وبعض مواد أخرى عطرية والقار والبخور تسحق كلها وتمزج بالزيت النقي.

(٢) الكحول المتشبع بالكافور.

(٣) الخل الممزوج بالكافور والكحول الممزوج بالبخور

(٤) دهان مركب من بلسم منقول من بيرو(**perou**) والميعة السائلة وزيت الجوزة الطيب وخزام وزعتر •

(٥) الكحول المشبعة بالزيبق.

ومتى أعدت هذه التراكيب شقوا الجثة وأخرجوا الأحشاء وفتحوا غطاء جلد الجمجمة ونشروا عظامها وأخرجوا المخ وغسلوها كلها مرارا بالماء الكثير والكحول الممزوج بالكافور ويضاف إلى الغسل بالماء الغسل بالخل والكحول المشبع بالكافور وتدهن الفتحات بمحلول السليماني وتعاد الأحشاء إلى محلها ويخيطون غطاء الجلد.

قال المسيو جانل أنهم بهذه الطريقة حنطوا جثة لويس الثامن عشر ملك فرنسا و جثث الشيوخ وكل عظماء رجال الإمبراطورية الأولى.

وقال الدكتور سيكيه (**Sugaet**) أن هذه العملية التحنيطية قد تجرح

إحساس العائلات ولهذا قصروا استعمالها على الظروف الاضطرارية واستمر العلماء في مباحثهم لتقرير قاعدة جديدة لعملية التحنيط بدون ايجاد فتحات في الجنة وتوصل إلى ذلك العالم بكلارد (**Beclard**) رئيس التشريح بمدرسة الطب في باريز فاخترع حقنة لهذا الغرض من محلول الزيبق في قصبة الشريان بواسطة فتحتين صغيرتين تحت الإبط وقرر استخراج الأحشاء بفتحة صغيرة في البطن و تلقي الجثة بعد ذلك شهرين في حوض مملوء بالسليماني فتبقى الجثة بهذه الطريقة سنة كاملة بدون أن يطرأ عليها تغير.

التحنيط العصري

إن عواطف الحنان والمحبة في بني الإنسان لمن اختصوهم من بين المجموع بالمكانة الرفيعة لا تنقضى أعراضها من الأحياء بموت أعزتهم، بل تستمر هذه العواطف في النفوس بقدر ما كان بين الفريقين من قوة الرابطة وصلة الألفة والإجلال، لهذا كان الاعتناء بحفظ جثث الموتى يومئ إلى الاحترام القطري المترتب على هذه العواطف النفسية التي تجعل الأحياء يألمون لعجزهم عن حفظ تلك الأجساد من التلف. والعلماء لم يقصروا في المباحث التي ظنوها توصلهم للاحتفاظ بجثث الموتى أزمانا طوالا، ليكون في بقائها نوع التسلية عن فقدانها و بقاء الأحياء بعدها يعانون ألم الفراق والحسرات.

إن تغيير الجسم بعد الموت مما لاشك فيه، ولكن الاعتبارات المعنوية تبقى راسخة في الأذهان وتحرك القلوب إلى التأثير والحنان. وقد قال بوسييه (**Bssuet**) في رثاء هنريت ملكة انكلتره أن الأجسام تتغير طبيعتها بعد الموت. فالفرد حال حياته يسمى هيكله الإنساني جسمها مكرما و وبعد موته جثة خامدة، وبعد أيام رمة متعفنة ثم يصير رفاتا تلاشى أجزاؤهم إلى ذرات ترابية تعافها النفس وتشمئز العين من إطالة النظر إليها ؛ فالموت يؤثر حتى على التسمية اللفظية لأدوار الجسم بعد الحياة، ولكن الكماليات النفسية لا تزول آثارها الشخصية ولا العلمية، خصوصا لان من خدموا

النوع الإنساني بالمؤلفات ونحوها تتناقل الأجيال ذكرهم بالتعظيم والاحترام. فالمعنويات الأدبية من هذه الوجهة أسمى من الماديات الحسية، وعلى هذا يكون كبار الفضيلة في النفوس أليق بكرامة الأرواح الخالدة.

قال لافوازيه (**Lavoisier**) ان التعفن هو الفساد الباطني لمادة الأعضاء بواسطة أكسيجين الهواء، فيحدث فيها انحلالا يشبه الاحتراق.

وفي سنة ١٨٦١ اكتشف المسيو باستير (**Pasteur**) الأسباب الحقيقية لهذا التعفن، و نسبه لأجسام مكروسكوبية حية، وهي التي سماها المسيو سيديلو (**Sealillot**) سنة ١٨٧٨ بالمكروبات، فان هذه تعطى للاكسيجين الواسطة لحرق الجثث وتحويلها إلى أدوار جديدة. وقد قسم المسيو باستير (**Pasteur**) المكروبات الى قسمين القسم الأول المكروبات التي لا تعيش إلا من الهواء والقسم الثاني التي تعيش من غيره. فالأول لا تعيش إلا بواسطة الاكسيجين النقي، والثاني باقترانه باكسيجين، ويعيش النوع الأول على سطح المواد المنتنة، والثاني يعيش في أعماقها فيتلف الجثث ويحدث لها صفات التخمر، و تتحول المواد الزلالية إلى متحصلات غازية و مواد جديدة كالهدروجين وغيره، فإذا تصادف بالكبريت والفسفور والآزوت نشأ منه الهدروجين الكبريتي والفسفورى والنشادر. فإذا اجتمعت هذه الأجسام معا كونت هذه الرائحة الكريهة المعروفة بالتعفن.

وقد بحثوا في كيفية توالد هذه المكروبات فقال المسيو ديكلو (**Duelaux**) في كتابه للكيميا أن كل مسطح الجسم مملوء بالتراب الذي ينقله إليه الهواء، والقنايتان المعوية والهضمية مملوئنان بجراثيم ومكروبات تذيب المادة اللينة. ومتى مات الإنسان وجدت كل هذه المكروبات حية أمام هذه الخليات المائية في الجثة فتخرق القناة الهضمية وتدخل هذه المكروبات في الأعضاء و تساعدها الانفصالات التي تلين العناصر الليفية وتغيرها و استطالة بعض أعضاء الجسم تحدث استخراج الغاز المنتن، فيتمزق الجلد وتستطيع مكروبات الهواء إتمام مهمتها. ومادة الأعضاء التي لا تذوب

في الماء تتحول إلى روح النشادر والماء وحمض الكربون، وتزيل حشرات الجثة المعروضة في الهواء أو المدفونة في الأرض، وتكون أولا دورا صغيرا،ثم تصير حشرات جديدة في خلال ثمانية أيام أو خمسة عشر يوما، فتجتذب الحشرات من الرائحة الكريهة المتصاعدة من الجثة، فتبيض عليها وينتشر الدود الصغير في كل الجثة، وتمتص الأخلاط السائلة وتزيل الأجسام الشحمية ولا يبقى من الجثة سوى الأعضاء اليابسة والعراقيب والجلد والمفاصل التي تهجم عليها أيضا بعد ذلك أنواع أخرى من الحشرات حتى تبيدها.

هكذا يزول بعد الموت هيكلنا البشري الذي تأكله المكروبات البشرية وغيرها و تفنيه الحشرات. وبعد خمس سنين غالبا لا نجد له أثر من المواد اللينة و تفقد العظام هيكلها العظامى، و تفتت مبتدئة بالجانبين فالحوض فالأعضاء حتى يمضي على ذلك اثنى عشر أو خمسة عشر سنة، فلا تجد من الجسم البشري إلا قليلا من الرماد فيتم قول التوراة (أيها الإنسان أنت من التراب والى التراب تعود)، وبعد مضي زمن طويل يتحلل هذا الرماد وينتهي دور الزوال التام لو يعتل الانسان عقبي أمره بعد الممات وقد ثوى في قبره

لبكي وأضنته الهموم وزاده خوف الفناء تخبطا في سـيره

صور الحياة نضيرة في شكلها لكن تضن أخا النهي في فكـره

يقضي الحياة منعما متأنقا ويسوقه للقبر وارث قصـره

عجبا تهون على الأحبة تركه في الارض هل جحوا عواطفه بره

لم يكفروا حسناته وفعاله لكن لحكم الموت قوة قهـره

فهنا لاينجي الصديق صديقه فالكل عند المـوت صرعى دوره

وقد قالوا انه من الممكن إيقاف فساد الجثة بنوعين : إما قتل مكروبات الفساد بمواد تمنع التعفن؛ وإما منعها من أن تعيش وتنتشر وذلاك بحرمانها من الماء، ولا تتأتى

وسائله إلا بالتجفيف وتم ملاشاة الحشرات بواسطتين :

(١) بواسطة قتلها ومنعها من أن تبيض على الجثة.

(٢) إبعادها بواسطة الروائح العطرية والبلسم لان الحشرات تخافها.

والعلم الحديث قد أحاط بكثير من النواميس الطبيعية التي تحفظ الجثث في حالة جيدة في البرد والحر، ولا نتعرض هنا لنتائج البرد فقد عرفنا تأثيره وخاصيته من جثث السواح والمكتشفين التي وجدت في جبال الألب (**Alpes**) وجروانلاند (**Giroeland**)

وقد وجد في جدران مخزن جثث الرهبان في دير يعاقبة تولوز (**Toulouse**) جثث محفوظة في حالة جيدة. وقال العلامة فوتنيل أن حفظها ناتج عن حرارة المدفن. ويوجد بقرب ليون في كنيسة الأموات جثث محفوظة في حالة جيدة وعليها لفائف كوقاية لها. وقال بوسيلى (**arcelly**) ان حفظها ناتج من جفاف الهواء وسد المخزن سدا محكما. وهكذا عثر العلماء على كثير من الجثث المحفوظة في أماكن مختلفة في حالة جيدة.

وتوصل الدكتور لاسكوسكى (**Laskouski**) إلى حفظ كثير من الجثث بواسطة التجفيف على قاعدة ما تيسر له اكتشافه من نظائرها التي وجدت أزمنة محدودة في حالتها الطبيعية. واستعمل تجاربه في جثث الطيور فاخرج منها كل الماء الموجود في منسوجاتها (أي ٦٠% من وزنها) وحفظها زمنا طويلا بواسطة تجفيفها تجفيفا تاما فتتصلب الأجزاء اللينة لصعوبة تجفيفها. وقد بحث الأستاذ المذكور في طريقة أخرى لتجفيف هذه الأجزاء بمفعول على استحضار سائل مركب من ٥ كيلو من حمض الفنيك ممزوجة ومائة كيلو من الجلسرين مضاف إليها عشرين كيلو من الكحول درجة ٩٥، و من ٢٥ كيلو من حمض الفنيك ويذوب في هذا السائل ٥ كيلو من حمض البوريك،و استعمل هذا المزيج العمل حقن في وعاء الجثة من ٤ إلى ٦ كيلو لكل جثة.

وقد قرر الدكتور فاريو (**Variot**) طبيب المستشفيات بباريز استعمال الانتربو بلاسترى لحفظ الجثة من الفناء، فكان يغسلها به أولا من البطن بواسطة مسبر (محبس) يدخله في المرئ وينظف البطن بسائل مانع التعفن. وفي الصيف يستخرج كعادة قدماء المصريين جميع الأحشاء لعمل شق في وسط البطن، ثم تحقن الجثة بمحلول من مزيج كلورير الزنك وحمض الفنيك والجلسرين، وتحقن مقلة العين بالبرافين لمنعها من الانخفاض، ويسد الشقوق كالفم والجفون بالمصطكى، ويدهن الجليد محلول من نترات الفضة ثم تنقع الجثة في حوض محلول من سلفات النحاس مدة خمسة أيام أو ستة ثم ترفع من الحوض وتوضع في صندوق، وقد أكد أن هذه العملية تحفظ الجثة من الفناء زمنا طويلا.

وقد استفاد العلم الحديث من استعمال الكهرباء في التحنيط حظا و افرا، لان كثيرا من الأهالي يشمئز من تشريح الجثث جاءت الكهرباء مطابقة لمشتهياتهم.

وكان المصريون يستعملون في طرائق التحنيط التجفيف في البلاد الحارة. واكتشف الأستاذ ديبوا (**Dubois**) بباريز طريقة للتحنيط في البلادالباردة بأن استعمال الكحول الاميلكي (**alcool sawytique**) المضاف إليه الأثير النتريك، و بمزجهما يستعملان حقنا للجثة في أجزاء كثيرة منها، فتشرب من هذا المحلول ثم تجف ويثقب المحنط بإبر صغيرة الحبات التي تظهر على الجثة فيسود الجلد ويتجفف وينقص حجم الجثة.

واستعمل الانكليز في لندن لحفظ الجثث محلولا مركبا من ١٠٠٠ جرام من الملح الرمادى و ٤٨٠ جرام من الحجر الشاب، ثم استعمل فان فاتر (**Van Vater**) محلول الجارين من نترات البوتاس والسكر الخام. وأطباء (فينا) يستعملون طريقة الاستاذ لانجر (**Langer**) بحقن الشرايين من مزيج الجلسرين وحمض الفنيك والكحول.

وقبل اكتشاف الدكتور لاسكوسكى (**Laskouski**) والدكتور برسيلى (

Parcelly) كان أطباء باريز يستعملون السائل الذي ركبه برسون (personne)
وهو مركب من ٥٠٠ جرام من هترات الكلورات و٢٥٠٠ جرام من الجلسرين
ونصف من الماء المقطر.

ويتضح من هذه الملخصات أن غرض الأطباء لم يكن مس كرامة الأحياء، ولا
امتهان شعور العائلات، بل غرضهم البحث العلمي وهو في نظرهم فوق كل
الملحوظات العرفية.

توصل الأطباء والعلماء الآن لحفظ القطع المشرحة من جسم الإنسان الطبيعي،
لتأتي القواعد الفنية حتى يستطيع المشرحون مستقبلا أداء واجبهم خدمة للإنسانية
بأعمالهم المفيدة، لان درس تركيب الإنسان يستدعي عناية وتوسعا. وبهذه الطريقة
يرجع الفضل إليهم في تدوين ما تقوم به مباحثتهم، خصوصا إذا توصل
الاختصاصيون في الطب الباطني إلى معرفة أسباب الأمراض كما أن ذلك يفيد أيضا
في تحنيط الجثث من أجل الطب الشرعي في التحقيقات القضائية الجنائية.

والخلاصة أن التحنيط بأنواعه ما استعمل في العصور الأولى والوسطى والحديثة
لأغراض أدبية ترجع إلى معتقدات دينية وعواطف عائلية، فانه قد أفاد العمران بما
أمكن الوصول إليه في الاكتشافات المتوالية عن دول وملوك غابرة. أفادتنا تواريخ
النقوش الموضوعة على قبورها و توابيتها بما كان لهم من العظمة والتضلع والتنور
والإقدام و الاجتهاد في نشر العلوم وصيانة أسرارها. فالتحنيط كما أفاد من الوجهة
الأدبية أفاد أيضا في الاكتشافات التاريخية والجغرافية والمعلومات المتنوعة. فالهمم التي
اقتطفنا عن آثارها هذه المعلومات جديرة بأن نخلد ذكرها بما نستطيعه من آيات
المدح والثناء فا جزاء الإنسان إلا الإحسان.



خلاصة في التحنيط

نقلا عن كتاب المستر اليو سميث

بعد أن اقتطفت ما استطاع اليراع تدوينه في هذا المؤلف عن موضوعه الثمين قد أطلعتني الصدفة على مباحث شيقة عن التحنيط في عهد الفراعنة ليست مما تجود الصدف بالاطلاع عليه في غيره، فلهذا أسرعت في تلخيصها إتماما لفائدة القارئ الذي تسيره الإحاطة العلمية لكل جديد مفيد.

التحنيط في عهد الدولتين القديمة والوسطى

تحت هذا العنوان أنشأ المؤلف المشار إليه خلاصة تاريخية عامة ضمنها إن فحص العلماء في عظام الهياكل للجثث المجففة بمصر وبلاد النوبة يرجع تاريخه إلى ما قبل الأسر الفرعونية بآلاف السنين، وقد صرحوا بأنهم لم يجدوا فيما اكتشفوا منها بتلك العصور أثرا للمواد التي استعملت لصيانتها من الفناء حتى كان يمكنهم الاسترشاد لبعض المباحث الفنية لمعرفة شيء من تلك العقاقير النافعة.

وبذل الدكتور شميد كل عناية في ذلك، فلم يهتد بكل ما بذل من التجارب إلى حقيقة هذه العقاقير ؛ وقال أن الميزيجات التي عثر عليها كثيرة الشبه بالأنسجة العضوية للعظام وللصمغ الصنوبرى.

ومن الباحثين من قال أن محتويات الجماجم يرجح أن تكون من الصمغ الصنوبري أو القار، ويرجح غيرهم أن هذه المادة هي من المخ المجفف.

وعبر الدكتور ريسنر(**Reisner**)، في نجع الدير على جثث تدل أقدميتها على أنها من قبل العصور الفرعونية وفي حالة جيدة أكثر مما اعتادوا الاعتقاد بأنه من نتيجة هذا الفن، ورسخ أن هذا الرونق يرجع الفضل فيه إلى طبيعة ومنطقة الجو.

وقد ذكروا أن الأجسام المحنطة من هذا الشعب القديم وضعت في الرمال الجافة وسترت بها إلى درجة تمنع اختراق الهواء للمسام فتجففت بحالة منيعة.

وقبل احتياط العلماء المحنطين في فنونهم كانت الجثث قابلة للكسر ثم التلاشي بدليل أنه لم يعثر على شيء منها في المتاحف الشهيرة.



رأس مومية منزوفيس الأول

وقد وجدت جثث قليلة يرجع تاريخها إلى الأسرة الأولى منقولة من حفائر المسيو مرجان في نفادة والمستر بتري في أبيدوس والمستر ريسنر في نجع الدير. وعثر المستر كويبل على جثث أخرى محنطة من الأسرة الثانية ولكن كانت عمليات التحنيط غير جيدة، لأنها لم تستر كاملة الأجزاء حين رفع الكفن عنها.

وعثر المستر جارستانج على جثث أخرى من عصر الأسر الثالثة إلى السادسة في ناحية بني حسن، ولكنه لم يجد بها أثرا من التحنيط ومن هذا لم يمكن الجزم بطريقة تحديدية للوقت الذي كانت فيه بداية التحـنيط ويرجح أن أوائل انتشاره كانت في عصر الأسرة الثالثة إلى الخامسة ويوجد بالمتحف المصرى (راجع دليل ماسبرو سنة ١٩١٥ صفحة ٣٠٩) رأس مومية الملك منزوفيس الأول ابن الملك بيبي الأول عثروا عليها بهرمه الكائن بسقارة، وفيها ضفيرة صغيرة مما كانت في عهدهم مألوفة لرؤوس الأطفال، واستدلوا بذلك على أنه مات حديث السن، ويظهر أن بعض اللصوص فصلوا الرأس عن باقي الجثة الموجودة في محطات الأسرة السادسة المحفوظة بالمتحف المصري بالطبقة العليا في القاعة حرف C.

تجد في الطرقتين M،K من الطبقة العليا للمتحف المصري الجثث المحنطة للملوك ورؤساء كهنة المعبود امونوكان في بدء الأمر كل ملك من ملوك الأسرة الثامنة عشرة إلى العشرين يشيد مقبرة خاصة له، وأغلب هذه المقابر منحوتة في وادى أبواب (بيان) الملوك الواقعة في جبل القرنة التي تحوي مقبرة طيبة القديمة (الأقصر والكرنك).

وفي عهد أواخر الملوك الرعامسة انتهك بعض اللصوص حرمة الجثث لسلب ما عليها من الحلي فهب رؤساء كهنة المعبود آمون في عهد الأسرة ٢١ وجمعوا جثث الملوك في محل واحد لتسهل حراستها. وأسفرت نتيجة البحث الرسمي وقتئذ عن سرقة حلى الجثث وأخذ ما عليها، فكفنوا الجثث المجردة من أكفانها ووضعوها في توابيت جديدة، و نقلوا جميع الجثث إلى مقبرتين أو ثلاث حتى لا يتمكن اللصوص من

الوصول إليها.



الملك ببي الأول وابنه بحجم صغير والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلي

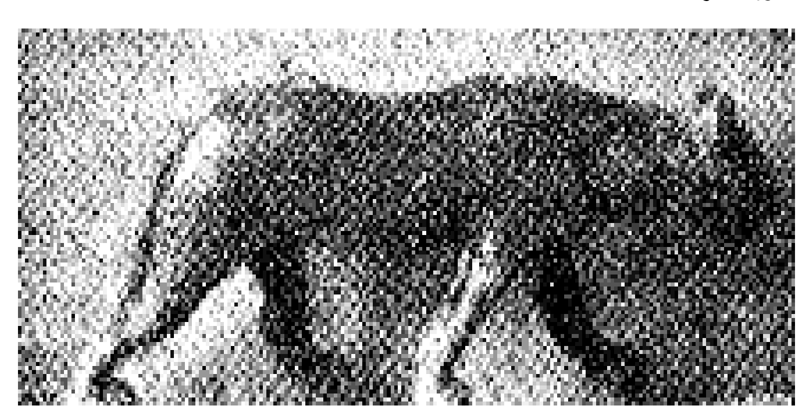
وفي أوائل حكم الملك ششنق أول ملوك الأسرة ٢٢ وضعت جميع الجثث المحطمة في إحدى قاعات مقبرة أمنحتب الثاني وسد مدخلها سدا محكما . أما الجثث التي لم تمس بضرر فقد شقوا لها الجبل الفاصل بين وادى أبواب الملوك و الدير البحري، ووضعت توابيت كهنة المعبود آمون (الاسرة ٢١) في مقبرة قديمة للأسرة الحادية عشرة ، وهي في غيابة جب منيع ، ولكنه سهل الحراسة ، وله فتحة صغيرة من جهة الجبل المجاور للدير البحري. ولبثت جثث الملوك في بطون هذه القبور حوالي ألفي سنة ، ولم تنلها يد اللصوص حتى كشفها عرب القرنة سنة ١٨٧٥، واستولت عليها مصلحة الآثار المصرية سنة ١٨٨١، وفي سنة ١٨٩٨ كشف قبر الملك أمنحتب الثاني ،ونقلت جميع جثث الملوك المحنطة إلى دار الآثار لتعيد لنا ذكرى عظمة أجدادنا الكرام وفخر بلاد آبائنا العظام ، جاء العلماء وجردوها من أكفانها وفحصوها ، وصورها الأطباء وقاسوها حتى عرفوا أنواع الأمراض التي أدت بها إلى الهلاك.

واليوم أحرزت دار العاديات ثلاثا وثلاثين جثة ما بين ملك وملكة وأمير ورئيس كهنة وجثث بعض الأعيان النابغين ، وقد وجد كثير من جثث الدولة الوسطى كما عثروا على جثث أخرى من الأسرة الحادية عشرة إلى الأسرة الثالثة عشرة ، ولم يلحق التلف إلا قدر قليلا منها وتوجد الآن في متاحف أوروبا وأمريكا ولم ينشر عنها إلا معلومات قليلة.

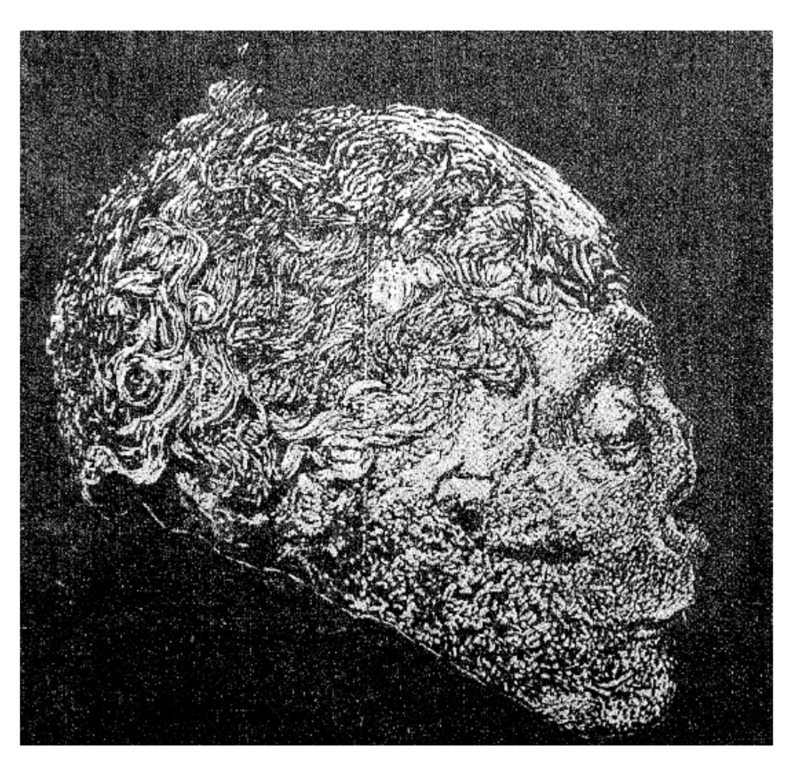
وتحوي الطرقتان أ ، **A** والأيوان **E** من الطبقة العليا من المتحف المصري عدة توابيت مختلفة الوضع للأسرة الثانية إلى العصر الروماني . فأقدم هذه التوابيت على شكل أوان من الخزف أو صناديق من الخشب، تشبه بيتا توضع فيه الجثة مضموم بعضها إلى بعض،كما ترى ذلك في الخزانة الواقعة في الجهة الغربية القبلية في الجزء الأسفل . ثم خطر بفكرهم بعدئذ أن يصنعوا توابيت لها زوايا حادة داخلها الجثة مبسوطة راقدة على جنبها الأيسر ويضعوا على التابوت عينين كبيرتين مرسومتين أو مرصعتين تدلان على مكان الرأس، ثم ترقت الفكرة عندهم حتى كانوا يصنعون

التوابيت في أوائل الأسرة١٢ على شكل إنسان ورسومها تختلف باختلاف العصور والأماكن وبالطرقة . تابوت جميل لبتوزيريس (**Pelosiris**) الكاهن الأكبر لتوت معبود مدينة هرموبوليس الكبرى، ويرجع تاريخه إلى أواخر القرن الرابع ق.م. وترى عليه خمسة أسطر محلاة بالعجينة الزجاجية آية في الحسن و الجمال.

وفي وسط الشرفة القبلية بالطبقة العليا من المتحف المصري تحت رقم٣٣٤٨ جثة مساحتي أمير أسيوط (الأسرة ١٢) والجثة مضموم بعضها إلى بعض وبجانبها البخور والمرآة والسندل.



التحنيط في عهد الأسر ١٨ إلي ٢٠



رأس مومية الملك أحمس الأول

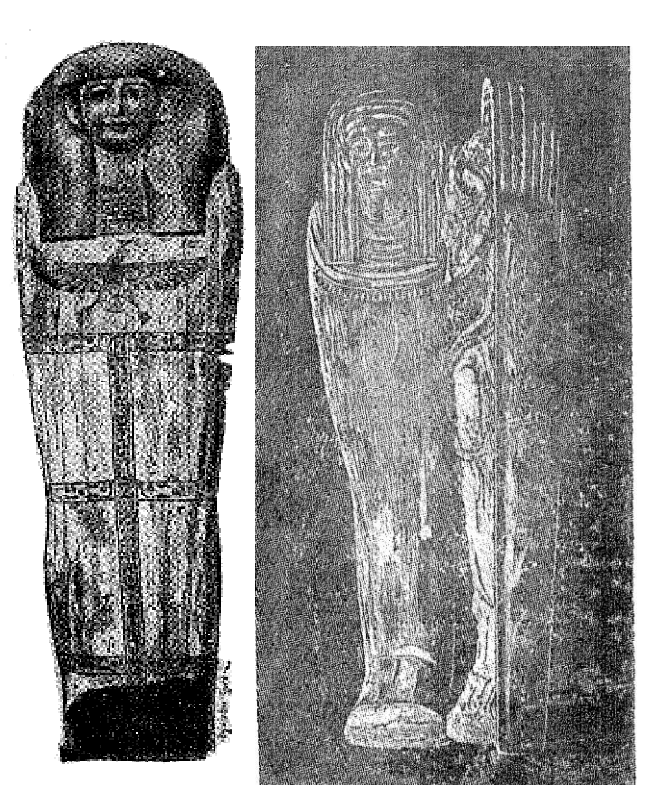
منها مومية الملك احمس الاول مؤسس الاسرة ١٨ وطول جثته ١ متر و٦٧ سم اكتشفت سنة ١٨٨٦ ومكتوب اسمه على كتفها بالخط الهيراطيقى وهى محفوظة بالمتحف المصري بالطبقة العليا تحت رقم ٣٨٩٤ وبفحصها تبين أن المحنطين شقوا جنبه الايسر ، خلافا لما كان عليه الاصطلاح الفنى الذي رواه هيرودوت عن اعتيادهم اجراء التحنيط في الأنف بواسطة آلات دقيقة حديدية لاخراج محتويات الجمجمة وما يحتاجه إتقان الصناعة.

يشمل هذا التابوت جثة الملك أحمس الأول محاطة بأشرطة من قماش وعلى

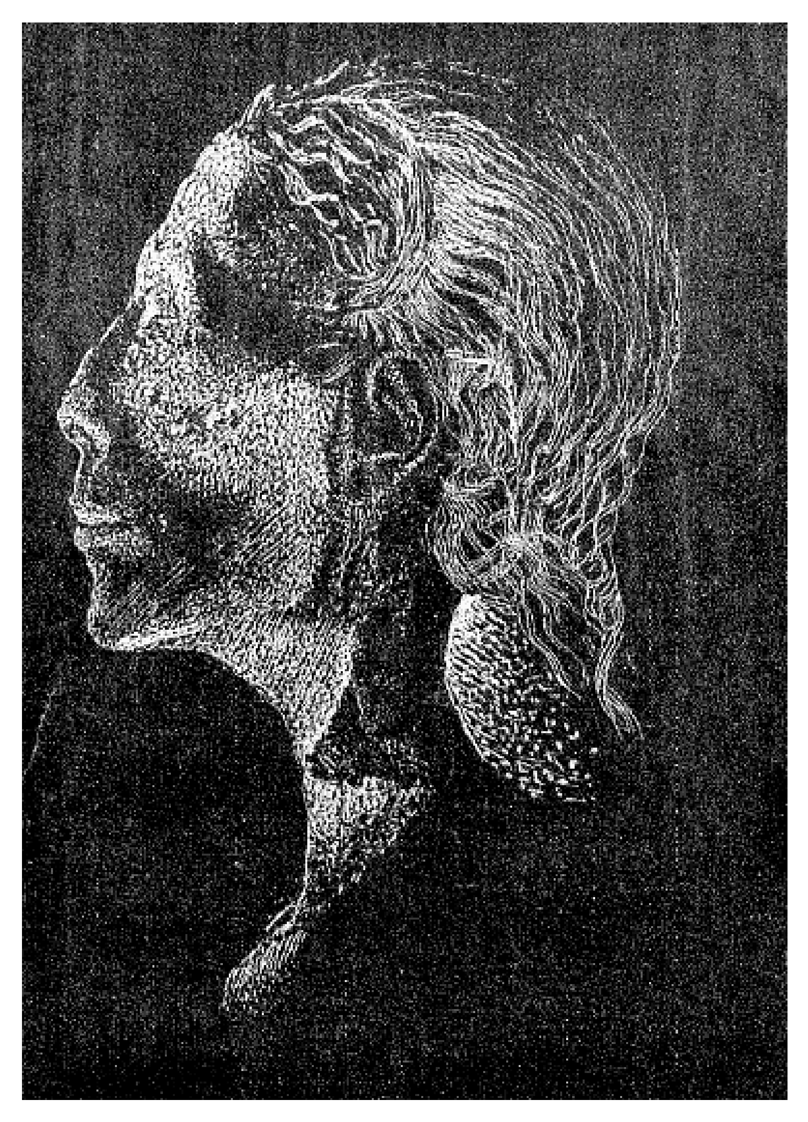
رأسه وجه مستعار من الورق المقوى وباقي الجسم مغطى بأكاليل الزهور والجثة من محفوظات المتحف المصري بالطبقة العليا تحت رقم ٣٨٩٤ (الأسرة)

إلي اليمين غطاء تابوت فيه جثة الملك تحتمس الثانى وطول جثته ١ متر و٧٧ سم ومكتوب علي صدرها في السنة الرابعة في اليوم السابع من الشهر الثالث من فصل الحصاد أصلح الكاهن بانوتمو هذه الجثة من أثار وجدت مشوهة بها دلالة على أعمال بعض الأشقياء أو اللصوص.

امنوفيس الثاني لازالت جثته في قبره بوادي أبواب الملوك وقد وجدوا معه جثة طفل يناهز من العمر إحدى عشر سنة مختتن خلافا للعادة المتبعة في ذاك العهد عن ختان الأطفال.

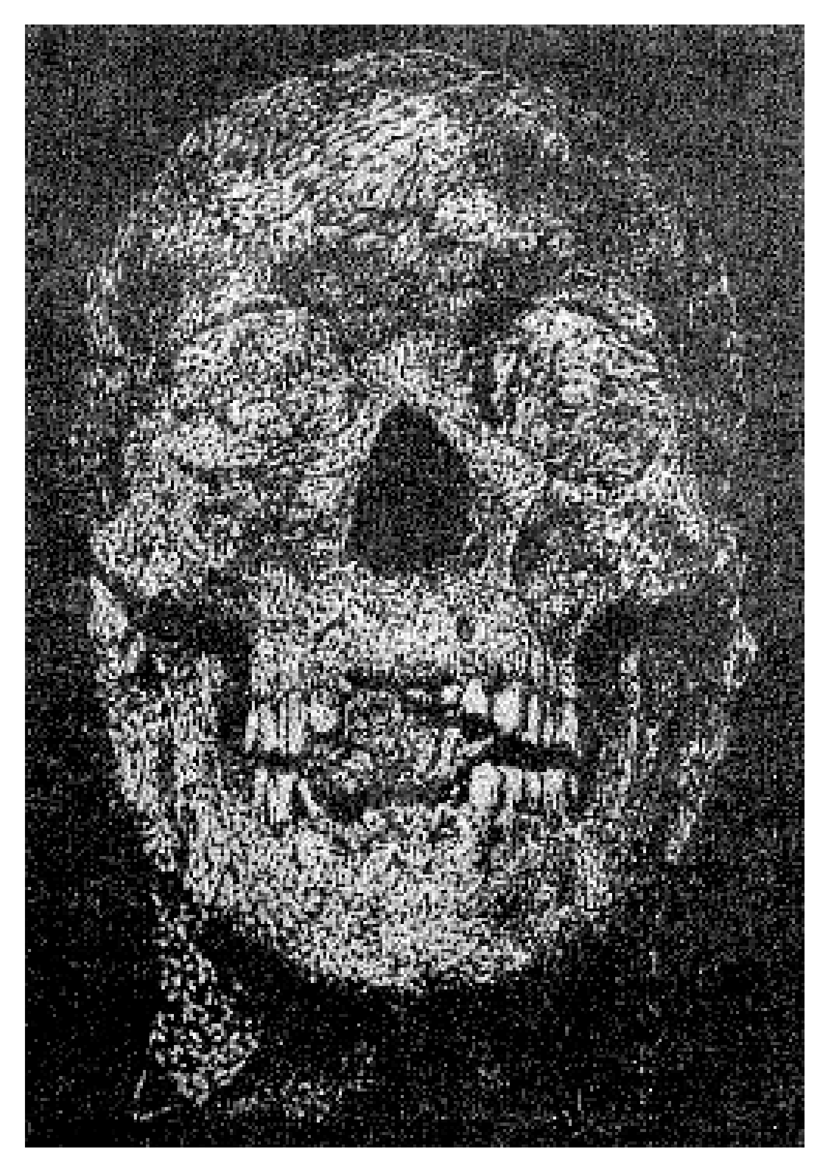


تابوت فيه الملك احمس الاول



رأس مومية تحوتمس الرابع

من الأسرة ١٨ طول جثته ١متر و٦٠ سم اكتشفها المسيو لوريه سنة ١٨٩٨ في مقبرة أمنوفيس الثاني وفحصها الدكتور اليوسميث وقدر أنه مات في السنة الخامسة والعشرين من عمره وهي محفوظة بالمتحف المصري.



رأس مومية امنوفيس الثالث (الأسرة ١٨)

طول جثته ١ متر و٦٥ سم وقد عثر عليها المسيو لوريه سنة ١٨٩٨ في مقبرة أمنوفيس الثاني وهي محفوظة بالمتحف المصري بالطبقة العليا بالطرقة K في خزانة

حرف R تحت رقم ٣٨٨٣، أما مقبرته فهي بوادي أبواب الملوك في الجانب الغربي لمدينة طيبا ، واشتهر عند اليونان باسم مينون وكان حكمه من سنة ١٤١١ إلى سنة ١٣٧٠ ق٠م وزوجته تدعى تايا ٠وكانت له علاقة كبري بملوك بابل وأشور تدل عليها اللوحات التي وجدت مكتوبة بالقلم المسماري بلوحات تل العمارنة وبعضها محفوظ بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بالطرقة X داخل صندوقين مربعين من الزجاج (A،B) وهي من الطوب الأحمر (أرقام ١١٩٤ إلى ١١٩٩) (الأسرة١٨).

أمنوفيس الرابع الشهير باخناتون (أي نور قرص الشمس) من أهم حوادثه التاريخية أنه غير الديانة المصرية، واتخذ مدينة (ختاتن) المعروفة اليوم بتل العمارنة عاصمة المملكة مصر بدلا من مدينة طيبة الشهيرة. وكان ينازعه في سلطته كهنة المعبود أمون، فأراد محو عبادة هذا الأله وغير اسمه واتخذ قرص الشمس معبودا له ومحا اسم المعبود أمون من كل مكان.

نقلت جثته من تل العمارنة إلى مدينة طيبة ووضعت في مقبرة الملكة تي، و عثروا على غطا تابوته المرصع بالذهب والحجارة الكريمة وهو من نفائس المحفوظات الثمينة بالمتحف المصري بالطبقة العليا أمام قاعة الذهب تحت رقم ٣٨٧٣، وانتزع الكهنة وجهه واسمه من هذا الغطاء كانتقام منه بعد وفاته كما تسوله الجبانة النفوس المنحطة.

ويستنتج من هيكله أنه مات بعد أن بلغ من العمر حوالي خمسة وعشرين سنة إلى ثلاثين ، وكان مصابا باستسقاء في الدماغ ، وكان يستر هذا العيب بلبس الخوذة في رأسه ، وجعل من الزينة لبنتيه لبس الخوذة ليوهم الناس بأن لبسها من شعار عائلته المالكة كما تدل عليه صورهما المنقوشة بالمسلتين رقما ٦٨٢، ٤٨٧ الموجودتين بالخزانة حرف D بقاعة حرف I بالطبقة السفلى بالمتحف المصري.



الملك حور محب

موميات الاسرة ١٩

في متاحفنا كثير من موميات ملوكها وقد عثر المستر دافيس سنة ١٩٠٨ على قبر الملك حور محب مؤسس هذه الأسرة.

ولا تزال في تابوته بقايا جثته ولا يمكن الجزم بأنهامن جثته أو من ملك غيره ولم تفحص جثته عند اكتشافها.

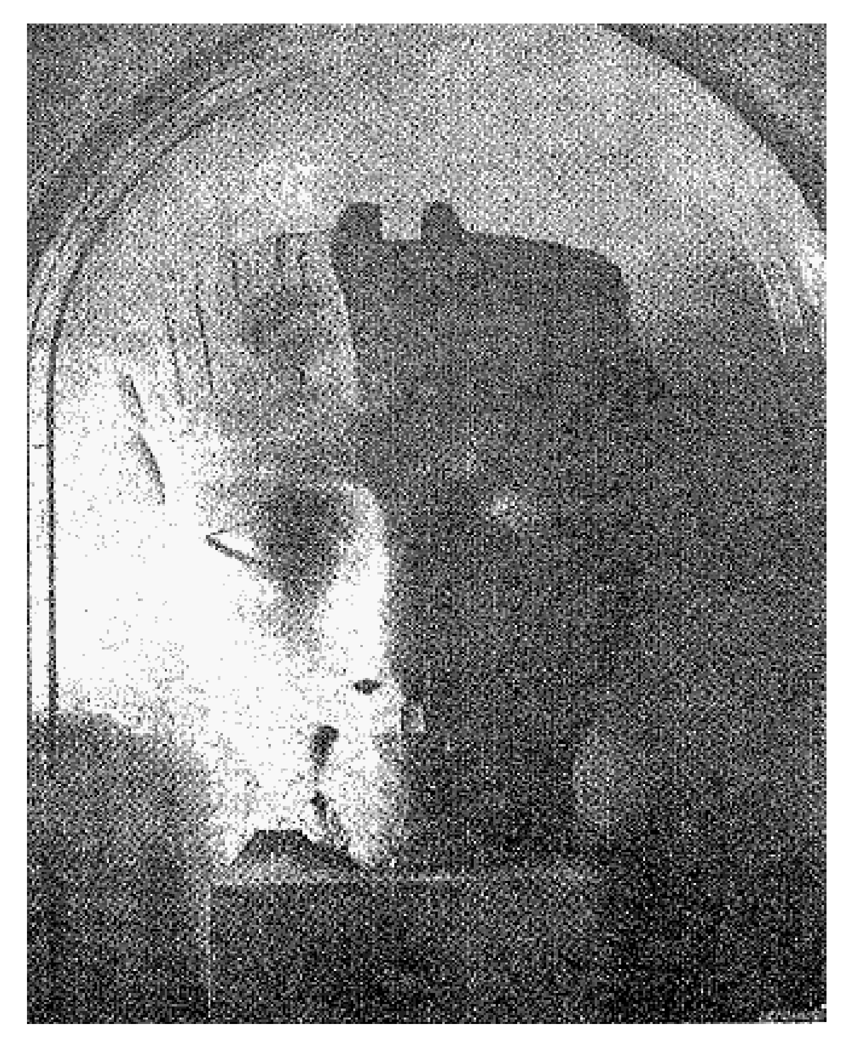
إما جثة رمسيس الأول فلم يعثر عليها، بل عثروا علي جثة ابنه سيتي الأول توجد جثته بالمتحف المصري بالطبقة العليا أمام قاعة الذهب تحت رقم٣٨٧٥ وهذا والد رمسيس الثاني ولم يكن اسود اللون وإنما اثر السواد المشاهد في جثته هو من القار الممتزجة به مواد التحنيط وإذا أحدقت النظر في ملامح وجهه تدلك هيئته على النبل والهيبة. ولم توجد بجثته أعضاء التناسل، ويظهر أن المحنطين قطعوها أتباعا لعادتهم في ذاك الوقت.



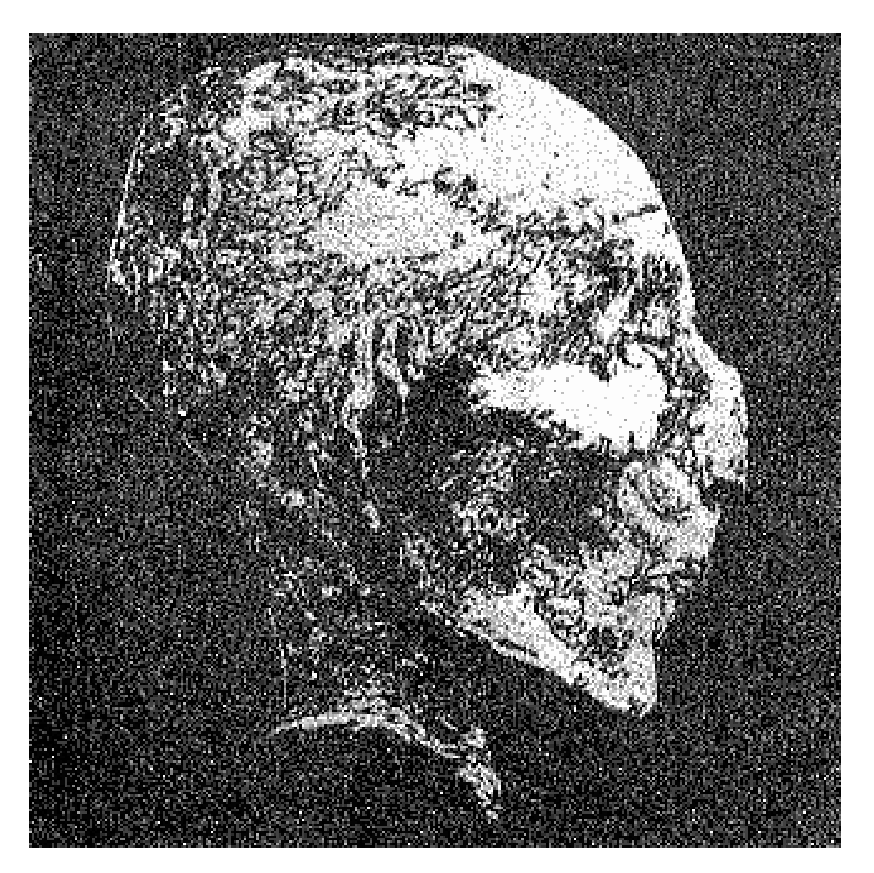
رأس مومية رمسيس الثانى

رمسيس الثاني هو من ملوك الأسرة ١٩ وطول جثته ١ متر و٨٠سم وهي في تابوت من الخشب علي شكل ازوريس نقش على صدره اسمه ولقبه وبه نقوش أخرى تفيد أن الملك حريحور في السنة الرابعة من حكمه أصلح جثة هذا الملك وأن رئيس الكهنة المدعو (بريت) أخرجها من قبر سيتي الأول وان رئيس الكهنة (بانتمو) نقل جثتي هذين الملكين إلى قبر الملك أمنوفيس الثاني وتفيد المعلومات التاريخية أن التابوت الأصلي لهذا الملك تلاشى فجدد بدل تابوته الحالي رئيس الكهنة (بانتمو) ، ولون جثته طبيعي وهو أول جثة استطاع المحنطون فيها حفظ ألوان الأجسام . ومن الغريب أن أسنانه محفوظة تماما رغما عن كبر سنه.

وقطع المحنطون أعضاءه التناسلية حسب عادتهم ووضعوا الحنة في يديه ورجليه وهو من مشاهير الفراعنة طال حكمه ٦٧ سنة وشيد كثيرا من الآثار في أبي سنبل والكرنك والأقصر وأبيدوس وبوباتيس وبلغ عمره نحو مائة سنة وجثته بالمتحف المصري بالطبقة العليا تحت رقم ٣٨٧٦ بقرب القاعة الذهبية.



رأس تمثال رمسيس الثاني بحجم كبير عثر عليها بميت رهينة وهى من محفوظات المتحف المصري بالطبقة السفلى بالطرقة N تحت رقم ٦٧١.



(رأس مومية منفتاح فرعون موسى)

طول جثته ١ متر و٧٤ سم وهو ابن رمسيس الثاني ونقش اسمه على صدره بالخط الهيراطيقى وهو معروف من الروايات الاسكندرانية بأنه فرعون موسى وهو الذي غرق في البحر الأحمر .

وجثته بالمتحف المصري بالطبقة العليا تحت رقم ٣٨٧٩ أمام قاعة الذهب وفحصت جثته سنة ١٩٠٨ وعرفت ان صاحبها هرم وفيه ملامح كثيرة من أبيه رمسيس الثاني وأنه مات من تصلب الشرايين .

وجاء بعده الملك سبتاح وسيتي الثاني اللذان شوه اللصوص مومياتهما.

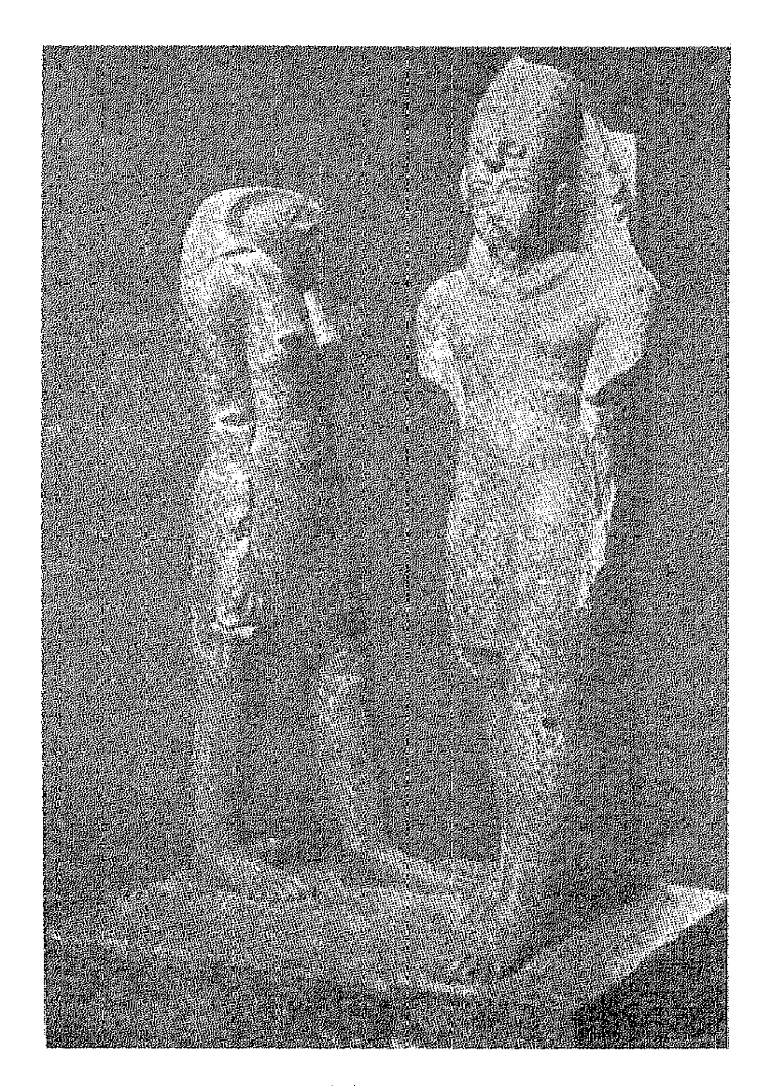


رأس مومية سيتي الثاني

طول الجثة ١ متر و ٦٤ سم استخرجت من قبر الملك امنوفيس الثاني وشوهدت في رأسه فتحة يعتقدون خروج الروح منها ، أو أن ذلك خاص بالأرواح الشريرة . وقال بعض المؤرخين أن هذه الفتحة عملت لإخراج المخ منها ، ومناظر وجهه تبين بأنه مات حديث السن وجثته بمحفوظات المتحف المصري بالطبقة العليا بالطرقة K بخزانة حرف R تحت رقم ٣٨٨٠ وهو آخر ملوك الأسرة ١٩ ، وخلفه بعده الملك ستنخت الذي أسس الأسرة ٢٠ وسميت أسرة الرعامسة وعددهم تسعة ولم نعثر على جثته.

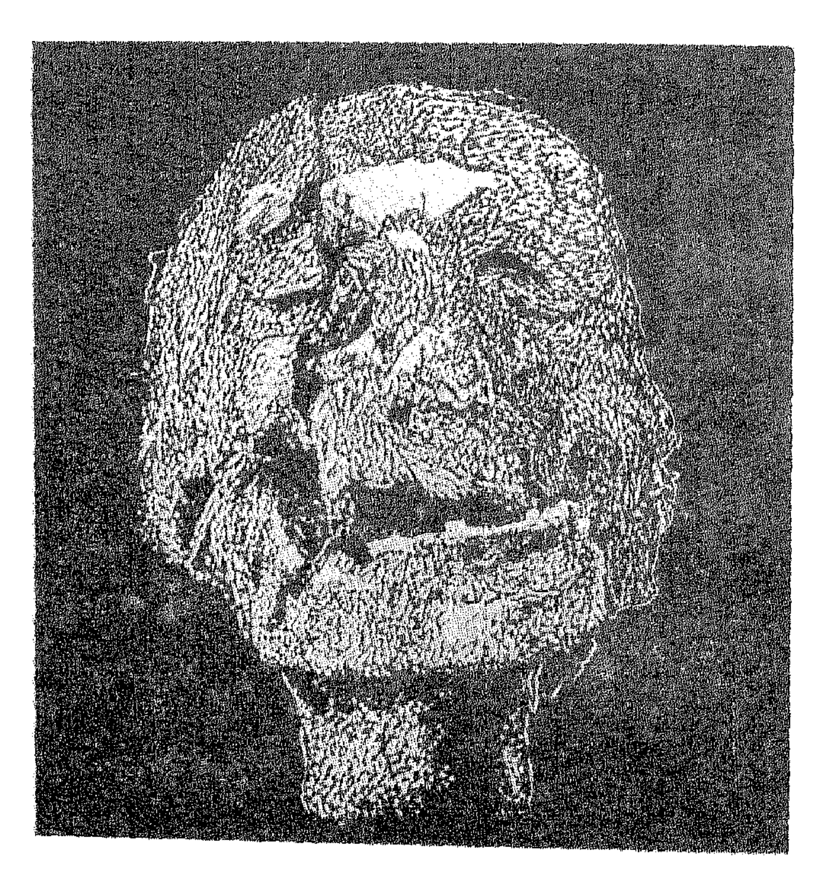


مومية الملك رعمسيس الثالث (الأسرة ٢٠) طولها ١ متر و ٦٩ س ولفائفها حديثة المهد صنعها الملك (بانتمو) في السنة الثالثة عشرة من حكمه كما يشير إليه المحضر المحرر على كفنه. والجثة محفوظة بالمتحف المصري بالطبقة العليا بالطرقة R رقم ٣٨٦٩



رعمسيس الثالث

قطعة واحدة من الحجر الجرانيت الوردي منقولة من مدينة هبو ترى فيها المعبودين حورس وست أو تحوت وهما يضعان التاج على رأس الملك رعمسيس الثالث غير أن تمثال ست أو تحوت فقد فلم يوقف له على أثر. والأصل بالمتحف المصري بالطبقة السفلى بالقاعة ٥ رقم ٧٦٥.



رأس مومية الملك رعمسيس الرابع (الأسرة ٢٠)

طولها ١ متر و ٦٠س وهي في تابوت ملون بألوان بيضاء، وهو ابن الملك رعسيس الثالث بما اكتشفها المسيولورية سنة ١٨٩٨ في قبر الملك أمنوفيس الثاني، وملامح الجثة تدل على أن هذا الملك مات في سن الخمسين، وكان أصلع الرأس وجثته تامة؛ وفي الرأس فتحة مثلثة عملت في التحنيط والجثة بالمتحف المصري بالطبقة العليا بالطرقة K رقم ٣٨٦٥.

رعمسيس الخامس طول الجثة ١ متر و ٧٧ س اكتشفها المسيولوريه سنة ١٨٩٨ في مقبرة أمنوفيس الثاني، وقد أتلفها اللصوص وأصلحها الكهنة، واسمه

مكتوب على صدره بالمداد الاحمر، وملامحه تدل على أنه مات بداء الجدري، وفي صدغه الأيسر فتحة ربما عملت بعد الوفاة للتحنيط أو أنها من آثار جراحة في حياته كانوا يحدثونها طلبا للشفاء من هذا الداء ولا زالت هذه المادة متبعة عند بعض البرابرة في السودان إذا أصيب أحدهم بالجدري؛ والجثة محفوظة بالمتحف المصري بالطبقة العليا بالطرقة حرف k رقم ٣٨٦٦ (انظر صحيفة ٦٨ من هذا الكتاب).

أما رعمسيس السادس فلم توجد جثته، وأهم ما علم عنه أنه مات أكبر سنا من رعمسيس الخامس وأصغر من رعمسيس الرابع وهو آخر الملوك الرعامسة الذين أمكن أكتشاف جثثهم المحنطة.

التحنيط في عهد الأسرة ٢١

بلغ إتقان التحنيط في عهد الأسرة ٢١ مبلغا فائقا، وابتدعوا له طريقتين الأولى وضع المواد التحنيطية فوق الجثة، ثم قرروا وضع مثلها تحت الجلد لتكون دائما الحفظ كرونقها الطبيعي في الحياة الدنيا.

ويوجد من الجثث التي حنطت بمقتضى هذا النمط الجديد نحو تسع جثث للملوك ونحو ٤١ للكهنة جميعهم من عهد الأسرة ٢١، وفحصها واختبرها العلماء فتأكدوا من متانة هذا التركيب؛ ومنها جثة الملكة (نظمة) زوجة الملك حريحور الملك رأس هذه الأسرة في طيبة. واستعمل المحنطون لها هاتين الطريقتين كما استعملوها في تحنيط باقي الجثث الملكية من بعد ذاك التاريخ لتكون في حفظ دائم كما تقدم القول تسهيلا في التعارف على جسمها الثاني (الكا)، واستغنوا بهذه الطريقة عن التماثيل التي كانت تنوب عن الجثة المحنطة، وكان يعتني بها ملوك الدولتين القديمة والوسطى. وفي سنة ١٩٠٤ أجرى الباحثون فحص نحو ٤٤ جثة للكهنة والكاهنات واستنتجوا من مواصلة التدقيق والمجهودات العلمية أن المحنطين نبغوا إلى درجة قصوى استطاع بها العلماء بعدهم معرفة الأمراض المسببة للوفاة. ومن ذلك عرفنا أن بعضهم مصاب بداء في احدى عظيمات العمود الفقرى وكان هذا الداء يعرف بداء بوت (Poot)

(راجع صفحة ٥٥ من هذا الكتاب)

واستطاع المحنطون أيضا تلوين الجثث باللون الأحمر. وفي عهد البطالسة أبدل هذا التلوين بوضع الورق السميك عليها.

التحنيط في عهد الأسرة ٢٢ وأدوار تلاشيه بعدها

ينل التحنيط حظة من العناية في عهد هذه الأسرة، ليبلغ المزيد الذكر كان ينتظر بتقدم العصور وارتقاء المدارك؛ بل جاء تاريخ هذه الأسرة فيه بداية انحطاطه وتلاشيه تدريجيا. والجثث التي وجدت في سائر المتاحف مما حنط في عهدها دالة على تأخر التحنيط فيها إلى درجة مخزنة.

ويوجد بالمتحف المصري بالطبقة العليا بالطرقة حرف k خزانة حرف a تحت رقم ٣٨٤٩ تابوت فيه جثة كاهن المعبود أمون وأسمه (زدفتا حنوخو) من الأسرة ٢١ حفظت في عهد الملك ششنق، ووجدت في مقابر الدير البحري، وتحنيطها يدل على أنه لم يكن بالعناية المعتادة لمثلة في أيام الأسرة السابقة.

لم يبحث العلماء الجثث لحنطة في أيام الفرس والبطالسة والرومان، ومتحفنا فيه كثير منها بالطبقة العليا. وكانت جثث تلك العصور قابلة للإنحلال خصوصاً جثث النساء. وقال هيردوت في تعليل ذلك أن زوجات العظماء كانوا لا يسلموها إلى المحنطين إلا بعد أربعة أيام من الوفاة حت لا يفتتن المحنطون بمظاهر الجمال التي كانت تمتاز به هذه السيدات في ذاك الوقت.

ولوحظ أن أحد المحنطين أساء التصرف في جثة أمرأة جميلة وبلغ عنه وعوقب من أجلها، ولهذه الأسباب لم تكن عملية التحنيط لأولئك النسوة على ما ينبغي من البراعة والعناية لأن ديدان التعفن الرمي يكون قد سرى إلى الجثة وأفسدها.

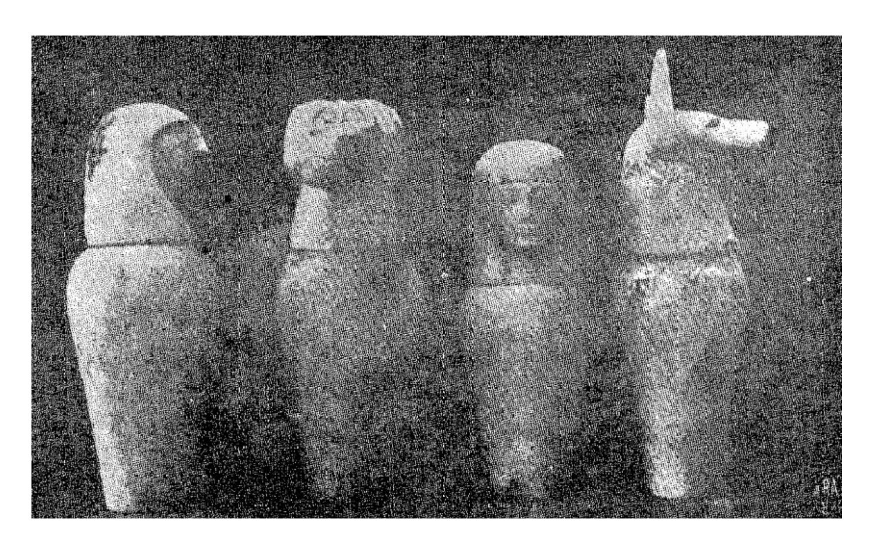
وَكَمْ فِي الموت مِن عِظَةٍ وَلكن نَسادُ النّفْسِ مِنْ مَرَض الجُنُونِ

ملحقات المومية كالتوابيت ونحوها

كان الأقدمون يجعلون لتوابيت الجثث المحنطة أحمالاً ترتكز عليها من أطباق خزفية أو علب حجرية أو قطع خضبية، ويكتبون عليها وعلى جدران القبر نقوشا تتضمن أسم صاحب الجثة وألقابه وأشهر أعماله في تاريخ حياته؛ ثم اقتصدوا في العمل واكتفوا بكتابة ذلك في التابوت فقط.

وقد وجدت في سقارة توابيت خشبية من تاريخ الأسرة السادسة، ويوجد بالمتحف المصري توابيت من نوعها من عهد الأسرتين الخامسة والسادسة. وأغلب النقوش على التوابيت في عهد الدولتين القديمة والوسطى مأخوذ عن نصوص كانت معتادة لكتابتها في التوابيت فقط، وفي عهد الدولة الحديثة أخذت هذه النقوش من كتاب الموتى، ثم تفننوا في إيجاد نقوش حول التوابيت كالزينة والأفاريز والأشياء التي يعتقدون لزومها للميت في عالمه الثاني، وكانوا يضعون الجثة في التابوت إلى يسارها؛ ويضعون في محازاة الوجه على خارج التابوت صورة عينين كأنهما مطلتان إلى الشمس والقمر إشرافا على حوادث الكون ولحفظ رأس المتوفي من الأرواح الشريرة.

وأحيانا كانوا يستعملون توابيت متعددة بداخل بعضها؛ واستعملوا بعض توابيت حجرية للملوك، ومن هذا النوع تابوت خوفو الحجري المحفوظة في هرمة؛ وكانت لفائف الكتان المجعولة للجثث تختلف في الطول وفي النوع، وكانوا يضعون على الرأس وقاية من الورق السميك أو أطباق من الذهب للدلالة على التعظيم.



الأواني الأربعة المعدة لحفظ الأحشاء

الأواني الأربعة المعدة لحفظ الأحشاء

الأواني المعدة لحفظ الأمعاء وقت عملية التحنيط تدعى في اصطلاح علماء الآثار (كانوب) وهي أربعة. ووجد من نوعها في عهد الدولتين القديمة والوسطى. وكانوا يرسمون عليها صورة إنسان في بادئ الأمر، وفي الدولة الحديثة كانوا يرسمون على أولاها صورة صقر والثانية صورة قرد والثالثة صورة إنسان والرابعة صورة ابن آوى، واصطلحوا على أن توضع في الأولى إلى يسار هذا الرسم المعدة تحت حماية المعبود دياموتف **(Duamatef)** وفي الثانية الأحشاء تحت حماية المعبود (قبح سنيوف) **(Qebeh Snewef)** وفي الثالثة الكبد تحت حماي العبود ايمسيتي **(Imsety)** وفي الرابعة الرئتان تحت حماية المعبود جعى **(Hapi)**. وقال ديودور الصقلى ان القلب والكلالم يوضعا مع باقي الأحشاء، بل تركا في مكانهما. وفي بعض الاحيان كانوا يخرجون القلب من الجثة ولكن لمي يضعوه مع الأحشاء.

التمائم

أول ما بدئ وضع التمائم مع الأموات كان في الأسرة الأولى، ويبقى استعمالها

حتى العصر المسيحي. وفي العصور القديمة كانوا يكتبون على الورق البردي نصوص الأهرام وغيرها. وفي الأسر ١٨ وضعوا مع لموتى ورقة بردية مكتوبة عليها كتاب الموتى ويضعون أيضا تماثيل صغيرة تسمى المجيبات (أو شابتي أي التي تجيب الدعاء) لإعتقادهم أنها تدافع عن الميت يوم الحساب؛ ويقولون أن منها ما كان يجيب عن الميت عند سؤاله ومناقشته الحساب؛ ومنها ما كان ينوب عن الموتى في الأعمال التي كان يطلب أزوريس قيامهم بها. وتوجد بالمتحف المصري كمية من هذه التمائم بالطبقة العليا بالقاعة حرف **G** في الخزانتين **J**.

علاقة التحنيط بالطب وعلم الأمراض

أثبت الباحثون أن تاريخ التحنيط مرتبط بالطب في أوجه كثيرة لأن المحنطين استفادوا بخواص الصمغ الصنوبر وخواص البلسم وكثير من مكربات المواد المعدنية والنباتية المستعملة في فنهم، واقتنعوا بخواصها في مضادة التعفن؛ واستعملوها في عقاقيرهم بعد الاسترشاد بها عقب كل بحث في فوائدها لمعرفة أنواع الأمراض التي سببت وفاة الموتى؛ فهم لم يثبتوا سبب الوفاة على الجثة المحنطة إلا بعد التأكد من هذه البيانات العلمية وان كانت هذه المواد قليلة في ذاتها.

وقد اكتشفوا جثة يرجع تاريخها إلى ما قبل الأسر الفرعونية مصابة بالحصو في الحوصلة؛ وأخرى من الأسرة الثانية مصابة بالحصو في الكلا، وجثة ثالثة يرجع تاريخها إلى ما قبل الأسر الفرعونية وفحصها الأستاذ شاتوك **(Chattouk)** ، فأثبت أن بها بعض بويضات البلهرسية، وفحص السر روفر جثة أخرى يرجع تاريخها إلى الأسرة ٢١ فوجدت بها بويضات البلهرسية.

وكثير من الموميات ماتت بتصلب الشرايين؛ وعثروا بين موميات كهنة المعبود أمون للأسرة ٢١ على جثث أحداها ماتت بداء عظيمات عمود الفقري وكان يعرف عندهم بمرض **(Pott)** نسبة إلى الطبيب الانكليزي الذي اكتشفه.

ولم يظهر بين هذه الجثث ما يدل على إصابات بداء اعوجاج العظام أو الموت بالتشويش (داء الزهري) أو السرطان عند قدماء المصريين.

وعثروا على جثة من الأسرة الخامسة مصابة بالشوكة لظهرية؛ وثمانية جثث محنطة في بلاد النوبة ماتت بداء السل في عهد الدولة الوسطى وكانت أسنان المومياات قبل الأسر الفرعونية وما يليها سليمة، ولكن وجدت أسنان بعض موميات الملوك نخرها التسوس. وكان المرض المعروف بالإلتهاب المفصلي منتشرا عندهم وعثروا على جثة من النوبة من العصر البيزنطي مصابة بذيل اللفاف الأعور وجثة أخرى من العصر المسيحي مصابة بداء البرص وكان الملك رعمسيس الخامس مصابا بالجدري كما تقدم.

قبر الملك توت عنخ أمون

واعتداء اللصوص عل القبور الملكية

لفظة مومية كلمة فارسية تعريبها الشمع والمصرية القديمة (وتا) أو (وتو) أو (ستخ) أو (سدخ) أو (كس) وأصلها (كرس) والقبطية (كريس) وباليونانية (انتافياسموس) وأطلقت باللغات الأوربية والعربية أخيرا على كل جثة محنطة.



رأس مومية الملك توت عنخ آمون

بعد رفع اللفائف عن جثة هذا الملك تبين أن درجة حفظ جثته لم تكن تامة، ويدل هيكله العظمي على أن نموه الطبيعي لم يكن كاملا، وأن ملامحة تشبه كثيرا ملامح الملك اخناتون.



توت عنخ أمون



أخناتون

والاكتشاف الذي أجراه اللورد كرنرفون والسر هوارد كارتر في قبر هذا الملك أوجب اهتماماً كبيراً في العادات المصرية القديمة الجنازية. وقد ساعد الاهتمام بهذا القبر على بقائه سليماً إلى وقت استخراجه، وهو الوحيد في نوعه. وكان القدماء إلى عهده يضعون بكثرة العاديات القديمة من الذهب في القبور، ولهذا بذل اللصوص جهدهم حتى تمكنوا من سرقتها منذ أجيال ماضيه،ز وان موميات الملوك السابق ذكرها تهشم كثير منها بأعمال اللصوص الذين أفرغوا استطاعتهم في سرقتها ولم يحترموا القبور ولا كرامة أصحابها.

وعثر الباحثون على كثير من الأوراق البردية وقطع من الخزف كتبت عليها محاضر عديدة عن سرقات قبور طيبة.

ومن المعلومات أن الشاطئ الشرقي فيها كان مدينة لإحياء ومستقراً لإقامة الفراعنة ورجال بطاناتهم، إذ كانت هي عاصمة المملكة المصرية في العصور الخالية، وفي شاطئها الغربي كانت أهم المقابر؛ ولأجلهم سميت مدينة الأموات. وفي هذا الجبل تجد وادي الملوك والملكات للأسرة ١٨ إلى العشرين فتح بعضها في عهد البطالسة كما تدل عليه النقوش المكتوبة فوق جدرانها، والبعض الآخر انهالت عليه الرمال فحجبته عن الأنظار، واكتشف جانب منها في العصور الحديثة. وبالعثور على قبر

توت عنخ آمون اكتشفنا كنزا عظيما، لأنه كان ملكا مجهولا وكان زمن حكمة قصيرا وعلمنا كيف كان قبر الملكين العظيمين سيتي الأول ورعمسيس الثاني اللذين كان حكمهما زمناً طويلا، وكان عصرهما زاهراً، ومدة حكم الملك رعمسيس الثاني ستين سنة، وقد حفر لقبر الملك سيتي الأول ثلثمائة قدم في الجبل ويحوي ١٥ طرقة وحجرة، وفي قبر الملك رعمسيس الثاني عشرون حجرة؛ وهكذا ترى قبورا أخرى متلاصقة للملوكز أكبر حجما ومشاهدتها تنبئ بأن أولئك الملوك استخدموا فيها آلافا من العمال. ولم أتموا عملها جعلوا لكل مقبرة كهنة وحراسا خصوصيين .

وقد عثرنا على كثير من الأوراق البردية الشاملة أنواع السرقات من قبور أولئك الملوك، وعدد من أمكن ضبطهم من اللصوص، وأنواع العقوبات التي عوقبوا بها لردع الغير عن الاقتداء بهم في أعمالهم الفظيعة. وكثيرا ما كان رؤساء كهنة المعبود أمون ينقلون جثث الملوك إلى مقبرة أخرى حرصا منهم على كرامتها حتى لا تمتد لها أنظار اللصوص، ولا تفعل أيديهم في نبشها الفضائع التي تأباها الإنسانية وتقشعر منها الأذواق القويمة.

بيان ما اكتشف من مقابر الملوك وجثثهم وأولهم سكنترع من الأسرة ١٧ إلى رعمسيس ١١ من الأسرة ٢٠

الأسرة	الاسم	المحال التي وجدت فيها الجثث المحنطة	محال القبور	ملحوظات خاصة بهذه القبور
١٧	سكننرع	بالدير البحري	لم يكتشف	
١٨	اعحمس الأول	بالدير البحري	لم يكتشف	
١٨	امنوفيس الأول	بالدير البحري	بذراع أبي النجا	اكتشفه كرنرفون وكارترن سنة ١٩١٤
١٨	تحوتمس الأول	بالدير البحري	بأبواب الملوك نمرة ٣٨	اكتشفه لوريه سنة ١٨٩٩
١٨	تحوتمس الثاني	بالدير البحري	بأبواب الملوك نمرة ٤٢	يحتمل أن يكون هذا القبر لهذا الملك
١٨	تحوتمس الثالث	بالدير البحري	بأبواب الملوك نمرة ٣٤	اكتشفه لوريه سنة ١٨٩٩
١٨	حتشبسوت	لم يكتشف بعد	بأبواب الملوك نمرة ٢٠	اكتشفه تيودور دافيس سنة ١٩٠٣
١٨	امنوفيس الثاني	في قبرة	بأبواب الملوك نمرة ٣٥	اكتشفه لوريه سنة ١٨٩٨
١٨	امنوفيس الرابع	في قبر امنوفيس الثاني	بأبواب الملوك نمرة ٤٣	اكتشفه لوريه سنة ١٩٠٣
١٨	امنوفيس الثالث	في قبر امنوفيس الثاني	بأبواب الملوك نمرة ٢٢	اكتشفه بعثه نابليوم
١٨	امنوفيس الرابع	في قبر الملكة تي	بتل العمارنة	اكتشف المسيوم دافيس قبر الملكة سنة ١٩١٧
١٨	سمنكارع	لم يكتشف إلى الآن	لم يكتشف إلى الآن	

١٨	توت عنخ أمون	في قبرة	بأبواب الملوك	اكتشف كرنرفون وكارتر سنة ١٩٢٢
١٨	أي	لم يكتشف إلى الآن	بأبواب الملوك نمرة ٢٣	كان له قبر سابق بتل العمارنة
١٩	حور محب	لم يكتشف إلى الآن	بأبواب الملوك نمرة ٥٧	اكتشفه ديودور دافيس سنة ١٩٠٨
١٩	سيتي الأول	بالدير البحري	بأبواب الملوك نمرة ١٧	اكتشفه بلزوني سنة ١٨١٧
١٩	رعمسيس الثاني	بالدير البحري	بأبواب الملوك نمرة ٧	
١٩	منفتاح	بقبر أمنوفيس الثاني	بأبواب الملوك نمرة ٨	
١٩	امنمسس	لم يكتشف بعد	بأبواب الملوك نمرة ١٠	
١٩	سيتي الثاني	في قبر امنوفيس الثاني	بأبواب الملوك نمرة ٤٧	اكتشفه المسيو دافيس
١٩	رعمسيس الثاني	بالدير البحري	بأبواب الملوك نمرة ٧	
١٩	منفتاح	بقبر امنوفيس الثاني	بأبواب الملوك نمرة ٨	
١٩	امنسس	لم يكتشف بعد	بأبواب الملوك نمرة ١٠	
١٩	سبتاح	في قبر امنوفيس الثاني	بأبواب الملوك نمرة ٤٧	اكتشفه المسيوم دافيس
١٩	سيتي الثاني	في قبر امنوفيس الثاني	بأبواب الملوك نمرة ١٥	
٢٠	ستنخت	في قبر امنوفيس الثاني	بأبواب الملوك نمرة ٥	
٢٠	رعمسيس الثالث	الدير البحري	بأبواب الملوك نمرة١١	قبر نموة ٣ بدأه هذا الملك ولم يتممه
٢٠	رعمسيس الرابع	قبر رعمسيس الثاني	بأبواب الملوك نمرة ٢٠	

٢٠	رعمسيس الخامس	قبر رعمسيس الثاني	بأبواب الملوك نمرة ٩	قبر نمرة ٩ شيده رعمسيس الخامس
٢٠	رعمسيس السادس	قبر رعمسيس الثاني	بأبواب الملوك نمرة ٩	وانتحله رعمسيس السادس
٢٠	رعمسيس السابع	لم يكتشف بعد	لم يكتشف بعد	
٢٠	رعمسيس الثامن إلى ١١	لم يكتشف بعد	بأبواب الملوك ١، ٦، ١٨	

عناية الحكومة المصرية من قديم إلى الآن بالمحافظات على العاديات القديمة

منذ قديم وضعت الحكومة ترتيبات نظامية تتبع في المحافظة على الآثار بوجه عام وعلى مقابر الملوك بوجه خلص؛ وعلى ما يكافأ به كل انسان يرشد عن شيء من هذا القبيل وكيفية انتفاع المجدين في استخراج ما يوجد من الدفن في الأراضي والبقاع حتى لا تبقى الأشياء النفيسة في ذاتها عرضة لأن تلتهمها بطون الأرض ويحترم بنو الإنسان من الانتفاع بها وهي (تشجيعاً على اتباع أوامرها وتشويقا لمن يمكنهم التبليغ والاحتفاظ بهذه النفائس والانتفاع بالفوائد القانونية) قد وضعت مجمعة بهذه الأوامر؛ ونحن تماما لفائدة المطلعين ننشر خلاصتها حتى لا تبقى مقاصد الحكومة النافعة للعمران سراً مكتوما في الصدور لا يعرفه ولا ينتفع به إلا أفراد قلائل في أطراف الأقاليم.

قانون نمرة ١٤ لسنة ١٩١٢

خاص بالآثار

مادة ٤ – يجوز الاتجار أيضا بالآثار الخاصة بمجموعات اقتناها بعض الأفراد بسلامة نية.

مادة ٨ – يسوغ للحكومة أن تنقل متى شاءت أي أثر عقاري يكون في ملك أحد الأفراد أو أن تبقيه ي محله وتنزع ملكية الأرض.

مادة ٩- كل مكتشف أثراً عقارياً وكل مالك أو مستأجر أو كل مستول على أرض يظهر فيها أثر عقاري يلزمة أن يبلغ في الحال عن ذلك إماالي السلطة الإدارية الأقرب إليه وإما إلى رجال مصلحة الآثار في تلك الأنحاء.

مادة ١١– من يكتشف أثراً منقولا بطريق الحفر الغير الجائز ويعمل بما تقتضيه أحكام المادة السابقة يعطي نصف الأشياء المكتشفة أو نصف قيمتها جزاء له.

مادة ١٢– لا يجوز لأي إنسان عمل منجسات أو حفائر أو كسح أرتبة للبحث عن آثار ولو تكون الأرض ملكة مالم يكن في يده رخصة بذلك صادرة إليه من نظارة الأشغال بنا على طلب مدير عام مصلحة الآثار.

مادة ١٥– يجوز لمصلحة الآثار التي يعثر عليها أثناء استخراجه فيجب التبليغ عنها وتسليمها في الحال للخفراء المنوطين بملاحظته.

تعريب قرار نمرة ٥٠ من نظارة الأشغال العمومية فيما يختص بقانون الرخص التي تعطى للإتجار بالعاديات رقم ٨ ديسمبر سنة ١٩١٣.

مادة ١ - رخص الإتجار بالآثار التاريخية نوعان:

(الأول) رخص لتجار الآثار التاريخية في الحوانيت؛

(الثاني) رخص لعارضي الآثار التاريخية للبيع.

فتجار النوع الأول مرخص لهم وحدهم فتح حوانيت لبيعها ولكن لا يجوز لهم المتاجرة بها خارج حوانيتهم أو ما يماثلها من المحال الوارد ذكرها في رخصهم، أما عارضو الآثار للبيع فليس لهم أن يبيعوا من الأشياء التاريخية إلا صغيرها؛ ولا يجوز قط أن يتعدى ثمن القطعة الواحدة منها خمسة جنيهات مصرية وذلك بعرضها في المكان أو أحد الأمكنة الوارد ذكرها في رخصهم.

مادة ٩- كل تاجر بالآثار أو عارضها للبيع يقدم على الإتجار أو البيع بدون رخصة يعاقب بالحبس مدة لا تتجاوز سبعة أيام وبغرامة لا تتعدى جنيها مصري أو بإحدى هاتين العقوبتين ولا يحل ذلك بالعقوبات الواردة في المادة السابعة من قانون الآثار التاريخية المتقدم ذكره؛ وكل مخالفة أخرى لأحكام هذه اللائحة يعاقب المخالف عليها بواحدة من العقوبتين المتقدم ذكرهما وكل أثر نشأت عنه المخالفة يحجز ويصادر لجانب الحكومة.

رقم ٨ ديسمبر سنة ١٩١٢ نمرة ٥٢ يما يختص بأعمال الحفر للبحث عن الآثار التاريخية

مادة ١– رخص الحفر تعطيها نظارة الأشغال بناء على طلب جناب مدير مصلحة الآثار التاريخية العام بعد موافقة لجنة العاديات المصرية على ذلك. ثم لا يجوز للمدير العام إصدار رخص مؤقتة للحفر أو الجس الابتدائي إلى مدة لا تتعدى شهراً بشرط أن يعرض على النظارة ولجنة الآثار في أقرب جلسة.

مادة٢- لا تعطى الرخص إلا للعلماء المكلفين بمهمة لهذا الشأن أو لمن توصى بهم الحكومة والجامعات أو المجامع العلمية أو جمعيات معارف رسميا وللأفراد الذين يعول على مقدرتهم وكفاءتهم. وعلى أولئك الأفراد إذا لم يكونوا معروفين بأعمال الحفر على الآثار أن يعتمدوا في إدارة العمل على عالم شهير له الاختبار المطلوب.

مادة ٥- ترسل طلبات الرخص إلى مدير مصلحة الآثار التاريخية العام بمدينة القاهرة قبل الخامس والعشرين من ذهر أكتوبر من كل سنة بقدر الإمكان والآثار المنقولة التي يكتشفها المرخص له في أثناء الحفر الذي يباشر بحسب أحكام رخصة تقسيم بينه وبين الحكومة.

وسيصدر قانون قريبا يقضى بإستلام الحكومة جميع الآثار لمكتشفة لتأخذ منها ما تراه لازماً لها وتسلم الباقي لصاحب الرخصة؛ وبهذا يبطل قانون القسمة المناصفة للعاديات المكتشفة.

الفهرس